الجمهورية التركية
جامعة وان يوزونجوييل
معهد العلوم الاجتماعية

رسالة ماجستير

الواقعية الإسلامية في روايات خولة حمدي

عبدالرحمن عبدالفتاح شلار

شعبة اللغة العربية وبلاغتها

نيسان 2019

ABDULRHMAN
ABDULFATAH CHALLAR

ARAP DİLİ VE BELAĞATI BİLİM DALI

NISAN 2019

T.C.
VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

YÜKSEK LİSANS TEZİ

HAVLE HAMDİ'NİN ROMANLARINDA İSLAMİ REALİZM

ABDULRHMAN ABDULFATAH CHALLAR

ARAP DİLİ VE BELAĞATI BİLİM DALI

NISAN 2019

الجمهورية التركية
جامعة وان يوزونجوييل
معهد العلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإسلامية
شعبة اللغة العربية وبلاغتها

الواقعية الإسلامية في روايات خولة حمدي

رسالة ماجستير

إعداد الباحث

عبدالرحمن عبدالفتاح شلار

إشراف

الدكتور عبدالهادي تمورتاش

وان - 2019

الإهداء

إلى مَن كانا سببَ حياتي وبهجتها

أبي وأمي... رحمكما الله تعالى

إلى عائلتي الغالية

إلى مَن

فطمتِ النَفسَ

عن كلِّ جميلٍ أزهر

ابنتي وغاليتي.. فاطمة الزهراء

وإلى مَن أضحى بوجودها الخديجُ أكبرا

ابنتي وغاليتي .. خديجة الكبرى

إلى كلِّ ذي فضلٍ عليّ

وهم كُثر

إخوتي... أصدقائي... أساتذتي...

عبدالرحمن عبدالفتاح شلار

أبوحذيفة

ملخص

تناولت الدراسةُ الواقعيةَ الإسلاميةَ عند الكاتبة (خولة حمدي) في أربع روايات لها، وهي: في قلبي أنثى عبرية، وغربة الياسمين، وأن تبقي، وأين المفر. بدأتِ الدراسةُ بالحديثِ عن مفهوم الواقعية عموما، وعن أهم أقسامها، كالواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية، ثم انتقلت للحديث عن الواقعية الإسلامية خصوصا، وبعد ذلك عرجت الدراسة على تاريخ ظهور الواقعية مذهبا مستقلا، وكان ذلك في القرن التاسع عشر، كذلك عرجت على أسباب ظهورها، إذ جاءت ردا على انتشار المذهب الرومنسي، كما ذكرتِ الدراسة أهم الأقسام التي تفرعت عن الواقعية، كالواقعية الروحية، والشكلية، والمثالية، والسفلى، والعليا، والذاتية...

ثم انتقلت الدراسة إلى الحديث عن نشوء الواقعية الإسلامية وأسبابه، حيث جاءت الواقعية الإسلامية ردا على انتشار المذاهب الغربية في المجتمعات الأدبية الإسلامية، حتى كادت الهوية الثقافية العربية والإسلامية تغيب عن المدارس النقدية المعمول بها لدى النقاد العرب؛ وذلك بسبب اختلاف الثقافات والأعراف، كما تحدثت الدراسة عن أهم الخصائص التي تتسم بها الواقعية الإسلامية، كالربانية والالتزام والثبات والإيجابية والإنسانية و الأسلوبية.

ثم انتقلت الدراسة إلى الحديث عن أهمية الواقعية الإسلامية، كربط الواقع الأرضي المعيش بالسماء، وبالإله الحقيقي، وما ينتج عن ذلك من نفع للبشرية جمعاء، ليُختم القسم الأول بالحديث عن أهم روّاد الواقعية الإسلامية كتابة ونقدا، كسيد قطب، ومحمد قطب، ونجيب الكيلاني...

ثم تناولت الدراسة في قسمها الثاني رواياتِ (خولة حمدي) الأربعة، فقدمَتْ ملخصا مقتضبا عن كل رواية، بعدما تناولت حياة الكاتبة باقتضاب لقلة المصادر التي تتحدث عن الكاتبة وصعوبة الوصول إليها.

أما القسم الثالث فقد بدأه الباحثُ بالحديث عن البيئة الروائية، ومدى ارتباطها بالواقع زمانيا ومكانيا، حيث كانت الأحداث تدور في لبنان وتونس وفرنسا، كما دارت بعض الأحداث في المسجد والكنيسة والبيت والمزرعة، وكان للزمن المعاصر الذي اختارته الكاتبة دَورٌ بارز في جعل الرواية أكثر حيوية وفائدة.

بعد ذلك تناولَت الدراسة الموضوعاتِ التي وردت في تلك الروايات، كالتسامح الديني، والانتقال من دين إلى آخر، والتزاوج بين أبناء الديانات المختلفة... وبيّنت الدراسة مدى التصاق تلك الموضوعات بحياة الناس في المجتمع الإسلامي المعاصر حيث يسكن كثير من مسلمي الشرق في البلاد الأوربية، يندمجون تارة، وينفرون أخرى.

ثم انتقل الباحثُ بعد ذلك إلى الحديث عن الشخصيات الرئيسة في تلك الروايات، كشخصية المغترب، والمقاوم، والداعية إلى الله، والطالب، والأم... وبيَّنَ مدى تحقق الواقعية الإسلامية في الأحداث التي قامت بها تلك الشخصيات، أو تعرضت لها، ثم خُتمت الدراسة بتسليط الضوء على براعة الكاتبة في اختيار أسماء شخصياتها الرئيسة، من الناحية الدينية أو

اللغوية، وأشارت الدراسة أخيرا إلى استبعاد الكاتبة الألفاظ الصريحة أو الخادشة للحياء عند تصويرها المشاهد السلبية، كمشاهد الاعتداء.

الكلمات المفتاحية :

الرواية، الواقعية، الواقعية الإسلامية، الخصائص، الزمان، المكان، الشخصيات.

جدول المحتويات

ملخص I

جدول المحتويات III

المقدمة V

التمهيد 1

1.الواقعية الإسلامية 1

1.1.مفهوم الواقعية الإسلامية 1

2.1.نشأة الواقعية الإسلامية 3

3.1. خصائص الواقعية الإسلامية 7

1.3.1. الربانية 8

2.3.1. الثبات 9

3.3.1. الالتزام 10

4.3.1. الإيجابية 11

5.3.1. الإنسانية (الشمول) 13

6.3.1. الأسلوبية 13

4.1. أهمية الواقعية الإسلامية 14

5.1. رواد الواقعية الإسلامية 16

2. الكاتبة (خولة حمدي) ورواياتها 17

1.2. خولة حمدي 17

2.2. الروايات 18

1.2.2. في قلبي أنثى عبرية 18

2.2.2. غربة الياسمين 19

3.2.2. أن تبقي 19

4.2.2. أين المفر 20

3.2. قواسم مشتركة بين الروايات 21

3. الواقعية الإسلامية في روايات خولة حمدي 23

1.3. المكان في الرواية 23

1.1.3. المدينة العربية 24
2.1.3. القرية العربية 28
3.1.3. المدينة الغربية 29
4.1.3. دور العبادة 31
2.3. الزمان في الرواية 33
3.3. الموضوع الروائي 36
1.3.3.التسامح الديني 37
2.3.3. الانتقال من دين إلى آخر 39
3.3.3. التزاوج بين أبناء الديانات المختلفة 41
4.3.3. اندماج المسلم في المجتمعات الغربية 43
5.3.3. السلبية تجاه المسلمين والغرباء في الغرب 44
6.3.3. الإسلام بين النظرية والتطبيق 49
7.3.3. الحب بين ثلاثة أطراف 53
8.3.3. الهجرة غير الشرعية 55
4.3. الشخصيات الروائية 57
1.4.3. الشخصية الدينية 59
2.4.3. شخصية الداعية إلى الإسلام 63
3.4.3. شخصية المقاوم 69
4.4.3. شخصية الأم 73
5.4.3. شخصية المغترب 76
6.4.3. شخصية الطالب 81
5.3. في رحاب الأسماء الروائية 83
1.5.3. الأسماء ذات البعد الديني 83
2.5.3. الأسماء ذات البعد اللغوي 87
6.3. أدب المفردات 94
الخاتمة 96
المصادر والمراجع 98

المقدمة

تتنوع الفنون الأدبية؛ لتحقق ثراء ترتقي به اللغة، فسموُّ اللغة عامل أصيل في ارتقاء أبنائها، والأمم لا تسود ولا تقود إلا إذا كان أبناؤها مؤهلين علميا وفكريا وثقافيا ومهنيا وأدبيا، واللغة العربية من أقدم اللغات الحية، كانت ومازالت ميدان الأدباء والشعراء، ففي الجاهلية تبارى الشعراء فيما بينهم وتنافسوا، حتى ملؤوا أصقاعهم شعرا احتوتْ قصائدُه الضروبَ كلَّها، ومع توالي العصور واكبَ الأدبُ العربي الفنونَ الأدبية كلَّها، وعندما ازدهر فن الرواية النابع من فنِّ القصة، لم تعجز اللغة العربية ولا أدباؤها عن إثراء المكتبة العربية والفكر العربي بآلاف الروايات المتعددةِ الموضوعاتِ والاتجاهاتِ، فكان لكل مدرسة فنيّة كُتَّابُها ونُقادها ومؤيدوها.

ظهرت المدرسة الواقعية منتصفَ القرن التاسع عشر، وانتشرتْ ـ مع ما أصابها من اتهامات ـ في بلاد كثيرة، وتنوعت مذاهبُها ضِمن مصطلح (المدرسة الواقعية) حتى ظهرت منتصف القرن العشرين دعوةٌ للاهتمام بالواقعية الإسلامية، وسار على هذا النهج أدباءُ مسلمون، وراحوا يهتمون بالموضوعات الإسلامية في أدبهم شعرا ونثرا، حتى ظهرت روايات تتناول القضايا الواقعية بصدق، وتبرز من خلال تلك الواقعية الموضوعاتِ الإسلامية المتنوعة، وكانت الكاتبة (خولة حمدي) من بين هؤلاء الروائيين الذين آثروا الواقعية على (الرومانتيكية) واهتموا بالجانب الإسلامي، دون أن يهملوا الجوانبَ التي لابد منها لنجاح الرواية.

تكمن أهمية البحث في الوقوف على الجوانب الإسلامية الواقعية في روايات (خولة حمدي) التي تقدم رواياتٍ واقعية مُفعمة بالصور الإسلامية، من حيث الأخلاق، والمبادئ، والعادات، والتعايش بين أبناء الديانات السماوية المختلفة، والتزاوج بين أفرادها، والانتقال من المسيحية و اليهودية إلى الإسلام، إضافة إلى إعطاء الروايات صورةً إيجابية عن المسلم الفعّال الذي يكافح في سبيل العلم، والدعوة إلى الله، و مساعدة الناس.

وكان لصورة المرأة المسلمة عند (خولة حمدي) أهمية بالغة، إذ نجدها باحثة، ومحامية، ومقاومة، وداعية إلى الله تعالى، متمسكة بدينها ومبادئها وأخلاقها، مع كل ما تتعرض له من مضايقات في بلاد الغرب، حيث ترفض الانصياع لتقاليد تلك البلاد وعاداتها، وتصمد في وجه التيارات المختلفة، وتحقق أهدافها في النهاية.

والواقعية الإسلامية قليلة الدراسة؛ لأنها موقع جدل بين النقاد، ورأيتُ أن أكتب في هذا الموضوع عند (خولة حمدي) حيث لم تُدرس رواياتها من هذا الجانب، آملا أن أقدم دراسة مقبولة في ذلك. ويعود الهدف من هذه الدراسة إلى الأمور التالية :

1- تحديد صور (الواقعية الإسلامية) في روايات خولة حمدي.
2- إظهار أهمية (الواقعية الإسلامية) وتأثيرها في القارئ والمجتمع، وذلك بدراسة الموضوعات التي تناولتها الكاتبة في رواياتها.
3- تسليط الضوء على مدى نجاح الكاتبة في تناول تلك الموضوعات.
4- تأتي هذه الدراسة استكمالا لدراسات أخرى، تطرقت للواقعية الإسلامية عند روائيين آخرين، مثل: (الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني) للكاتب محمود القاعود.

اتبع الباحث المنهج التحليلي الوصفي في البحث، فقامَ بعرض الأحداث المتعلقة بالواقعية الإسلامية، ثم حللها ليظهرَ أثرُ هذه الواقعية على مجريات أحداث الرواية، وتأثيرها في القارئ أيضا، ولم يكن المنهج التاريخي غائبا عند الحديث عن الكاتبة، والتسلسل الزماني لكتابة الروايات، ولا يخلو البحث من المنهج المقارن بينها وبين روائيين آخرين، ودراسات أخرى.

تناول الباحثُ في هذه الدراسة روايات الكاتبة (خولة حمدي) الأربعة، بعد أن تحدث عن مفهوم الواقعية عموما، والواقعية الإسلامية خصوصا، وذلك بذكر أهم الخصائص التي تتفرد بها الواقعية الإسلامية، أو تتصف بها دون التفرد، ثم قدّم ملخصا عن كل رواية على حدة؛ ليتحدث بعدها عن دَور المكان والزمان اللذين اختارتهما الكاتبة لأحداث الروايات وشخصياتها، ثم تناول الباحثُ الموضوعاتِ التي أرادتِ الكاتبة أن توصلها لقرائها، دون أن يُغفل الهدف الذي أرادته الكاتبة من تلك الموضوعات، فالكاتبة اهتمت بالقضايا الواقعية المعاصرة، وأضاءت الجانب الإسلامي والإنساني فيها، وكانت الشخصياتُ صاحبةَ الحظِّ الأوفر في هذا البحث، إذ تناول الباحث أهم الشخصيات التي أبرزتها الكاتبة، كشخصية المقاوم، وشخصية المغترب، وشخصية الداعية إلى الله تعالى...، وكان لأسماء الشخصيات الأساسية في الروايات نصيبٌ من هذا البحث.

حاول الباحث أن يسلط الضوء على الموضوعات التي تناولتها الكاتبة، لكن الكمال لله وحده، فسار في سبيل ما أراده ما وسعه الزمن والجهد، واجتهد الباحث في الوصول إلى الكاتبة والتواصل معها؛ ليُضفي على البحث مزيدا من الأضواء، لكن الوصول إليها استحال، وكان لذلك أثر سلبي على دراسة الرواية الرابعة (أين المفر) التي أصابها التزوير، فانتشرت في الأسواق رواية مزيفة، تنتحل اسم الكاتبة وعنوان روايتها أيضا، وكانت تلك الرواية باكورة كتابات (حمدي) غير أنها آخر كتاباتها نشرا، مما جعل الباحث يعتمد على الروايات الثلاث الأخريات أكثر من اعتماده على الرواية الرابعة، دون أن يهملها تماما.

تشكل هذه الدّراسة رافداً من روافد الدّراسات التي تناولت الواقعية الإسلامية في الرواية العربية، مثل:

1- الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ، للكاتب محمد حسن عبدالله.[1]
يتحدث الكاتب عن اشتمال أدب نجيب محفوظ على الروحية الإسلامية، وهو يدافع عن فكرته هذه في مقدمة كتابه، وكأنه يريد إقناع منكريها، فتراه يُسهب في ذلك، ويعزز كلامه بالشواهد، كاعتماد (محفوظ)على قصة موسى عليه السلام مع فرعون في روايته (عبث الأقدار) وقد أفاد الباحث من هذه الطريقة، فربط بعض أحداث روايات خولة حمدي بقصص القرآن أو أحكامه، أو أحكام الإسلام عموما.

2- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، للكاتب حلمي محمد القاعود.
تناول الكاتب الواقعية الإسلامية وأدب نجيب الكيلاني، مشيرا إلى المواضيع الروائية عنده، ثم تناول البيئة الروائية من حيث الزمان والمكان، وانتقل بعدها للحديث عن الموضوعات الروائية، فالشخصيات؛ لينتهي بالحبكة الفنية والأسلوب. لقد نسج الباحثُ بحثه على هذا المنوال، غير أن البيئة الروائية عند الكيلاني كانت أضيق مما هي عليه عند (خولة حمدي). وتوصل القاعود في هذه الدراسة إلى أن الواقعية الإسلامية عند الكيلاني تعني الانتماء لقضايا الأمة، والاهتمام بشؤونها الخطيرة، وعالج ذلك من خلال الشخصيات التي انتصرت للحق، أو هزمت بسبب الباطل.[2]

وهناك دراسات تناولت رواية (في قلبي أنثى عبرية) للكاتبة خولة حمدي، منها:

1- البنية السردية في رواية " في قلبي أنثى عبرية" لـ : خولة حمدي، للباحثتين: أحلام قاص، وبسمة قليف، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر. 2018.

2- تجليات الخطاب الديني في رواية "في قلبي أنثى عبرية" لخولة حمدي، للباحثتين: جميلة قادري، وإيمان مجدل، جامعة محمد بوضياف، الجزائر،2018.

وكانت دراستي هذه تسير في ركب الدراسات التي تناولت روايات خولة حمدي.

كما اعتمدت الدراسة على مراجع عدة، من أهمها:

1- الإسلامية والمذاهب الأدبية، للكاتب نجيب الكيلاني.
يتحدث الكاتب عن علاقة الأدب بالإسلام، وعن النقد الأدبي الإسلامي الذي يعده أصدق النقد وأحسنه، وقد استفاد الباحث من الخصائص التي تميز النقد الإسلامي من غيره، باعتماده مبدأ الخير والحق والجمال، وبدمجه الموضوعية مع الذاتية.

2- خصائص التصور الإسلامي، للكاتب سيد قطب.
تناول الكاتب في كتابه خصائص التصور الإسلامي بإسهاب مشفوع بالآيات القرآنية، بعد توجيهه النقد اللاذع للمجتمع الغربي، وللمجتمعات الوثنية عبر التاريخ. لقد كانت تلك الخصائص محورَ الخصائص التي اعتمدتها هذه الدراسة.

---

[1] الباحث يتحدث عن الكتاب الذي يدافع كاتبُه عن وجهة نظره، ولم يدخل الباحث مجالَ الردِّ أو الدفاع عن فكرة الكتاب.
ينظر : عبدالله، محمد حسن، *الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ*، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ط3، ص. 9،11.

[2] القاعود، محمد، *الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني*، مكتبة العبيكان، الرياض، د ت، د ط، ص.193.

3- مدخل إلى الأدب الإسلامي، للكاتب نجيب الكيلاني.
تحدث الكاتب عن مفهوم الأدب الإسلامي، واستمراريته، وعن علاقاته بالعلوم الأخرى، كعلم الجمال، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، مشيرا إلى المخاطر التي تتهدد الأدب الإسلامي، ووجوب التصدي لها، وضرورة إيجاد مصطلحات نقدية إسلامية، وهذا ما أشار إليه الباحث في هذه الدراسة.

4- النقد الأدبي، للكاتب أحمد أمين.
تناول الكاتب في الباب الأول من كتابه نقدَ الفنون الأدبية، كنقد الشعر، والنثر، والرواية، وقد أفاد الباحث من نقد الرواية لدى الكاتب، عند الحديث عن التشخيص والتصميم، وارتباط الرواية بالحياة.

5- الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، للكاتب أحمد بسام الساعي.
تحدث الكاتب في القسم الأول من الكتاب عن الواقعية وأسباب نشوئها، وكثرة أقسامها التي أدّت إلى صعوبة تعريفها، ثم تحدث عمّا يميز الواقعية الإسلامية من غيرها، مشيرا إلى نقاط الاتفاق بينها، وقد كانت هذه النقاط مشاعل نور للباحث عند حديثه عن نشوء الواقعية الإسلامية.

وقبل الانتقال إلى الدراسة، لابد لي من شكر كل من مدَّ لي يد العون، بكلمة أو فكرة أو نصيحة، فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله، فأشكر أصدقائي الذين ما ضنّوا علي بنصح، وأشكر أساتذتي الذين ما قصروا، ولا بخلوا، أشكرهم جميعا مذ جلست على أول مقعد دراسة في حمص، إلى أن ناقشت مخطط البحث مع أستاذي الدكتور عبدالهادي، مرورا بدمشق والقاهرة، حيث الأزهر المُزهر.

وفي الخامس عشر من شهر نيسان عام ألفين وتسعة عشر تمّت مناقشة الرسالة من قِبل اللجنة المُكوّنة من:

- الدكتور عبدالهادي تمورتاش رئيسا ومشرفا
- الدكتور محمود عبدالرزاق الغوثاني مناقشا
- الدكتور رفعت آكباش مناقشا

وأتوجه إلى اللجنة الموقرة بخالص الشكر والامتنان على ما قدمته لي من النصح والإرشاد، وعلى كل ما تكبدته في سبيل إنجاح هذا البحث.

عبدالرحمن عبدالفتاح شلار

وان

2019

التمهيد

قبل الحديث عن الواقعية الإسلامية عند (خولة حمدي) لابد من التعريج على مفهوم الواقعية، وتاريخ نشوئها وأسبابه، وأهم الخصائص التي تميزها من غيرها، إضافة إلى الحديث عن أهميتها، وأهم روّادها.

1.الواقعية الإسلامية

الواقعية الإسلامية قسم من الواقعية العامة، وهي مشترِكة مع سائر الواقعيات في جوانب، وتمتاز منها في جوانب أخرى، وهذا ما سيشير إليه الباحث بعد الحديث عن مفهوم الواقعية وأسباب نشوئها.

1.1.مفهوم الواقعية الإسلامية

لابُدَّ قبل الخوض في مفهوم الواقعية الإسلامية من التعريج على مفهوم الواقعية عموما، فالواقعية هي: عقيدة تقترح معرفة دقيقة وموضوعية بالواقع، كخاتمة للنشاط الأدبي،[3] وعرَّفها بعضُ النقاد بأنها "التمثيلُ الموضوعي للواقعِ الاجتماعي المُعاصر"[4] وهي ـ أي الواقعية ـ مدرسة تأخذ قصصها من الحياة اليومية، أو من حوادث التاريخ الموثّقة، حيث تنعدم ميولُ الكاتب وأهواؤه[5]. والواقعية أنواع، منها الواقعية الاشتراكية التي هي "نمط من التعبير الأدبي، يُعتبر[6] الأكثر ملاءمة جماليا وسياسيا"[7] وتَعنى الواقعية الاشتراكية بتقديم نماذج تمثيلية تاريخية، لواقعٍ ينمو ثوريا[8]، فهي ـ كما عرفها المعجم الروسي ـ "منهج فني، يتمثل جوهره في الانعكاس الصادق المحدد تاريخيا للواقع في تطوره الثوري، أي في مسيرة المجتمع نحو الشيوعية"[9] فالواقعية الاشتراكية تدعو إلى التغيير عن طريق الثورة كما سبق، منطلقة من الواقع والتاريخ؛ لتشكل منهجا فكريا وسياسيا شاملا، يطالب الأدباءَ بالالتزام به؛ لدعم الروح الاشتراكية. أما الواقعية الأمُّ فقد اكتفتْ بتصويرِ الواقع كما هو، بل كانت تُظهره أحيانا بصورة سوداوية تشاؤمية، فالحياة عند الواقعيين الأوائل شرٌّ مطلق، لا يكون الخيرُ فيها إلا عابرا، ولا تهتم الواقعية الأم بالتغيير أو الإصلاح، بل تكتفي بالوصف، وطرح الأسئلة التي تزيد من كشف الحقائق المؤلمة.[10] وهذا ما رفضته الواقعية النقدية، إذ لم تكتف بالوصف، بل انتهجت منهجَ النقد والتحليل، ولم تقبل بالتسليم بالواقع كما هو، فكانت ـ أي الواقعية النقدية ـ أكثرَ وعياً بالحياة وفهماً لها،[11] غير أنها لم تدخل فضاء الصراعات المذهبية؛ كالواقعية الاشتراكية.[12]

---

[3] علوش، سعيد، *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985، ط1، ص.232.
[4] فضل، صلاح، *منهج الواقعية في الإبداع العربي*، دار المعارف، القاهرة، 1980، ط2، ص.36.
[5] وهبه، مجدي، والمهندس، كامل، *معجم المصطلحات العربية*، مكتبة لبنان، 1984، ط2، ص.428.
[6] الفعل (يعتبر) بهذا المعنى من الأخطاء الشائعة، وبديله (يُعد) لكنني اقتبسته من مصدره، وأبقيته على حاله.
[7] علوش، سعيد، *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*، ص233.
[8] علوش، سعيد، *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*، ص.233.
[9] ساعي، أحمد، *الواقعية الإسلامية في النقد والأدب*، دار المنارة، جدة، 1985م، ط1، ص.12.
[10] السيد، وجيه يعقوب، *الرواية المصرية في ضوء المناهج الحديثة*، دار البشير، 2018، ط2، ص.58-61.
[11] فضل، صلاح، *منهج الواقعية في الإبداع العربي*، ص.35.

والواقعية تقتصر على النفع "إن عَمَلَ الفنانِ يكون واقعيا فيما هو فعله نفعي، ومثاليا فيما لا يكون واقعيا أبدا" فالواقعية يجب أن تُمزج بالعنصر المثالي، والمثالية يجب أن تُنقذ من الشذوذ بمزجها بالواقعية.[13]

من خلال ما سبق يلاحظ الباحث أن الواقعية مدرسة فنية، تلتصق التصاقا وثيقا بالواقع الحاضر، أو بالتاريخ الموثق، غير أنها تختلف فيما بينها من زاوية تصوير الواقع، إذ تكتفي الواقعية الأم بالتصوير الدقيق للواقع، وإظهار العيوب والمثالب المنتشرة فيه، أما الواقعية النقدية فتقوم بالنقد والتحليل؛ لتقف على الأسباب، وتسير في درب إيجاد الحلول المناسبة لها، غير راضية بالاستسلام لتلك الصور السوداء، بينما خَطَتِ الواقعية الاشتراكية خطوة أبعد وأجرأ في تبنِّي الثورة والدعوة إليها؛ لتغيير الواقع.

لم تكن هاتان المدرستان المتفرعتان من الواقعية الأم وحيدتين، بل هناك واقعيات أخرى، وتسميات مختلفة؛ كالواقعية الروحية، والشكلية، والمثالية، والسفلى، والعليا، والذاتية، وفوق الذاتية، و... ، وهذه الكثرة في التسميات والتفريعات جعلتْ بعضَ الأدباء يُحجمُ عن تعريف الواقعية، يقول هارمي (Harmi): " أنا لا أريد التورط في تعريفات كلمة الواقعية"[14] كما نجد تعريفا فضفاضا لـ (كارل مانهايم) (Karl Mannheim) إذ يقول "إن الواقعية تعني أشياء مختلفة في سياقات مختلفة"[15] وتعدد التعريفات والأنواع ضمن المدرسة الأدبية الواحدة ليس مقتصرا على المدرسة الواقعية، بل لقد عانى واضعو مصطلح (الكلاسيكيّة) قبلا من إيجاد ضوابط لهذا المصطلح الذي يجمع مئاتِ الكُتّاب والنقاد والشعراء.[16]

أمّا الواقعية الإسلامية فلم يجد الباحث تعريفا خاصا بها، يكون محلَّ إجماع، ويحمل سمات الحَدِّ، بل تناولَ مَن عُني بها خصائصَها التي تميزها من الواقعيات الأخرى التي تشترك معها في نقطة الانطلاق من الواقع. فالواقعية الإسلامية منبثقة من مصطلح النقد الإسلامي، أو الأدب الإسلامي، الذي عرّفه عبدالرحمن رأفت باشا بقوله "هو التعبير الفني الهادف عن وَقعِ الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب، تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته"[17] فالأدب في ضوء الواقعية الإسلامية ليس فنَّ ترفيه وتسلية فحسب، بل له دور فعّال ورائد في نشر الفكر الإسلامي، وقِيَمِهِ، وفي التعبير عن القضايا الإنسانية الكبرى، من منظور إسلامي خالص، عِمادُه التوافق مع التصور الإسلامي للقضايا المطروحة، وليس التصورَ الشخصي للأديب. فالرؤية الذاتية لا يُكتب لها البقاء غالبا، بخلاف القضايا العامة التي تُدرس من وجهة نظر إسلامية، فإنها ستكون خالدة خلودَ الإسلام ذاتِه؛ لأن الإسلام يربط الواقع

---

[12] السيد، وجيه يعقوب، *الرواية المصرية في ضوء المناهج الحديثة*، ص.63.
[13] أمين، أحمد، *النقد الأدبي*، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، د ت، د ط، ص.116.
[14] ساعي، أحمد، *الواقعية الإسلامية في النقد والأدب*، ص.12.
[15] فضل، صلاح، *منهج الواقعية في الإبداع العربي*، ص.33.
[16] ساعي، أحمد، *الواقعية الإسلامية في النقد والأدب*، ص.11.
[17] النحنين، ناصر، *الالتزام الإسلامي في الشعر*، دار أصالة، الرياض، د ت، د ط ، ص.18.

الأرضي بالحقيقة السماوية.[18] وهذا الربط يُعَدُّ من صلب الواقعية الإسلامية، التي هي "الرباط السليم المتوازن، الذي يجمع بين الأرض والسماء، بين الطبيعة المحسوسة وغير المحسوسة"[19]

فالواقعية الإسلامية لا تقف عند الواقع الأرضي فحسب كما فعلت الواقعيّة الأمُّ، أو الواقعيّة النقديّة، ولا تدعو إلى ثورة عامَّةٍ كما فعلت الواقعيّة الاشتراكيّة، بل تتناول الواقعَ المَعِيشَ تناولاً إسلاميّاً متوازنا، فلا شرَّ مطلقا ولا خيالَ جامحا، إذ الإنسان جسم وروح، واقع وحقيقة، فالواقع ما يعيشه الإنسان على الأرض، ويراه الجميع بلا إنكار، أما الحقيقة فمصدرها السماء التي تمثل الحقَّ المطلق الذي لاريب فيه، وإن الاقتصار على الواقع دون الحقيقة يجعل الأمور سوداوية، إضافة إلى أن الاقتصار على الحقيقة دون الواقع يجعلنا نَهِيمُ تائهين في فضاء المثالية التي جاءت الواقعية ردَّاً عليها.

وارتباط الواقعية الإسلامية بالسماء لا يعني ارتباطَها بإلهٍ وَهْمِيٍّ صَنَعَهُ العقلُ البشري، بل ترتبط بإله حقيقي، هو الله عز وجل الذي خلق الكون بما فيه، ووضع له سننه وهَدْيَهُ الذي يضمن للبشرية السعادةَ والعدالةَ والطمأنينة، فالواقعية الإسلامية " تتجاوز البصر إلى البصيرة، فترى بعينها الثاقبة المتزودة بنور الله ما لا يمكن للعلم بأرقامه وقوانينه أن يراه" إنها تستحق تسمية (الواقعية) دون غيرها من الواقعيات[20]؛ لأنها واقعية مثالية، أو مثالية واقعية، تهتم بالجانب الإيجابي للإنسان.[21]

إن هذه السمات التي تحدد ملامح الواقعية الإسلامية، وتربطها ربطا وثيقا بالسماء، جعلت النظرة الإسلامية إلى الأدب أعمَّ منها لدى المدارس الأخرى، وأرحب، حتى رأينا (نجيب الكيلاني) يرفض جَعْلَ (الإسلامية) مذهبا أدبيا كغيره من المذاهب، يقول "...نحن لا نعتبر الإسلامية مذهبا كالواقعية والرومانسية والوجودية... إلخ، فالأدب أوسع من أن يحيط به مذهب محدود، وأرحب من أن نحصره في قيود من القواعد المحلية أو الطارئة، والإسلام دين إنساني شامل لا يعرف حدود الزمان والمكان، وإن تلاءم معهما، وتمشَّى مع منطقهما المتطورِ المتجددِ الأشكالِ، الثابتِ الجوهر، وتبعا لذلك تكون الإسلامية من الوجهة الأدبية والفنية أرحبَ من المذاهب وأسمى من القيود..."[22] والإسلامية في الأدب ـ عند الكيلاني ـ تعني وجهة النظر الدينية للإنسانِ والطبيعةِ فيما يتعلق بالأدب.

2.1.نشأة الواقعية الإسلامية

قبل الحديث عن نشأة الواقعية الإسلامية، لابد من الحديث عن الواقعية الأصل التي ازدهرت في القرن التاسع عشر في مجال الأدب، بينما عُرفت الواقعيةُ في مجال الفلسفة قبل الأدب، لقد تحدَّثَ الفيلسوف (كانت) (Kant) عن الواقعية عام تسعين وسبعمئة وألف. أما بواكير استخدامات مصطلح (الواقعيّة) في الأدب فكان على ألسنة النُقَّادِ الألمان واصفين به

[18] السيد، وجيه يعقوب، *الرواية المصرية في ضوء المناهج الحديثة*، ص.162.
[19] ساعي، أحمد، الواقعية الإسلامية في النقد والأدب، ص.17.
[20] ساعي، أحمد، *الواقعية الإسلامية في النقد والأدب*، ص.13-16.
[21] قطب، سيد، *خصائص التصور الإسلامي*، دار الشروق, د ت ، د ط ،ص.167.
[22] الكيلاني، نجيب، *الإسلامية والمذاهب الأدبية*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ط 4، ص.47.

الأدباء الفرنسيين، يقول شيلير (Schiller)عن الأدباء الفرنسيين: كانوا "واقعيين أكثر منهم مثاليين" ثم تخمّر هذا المصطلح على أيدي الأدباء الفرنسيين، بعد أن تلقفوه من النقاد الألمان، متوقعين له الانتشار في كل البقاع، كما توقّعوا أن تكون الواقعية أدبَ القرن التاسع عشر.[23] بَيْدَ أنّ هذا المصطلح لم يتبلور حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر[24] حيث نشر الكاتب الفرنسي شامفلوري (Shamfeury) كتابا يضمُّ مقالاتٍ أدبية بعنوان (الواقعيّة) كما أصدر في الوقت ذاته مجلة أدبية مع أحد أصدقائه بعنوان (الواقعيّة) أيضا، وكانت هذه المنشورات تتضمن المبادئ النقدية الأساسية للمدرسة الواقعيّة، إذ لابد أن يتجرد الكاتبُ من عواطفه، ونزعاته؛ ليتناول الواقع كما هو، من خلال دراسة العادات والتقاليد دراسةً تحليلية مُستفيضة، متوجها بأدبه إلى الشعب البسيط، ذي العقلية البسيطة، المحروم من الأدب، لا إلى الطبقات الاجتماعية الراقية.[25] فالمجتمع بعمومه، وطبيعته، هو نقطة انطلاق الواقعية، ومحورُ اهتمامها،[26] وكانت طبقةُ العمالِ الأوفرَ حظا باهتمام الواقعيين؛ وذلك بسبب تعرضها للظلم والحيف، بينما كانت الطبقة الأرستقراطية هي الطبقةَ التي هاجَمَهَا الواقعيون.[27]

ولم تتوقف الواقعية عند الفرنسيين، بل انتقلت إلى الإنكليز، والألمان، والأمريكان، والروس، ولم تَسلَمِ الواقعيّة ـ مع انتشارها الواسع ـ من انتقادات واتهامات الأدباء الآخرين، حيث عدَّها مناهضو الواقعيةِ سِتارا لاستهتارِ أربابِها، ولنزعاتِهم المُجافيةِ للأخلاق، غير أنّ الانتصارَ كان حليفَ الذين تلقَّفوا الواقعية ونشروها في بلادهم.[28]

والواقعية ـ في رأي بعض نقادها ـ مدرسة تختلف عن كل المدارس الأدبية، بل وصل الأمر ـ عند بعضهم ـ إلى حدِّ إنكار غيرها من المدارس؛ لأن الواقعية ـ برأيهم ـ تصحح مسار المثاليّة، و تَحُلُّ محل المدارس التقليدية، وتنقد المدارس المبنية على النزعات المتعددة، فهي وحدها تستحق اسم المدرسة الأدبية الفنية، حتى جعلها بعضُهم أقدمَ من (الرومانتيكية) التي جاءتِ الواقعية ردًّا عليها، كما سيأتي لاحقا،[29] لقد وصف (محمد غنيمي هلال) فكرة أسبقية الواقعية بالطرافة، فيما فصّل (محمد مندور) الأمرَ؛ ليغدو أكثر وضوحا، فالواقعية من حيث التسمية الفنية الأدبية أحدثُ من المثالية، وكان ميلادها منتصف القرن التاسع عشر، أما من ناحية التطبيق، فالواقعية هي الأسبق؛ لأن المثالي يهرب من الواقع إلى الخيال، فيما يبقى الواقعيُّ ضمن واقعه وإن كان تشاؤميا، ويوضح محمد مندور الفرق بينهما بربط الأدب الجادِّ بالرومانتيكية، فيما يمثل الأدبُ الهزلي ـ عند مندور ـ الواقعيةَ، وهو قديم.[30]

لقد كان لطبيعة الفرنسيين دورٌ بَالِغٌ في نشأة الواقعية في بلادهم دون غيرها، مع عدم إنكارنا للدور الإسباني في الواقعية، ذاك الدور المُتأثِر بالعناصر العربية التي لم تُمْحَ من الواقعِ

---

[23] فضل، صلاح، *منهج الواقعية في الإبداع العربي*، ص.11-12

[24] وهبه، مجدي، والمهندس، كامل، *معجم المصطلحات العربية*، ص.428.

[25] فضل، صلاح، *منهج الواقعية في الإبداع العربي*، ص.13.

[26] هلال، محمد غنيمي، *النقد الأدبي الحديث*، نهضة مصر، القاهرة، 1997، ص.595.

[27] هلال، محمد غنيمي، *الأدب المقارن*، نهضة مصر، القاهرة، 2008، ط 9، ص.311.

[28] فضل، صلاح، *منهج الواقعية في الإبداع العربي*، ص.15.

[29] فضل، صلاح، *منهج الواقعية في الإبداع العربي*، ص.20.

[30] مندور، محمد، *في الأدب والنقد*، نهضة مصر، القاهرة، د ت، د ط، ص.108.

الإسباني، فالفرنسيون من أكثر البلاد الأوربية شَغَفاً بنقدِ الذاتِ، وتمجيدِ الفرد، حيث عدّهم بعض النقاد أنموذجا عن الشعوب الأوربية جمعاء، لكن القُصَّاصَ الفرنسيين لم يَفصِلوا الفرد عن المجتمع، بل تناولوهما تناولا متوازنا، ضمنتْ جودتُه وتميُّزُه له الانتشارَ والقبولَ لدى القرّاء الذين آثر بعضُهم القصة الفرنسية على غيرها.[31]

كانت نشأة الواقعية نتيجة طبيعية لثورات فكرية عُنيتْ بالبحثِ عن مذاهب جديدة؛ للخلاص من التّيه والضَّيَاع اللذين غَرِقَ بهما الغربُ بعد أن سيطرت عليه (الرومانتيكية) التي كان الإنسانُ الغربي يُحلِّق من خلالها بالخيال، مبتعدا عن الواقع، وكان من الطبيعي أن لا يستمر هذا الخيال؛ لأنه لا يلتقي مع الواقع الأرضي، فجاءت الواقعية نتيجة طبيعية لذلك، غير أنها واقعية مُشوّهة، اعتمدت على الماديّة التي كانت مُسيطرة على المجتمع الغربي، ثم انتقلت من الماديّة العامّة إلى ماديّة الإنسان، دون روحه، فاهتمت بنِتاجِهِ لا غير، ثم تفرعت عنها الواقعيّات، فمنها ـ مثلا ـ ما يهتم بالجنس فحسب، ومنها ما يهتم بالعِرق البشري، كسِيَادة البِيضِ على السود، وأغفلت هذه الواقعيّاتُ جانبَ القِيَمِ والرُّوح والفضيلة من الحياة، بل جعلت الإنسان مُستسلِما لماديّة الحياة، فصوّرته تابِعا لها، ولا سيطرة له عليها، فهو فرد ضمن القطيع، يسير حيث ساروا، متأثرا لا مؤثرا، وذهبت الواقعية إلى إنكار بعض الشخصيات التي كان لها دَورٌ إيجابي مُشرق في التاريخ، أو تشويه النماذج البشرية العظيمة كالأنبياء والمفكرين، وذلك بالبحث عن مثالب أو هفوات أو سلبيات قاموا بها؛ لأن اعتمادها ـ أي الواقعية ـ على مادية الإنسان جعلها تعتقد النقص والحيوانية فيه، ولابد له ـ عندهم ـ من الوقوع في الخطأ، فالفضيلة عندهم خيال وزَيف.[32]

كان التصور السابق شائعا في الغرب، عليه تربّى جيل كامل، يكفر بالله تعالى، وبالقيم، وينكر الأخلاق التي صوروها له وهما زائفا، مغرورا بالكشوفات العلمية التي وصل إليها، وبدأ النقد العربي يتأثر بالمدارس الغربية النقدية تأثرا يهدد قيمه العربية الإسلامية، فظهرت حينذاك الدعوةُ إلى منهج نقدي إسلامي مستقل، له مقوماته وأسسه المتناسبة مع القيم العربية الإسلامية، إذ لا بد للأدب أن يُنقد على أسس تتناسب مع طبيعته، وتنبع من مجتمعه، لا أن تُستورد القوالبُ النقدية من بلادٍ لأهلها عاداتٌ وتقاليدُ مختلفة.[33] فالفكر الإسلامي لا يحتاج إلى هذه القوالب الفلسفية الغربية، ولا يحتاج إلى معايير قد تكون صالحة لأهلها الذين وضعوها لمجتمعاتهم دون غيرهم، بل فيه ـ أي الأدب الإسلامي ـ من المَتانة والحَيَويّة والتميّز والأصالة ما يغنيه عن ذلك. إنَّ الحاجة للواقعية الإسلامية في الأدب ـ نقدا ونتاجا ـ ماسَّةٌ جدا، وهي ناجمة عن حاجة البشرية جمعاء للنظام الإسلامي، الذي ينتشلها من التيه والضَّيَاع اللذين غرقت بهما البشريةُ قبل ظهور الإسلام الذي جاء ليُقِيمَ لها حياة كريمة متوازنة تضمن حقوق الجميع دون إكراه في اتباعه، إذ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[34] غير أنه يهدف إلى إقامة نظامه الذي يسري على

---

[31] فضل، صلاح، منهج الواقعية في الإبداع العربي، ص.21.

[32] قطب، محمد، *منهج الفن الإسلامي*، دار الشروق، بيروت. القاهرة، 1983، ط6، ص.45.

[33] السيد، وجيه، *الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة*، ص.127.

[34] سورة البقرة،2/ 256.

الجميع، فالحاجة لهذا المنهج الإسلامي حاجة ماسة للجميع، هي حاجة العقل والروح، حاجة البشرية جمعاء.[35]

إن التصوّر الإسلامي (الواقعية الإسلامية) للإنسان يختلف عن التصور الغربي، إنه التصوّر الأكمل والأشمل للإنسان، فهو لا ينظر إلى فرد أو جماعة أو جيل على أنه النموذج الأمثل أو الأكمل، و لا يعدُّ الانحرافَ مُتأصّلا في البشر، وليس منه مهرب، فالصواب هو المُنطلق الذي يُقاس عليه الفرد والجماعة والجيل، فالإنسان روح ومادة، فيه صفات حيوانية، وصفات ملائكية، لا تطغى إحداهما على الأخرى، بل يتعامل معهما الإنسان بوصفه إنسانا، فيه الخير والشر، يطغى أحدهما على الآخر برهة أو ردحا من الزمن، ثم يعود الإنسان بعدها إلى التوازن مجددا، وهذه الثنائية (الخير والشر) موجودة لدى كل البشر، فلا تُحَمَّلُ طبقة أو فردٌ أخطاءَ الآخرين ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[36] قد يقع الإنسان في الخطأ والرذيلة؛ لأنه غير معصوم، لكنه يستطيع النهوض والعودة إلى الصواب، فالتصور الإسلامي لا يقبل أن تنتهي اللقطة أو المشهد عند الموقف السلبي، بل يفتح له طريق الأمل، طريق الارتقاء من جديد؛ لأن الله زوَّده بالطاقة اللازمة لذلك، سخر له الكون بما فيه، وأعطاه من الأسبابِ ما يجعله قادرا على التغيير والارتقاء، بل على قيادة الكون كله، ولا يستنكر التصور الإسلامي على المُخطِئ الخطأ، فهو بشر خطَّاء (وخير الخطّائين التوابون)[37] لكنه يستنكر عليه الاستسلام له، والدوام عليه.[38]

هكذا نشأت الواقعية الإسلامية، أخذت من الواقعيةَ الغربيةَ المهتمةَ بمادية الإنسان؛ لتضيف عليها روحَ القيم الإسلاميّة، كالعدالة والتفاؤل والإحسان، فلا استسلام للرذيلة، ولا ضَعْفَ أمام حاجات الجسد، بل توازن بين المادة والروح، بين الحيوانية والملائكية، مُستَحضِرَة نماذج إسلامية تاريخية مشرقة، من الأنبياء والصحابة والصالحين والمفكرين، لقد كانوا بشرا حقيقين، عاشوا في زمانهم، لكنّهم ملكوا نفوسا جبارة عظيمة، صنعوا بهمّتهم العالية تاريخا ومجدا لا ينكره أحد. فالواقعية ٱلإسلامية هي الأبقى والأسلم؛ لأنها تناسب طبيعة الإنسان، فلا إفراط ولا تفريط، ولا مثالية روحية خيالية، ولا مادية حيوانية دونية، بل توافقٌ يصنع حياة جميلة، يَسعَد فيها جميعُ من فيها، وإن كانوا غير مسلمين! ولا يعني هذا ـ في الفكر الإسلامي ـ أن ينتصر الحق دائما، بل قد يخسر مرارا، لكنه سينتصر أخيرا، وهذا لا يعني ـ أيضا ـ أن يكون المسلم خاليَ الهموم دائما، بل يتعرض للفتن والمصائب والابتلاء، كل ذلك يدركه المسلم المؤمن بالله ـ تعالى ـ من القرآن الكريم دستورِ الإسلام ودليلِ المسلم ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [39] فالواقعية الإسلامية جاءت لتصحيح مسار الواقعية الغربية، ولتصوير الواقع بصدق وأمانة ودقة، فالفن الإسلامي "لا يرسم صورة مزوّرة للبشرية، بل صورة واقعية عميقة الواقعية، صورة تشمل الإنسان كله في جميع حالاته وجميع

[35] قطب، سيد، *خصائص التصور الإسلامي*، ص.17-22.
[36] سورة المدثر 38/74.
[37] الترمذي، محمد بن عيسى، *سنن الترمذي*، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د ت، د ط، 659/4، رقم الحديث 2499.
[38] قطب، محمد، *منهج الفن الإسلامي*، ص.53 وما بعدها.
[39] سورة البقرة،214/2.

آفاقه، ولكنها لا تسلط النور على الشر وتجعل منه فضيلة، ولا تسلط النور على الضعف وتجعل منه بطولة، ولا تغفل الجوانب العليا من كيان الإنسان"[40]

والفن الأدبي الإسلامي ليس جديدا، ولا يمكن أن نجعل انطلاقته في القرن العشرين، فالنقد الإسلامي للأدب قديم، سبق مصطلح (الواقعية الإسلامية) بقرون، وهو أعمُّ منها، فمنذ بزوغ فجر الإسلام ظهرت ضوابط بسيطة للنقد الأدبي، لكن الظروف العامة لأمَّةٍ عظيمة ناشئة لم تكن لتعطيَ هذا الحقل عناية خاصة، وأعداؤها يتربصون بها، فهذا عمر بن الخطاب يَسأل عن أشعر الشعراء، ثم يحكم على زهير بن أبي سلمى بأنه أشعر الشعراء؛ معللا ذلك بأنه كان لا يُعاظل في القول، ولا يتبع غريب الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه، ناهيك عن استجادة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للشعر الصادق النبيل البعيد عن العصبية والجاهلية[41]، وفي هذا ردٌّ على من يدّعي محاربة الإسلام للشعر والشعراء.

3.1. خصائص الواقعية الإسلامية

لكل فنٍّ أدبيٍّ أو مدرسة فنية خصائص وسمات، يكون بعضها خاصا به، فينفرد بها ويتميز، وتكون بعض الخصائص مشتركة مع مدارس أخرى، والواقعية الإسلامية أو الأدب الإسلامي ليس خلوا من هذا، مع ما سبق من رَفضِ بعضِ الأدباءِ جَعْلَ الأدبِ الإسلامي فنا كغيره من الفنون؛ بدعوى شموليته واستمراريته ومنهجه السماوي، غير أن الدراسة العلمية تعتمد على الحدود والقيود، فكان لابد من تحديد سمات يتميز بها الأدب الإسلامي من غيره، والواقعية الإسلامية أو الأدب الإسلامي يختلف عن سائر الآداب؛ لأن مرجعيته سماوية، مستمدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتاريخ الإسلامي، وليس للكاتب فيه إلا الإبداع من خلال الاتباع، وهو اتباع ـ كما سيأتي ـ يضمن الحرية، ويلامس الواقع بصدق، ويبحث له عن فضاء أرحب، ومستقبل أفضل، وفعالية أجدى. ومصطلح (الواقعية الإسلامية) مصطلح حديث الاستخدام، ضيق الانتشار، لكنّ مرادفاته، أو ما يشاركه في مادته أو مساره يعززه ويقويه، كـ (التصور الإسلامي) أو(النقد الإسلامي) أو(الأدب الإسلامي) وقضية المصطلح ليست ثانوية، فكما رفض النقاد المسلمون القوالب النقدية الغربية الجاهزة، ودعَوا إلى إقامة مذهب نقدي إسلامي نابع من المجتمع وطبيعته، ومتوافق معه، كذلك يجب أن يُفعلَ مع المصطلح، إذ حريٌّ بالنقاد أن يجدوا مصطلحات جديدة محلية الصنع، وغير مستوردة من الغرب، مصطلحات تتناسب مع تاريخنا وثقافتنا ودِيننا، فنحن ـ وإن قبلنا بعض المصطلحات النقدية بداية لحداثتها ـ لابد لنا بعد الدراسة والتعمق من إيجاد بديل محلي، هذا ما نادى به الكيلاني مخاطبا بها النقاد والمختصين، مُظهرا تخوفه من رفض بعض الكُتَّاب العرب لطرحه هذا،[42] وهذا ما حدث فعلا، حيثُ أُبعِدَ الكتّابُ الإسلاميون عن الساحة، وسيطر المستغربون على المنصات الأدبية.

وأهم الخصائص التي تتسم بها الواقعية الإسلامية، أو تتفرد، هي:

---

[40] قطب، محمد، *منهج الفن الإسلامي*، ص.62.
[41] السيد، وجيه، *الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة*، ص.119.
[42] الكيلاني، نجيب، *مدخل إلى الأدب الإسلامي*، ص.147.

1.3.1. الربانية

لكل عمل فني أو نقدي مرجعية فكرية خاصة (عقيدة)، تختلف باختلاف المدارس النقدية ذاتها، غير أن الواقعية الإسلامية تتفرد بعقيدة لا يجاريها فيها غيرُها، فعقيدتها ليست فلسفية أو اجتماعية أو سياسية تابعة لشخص ما، أو حزب ما، بل هي عقيدة ربانية سماوية، أنزلها الله ـ عز وجل ـ دستورا كاملا وشاملا، يشمل خيرُها البشرَ كلهم، وواجبنا تجاهها التلقي والإدراك والتطبيق بلا تصورات مسبقة، وهي ضرورية لنا؛ لأن الفكر الإنساني ـ مهما تقدم ـ يبقى عاجزا عن فهم أشياء كثيرة، كالروح التي هي من أمر ربي، كما لا يمكن للبشر ـ مهما تطور العلم وتقدم ـ أن يفهموا حقيقة الكون والإنسان دون اللجوء إلى المصدر الأساس ـ العقيدة الإسلامية ـ لهذه الحقائق، وهذا القصور في فَهمِ حقيقة الكون والإنسان ليس ادّعاءً إسلاميا فحسب، بل هو واقع يعترف به الموضوعيون أيًّا كانت عقيدتهم، فهذا اعتراف صريح من أحد الباحثين، يُقرُّ فيه بعجز البشر عن فهم حقيقة الإنسان؛ يقول الكسيس كاريل (Alexis carrel): "لقد بذل الجنس البشري مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه، ولكن بالرغم من أننا نملك كنزا من الملاحظة التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانيين في جميع الأزمان، فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة من أنفسنا... إننا لا نفهم الإنسان ككل... إننا نعرفه على أنه مُكوّن من أجزاء مختلفة، وحتى هذه الأجزاء ابتدعتْها وسائلنا، فكل واحد منا مكون من كوكب من الأشباح، تسير في وسطها حقيقة مجهولة..."[43]. والدّين الإسلامي الذي ألزمنا بتلك العقيدة لم يترك فكرنا حائرا، بل كان من أكثر الأديان التي تدعو إلى التفكر والتدبر والتأمل، وبيّن لنا جميع الحقائق بيانا علميا لا لبس فيه، و أمرنا بالابتعاد عن الخرافة والتيه والضلال.

وربانية المنهج الإسلامي تقتضي موافقة الأدب للدين الإسلامي، فهو مرتبط به في نواحي الحياة كافة، وهذا واضح جليّ في أدب العصور الإسلامية، حيث نجد المظاهر الدينية حاضرة في ثنايا القصائد والأعمال الأدبية، فهذا الفرزدق الذي كان بينه وبين جرير ما كان من الهجاء يبدأ إحدى قصائده بـ :

إنَّ الذي سمك السماء بنى لنا بيتا، دعائمه أعز وأطول

بيتا بناه لنا المليك، وما بنــى حَكَمُ السماء، فإنّــه لا ينقل[44]

وهكذا يجب أن تكون دائما نتاجا ونقدا، فهوية الأدب الإسلامي نابعة من الإسلام المبني على عقيدة ثابتة راسخة، وارتباطُ الأدب الإسلامي بالعقيدة يجعله أكثرَ مصداقية وإيجابية؛ لأنه نابعٌ من صِدقٍ داخلي مُراقب من الخالق ـ عز وجل ـ لا من علم السياسة، أو علم الاجتماع، فالذي ينطلق في أدبه ونقده من الدِّين، الذي يتصل بالضمير الذي يراه الله، ويحاسبه يكون مندفعا للخير من ذاته ومن قلبه، اندفاعا يرضي به الله ـ تعالى ـ أولاً، ويُريحُ النفسَ والقلب ثانيا."[45] إن هناك تلازما وثيقا بين طبيعة التصور الاعتقادي والنظام الاجتماعي، وهذا التلازم لا ينفصل أبدا، ولا

---

[43] قطب، سيد، *خصائص التصور الإسلامي*، ص.53.

[44] فاعور، علي، *ديوان الفرزدق*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ط1، ص.489.

[45] السيد، وجيه، *الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة*، ص.127.

يتعلق بملابسات العصر والبيئة، بل إن هناك ما هو أكثر من التلازم، هناك الانبثاق الذاتي، فالنظام الاجتماعي هو فرع عن التفسير الإسلامي الشامل لهذا الوجود، ولمركز الإنسان ووظيفته، وغاية وجوده الإنساني"[46].

وربانية الأدب الإسلامي تعني ارتباطه بالمصدر الإلهي، فهو لا ينكر الواقع المعيش، لكنه يربطه بالحقيقة العليا المطلقة، الحقيقة الإلهية التي استعبدت الناس بالأسباب المادية، لكنها استعبدتهم بالقدر أيضا، فالقدر من أركان الإيمان بالله تعالى، (...وتؤمن بالقدر خيره وشره...)[47] وهو أيضا من خصائص الواقعية الإسلامية، ومن خلاله يمكننا فهم المعجزات التي لا يمكن للعقل أن يفسرها، كالإسراء والمعراج، وكالنار التي لم تحرق نبي الله إبراهيم عليه السلام، غير أن الإيمان بالقدر لم يعفِ المسلمَ من الأخذِ بالأسبابِ، والسعي في الأرض لتحقيق مطالبه؛ كما فعل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في غزواته وهجرته، فهو ـ مع إيمانه المطلق بالنصر ـ كان حريصا على إتمام الأسباب المادية.[48]

وربانية المنهج الإسلامي نابعة من الوسطية التي أقرها القرآن الكريم ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾[49] فلا تستسلم للأحزان والآلام التي غرقت بهما (الرومنسية) التي كانت تبحث عن الجوانب الحزينة لتبكيها وتشكوها، ولا تتوقف عند الموضوعية المادية التي سيطرت على (الكلاسيكيّة)، بل الإسلامية "مجموعة من الموضوعية والذاتية"[50] والأديب السوي هو الذي يستطيع أن يجمع بين الذاتية والموضوعية، فيأخذ الموضوعاتِ من الواقع، ويُضفي عليه شيئا من روحه، ومن مثله العليا، دون الإخلال بواقعيتها وموضوعيتها، إنه يقف على الأرض لكنه يحلق بفكره عاليا؛ لينتج أجمل صورة، ويرسم أفضل أمل.

2.3.1. الثبات

الدين الإسلامي ثابت الأركان والعقيدة، فعقيدته لا تتبدل ولا تتغير بتغير الزمان أو المكان، والواقعية الإسلامية التي تستمد مبادئها من الإسلام تكون كذلك، لقد رأينا سابقا كيف تطورت الواقعية الأم إلى الواقعية النقدية، ثم إلى الواقعية الاشتراكية، بل الواقعية ذاتها جاءت ردا على (الرومانتيكية)؛ وذلك بسبب قصور كل مدرسة أدبية في جوانب ما، أما الواقعية الإسلامية فهي تتشرب نهجها من الإسلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لقد حفظه الله من التبديل والتحريف، فالحلال حلال، والحرام حرام، لا يتغيران، لكن هذا الثبات لا يعني الجمود والتحجر، بل هو تحليق ضمن فضاء محدد، إنها الحركة داخل إطار ثابت، حول محور ثابت، وهذه الحركة حول المحور الثابت متوافقة توافقا علميا تاما مع طبيعة الكون، فالذرة ـ التي هي مادة هذا الكون ـ ذات نواة ثابتة، تدور حولها الألكترونات في مدار ثابت.[51] والحركة والبحث من طبيعة الإنسان الفطرية، بل هي أمر من الله عز وجل ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي

---

[46] قطب، سيد، *خصائص التصور الإسلامي*، ص.24.
[47] النووي، يحيى بن شرف، *صحيح مسلم*، المطبعة المصرية بالأزهر، ط1، 1929، 157/1.
[48] ساعي، أحمد، *الواقعية الإسلامية في النقد والأدب*، ص.21.
[49] سورة البقرة، 143/2.
[50] الكيلاني، نجيب، *الإسلامية والمذاهب الأدبية*، ص.52.
[51] قطب، سيد، *خصائص التصور الإسلامي*، ص.75.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾[52] لكنها تبقى متناسقة مع طبيعة الكون، في الدوران حول محور ثابت، والثبات في العقيدة الإسلامية تشمل كل ما يتعلق بالكون والإنسان، من حيث أصله، وصلته بربه، وعبوديته له، وعقيدته، ودينه، لا تتبدل ولا تتغير، خلاف المدارس الأخرى التي ترى في أصل الإنسان رؤى مختلفة، تتغير وتتبدل بتبدل الزمان أو المفكرين.

إن حركة الإنسان ضمن المحور الثابت تعطيه المزيد من المدلولات والصور، ولا تبقيه جامدا أبدا،[53] وهذا يعني ـ في النقد الإسلامي ـ ثبَاتَ المبادئ والمعايير، مع تنوع الصور وتعددها، فالإسلام لا يقف حاجزا دون الإبداع الفني بصوره كافة، ولا يقف سدا منيعا ضمن الفن الواحد، لكن المعايير تبقى ثابتة في كل فن، وفي كل لون. ولا يعني الثباتُ محاربةَ التطور أبدا، بل الإسلام أمر بالبحث والنظر في السماوات والأرض، والسير في الأرض، واكتشاف حقيقة الأشياء، لكن هذا كله يتم وفق الرؤية الإسلامية الثابتة.

3.3.1. الالتزام

الالتزام الإسلامي يعني الطاعة، يعني الالتزام بقوانين الإسلام وأحكامه وقيمه سلوكا وعقيدة التزاما يبعث الرضا في النفس، والطمأنينة في القلب، والعزيمة التي لا تفتر، إنه الوثاق المتين بين الإنسان ونفسه ومحيطه وخالقه،[54] والالتزام ليس حكرا على الواقعية الإسلامية، بل هو من خصائص الواقعية الاشتراكية أيضا، فالشاعر عند الواقعية الاشتراكية لا يصف الناس كما يحب أن يكونوا، أو كما يجب أن يكونوا، بل يصفهم على ما هم عليه، والتزام الناثر عندهم كالتزام الشاعر،[55] والالتزام في الواقعية الإسلامية ليس ذاك الالتزام القسري الذي يُفرض من الخارج، ويكون قيدا على الأدب والأديب، بل هو الالتزام النابع من الداخل، من النفس التي عرف صاحبُها حقيقة الطبيعة، وحقيقة البشر، فيكون مع التزامه حرا طليقا "إن الالتزام في نطاق الحرية الإسلامية لا يضع قيدا على الفكر، ولا يعطل مسيرة أي جهد علمي، ولا يصادر إبداعا فنيًّا، إنه تحرير للطاقات الإنسانية كي تؤدي دورها، وتحقق ذاتها، ولا يحد من طبيعة التفاعل الخلّاق"[56] فللحاكم ـ مثلا ـ كاملُ الحرية في إقامة العدل بين الناس، ونشر الفضائل، وإقامة الدولة، لكن ليس له الحق في الظلم والاستغلال والطغيان، وللفرد الحريةُ الكاملة في العمل والكسب والثقافة والسعي، لكن ليس له الحق في السرقة، وأكل أموال الناس بالباطل، و إيذاء الآخرين بالقول أو الفعل.[57] كما أنّ هذا الالتزام لن يجعل الأدب مكررا بقالب واحد، بل سيفجر أشكالا فنية جديدة، وطرقا فكرية جديدة، لأن النفوس البشرية لا يمكن أن تتشابه تشابها مطلقا، فما دام الالتزام واحدا والنفوس مختلفة، فسيولد شكل فني جديد.[58] وهو ليس بدعا في الفن الإسلامي، بل لكل مدرسة أدبية التزام ما، سواء اعترف به أصحابها أم لم يعترفوا، لكن الالتزام الإسلامي يختلف عنه في المدارس الأخرى، من حيث مصدر الالتزام، إنه مراقبة داخلية للخالق

---

[52] سورة يونس، 101/10.
[53] قطب، سيد، *خصائص التصور الإسلامي*، ص.79.
[54] الكيلاني، نجيب، *مدخل إلى الأدب الإسلامي*، ص.79.
[55] هلال، محمد غنيمي، *النقد الأدبي الحديث*، نهضة مصر، القاهرة، 1997، ص.456.
[56] الكيلاني، نجيب، *مدخل إلى الأدب الإسلامي*، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، 1407هـ، ط1، ص.84.
[57] الكيلاني، نجيب، *الإسلامية والمذاهب الأدبية*، ص.67.
[58] ساعي، أحمد، *الواقعية الإسلامية في النقد والأدب*، ص.35.

ـ سبحانه ـ الذي أمر بالعدل، والصدق، والشورى، ومنح الحرية التي هي من روح ذاك الالتزام، فـ "الإسلامية في الأدب هي انطلاق الأديب في العملية الإبداعية من رؤية أخلاقية تبرز مصداقيته في الالتزام، بتوظيف الأدب لخدمة العقيدة والشريعة والقيم وتعاليم الإسلام ومقاصده، وتبين إيجابيته عند معالجة قضايا العصر والحياة... فلا يصدر عنه إلا نتاج أدبي متفق مع أخلاق الإسلام وتصوراته ونظرته الشاملة للكون والحياة والإنسان..."[59]

4.3.1. الإيجابيّة

تسعى الإيجابية في الأدب الإسلامي إلى ارتقاء الإنسان وسموه، وترفُّعِهِ عن الشهوات التي يطلبها الجسد، دون أن تنكرها، بل تستنهضه بما زرع الله به من القوة الهائلة، فهي لا تنكر عليه الخطأ، بل تنكر عليه استسلامه له، وضعفه أمامه، والإيجابية في التصور الإسلامي ليست حكرا على طبقة اجتماعية معينة، أو أشخاص ذوي صفات محددة، كالأنبياء، أو العلماء، أو الأدباء، بل هي صفة حريٌ بكل إنسان أن يتصف بها،[60] فإن كانت الواقعية الأوربية النقدية تنقد الواقع كما هو، حتى لو كان تشاؤميا لا أمل فيه، فإن الواقعية الإسلامية تنقد الواقع بإنصاف مشفوع بالأمل المرتبط بالإيمان بالله ـ تعالى ـ فلا تستسلم للتشاؤم، ولا تبني آمالا مزيفة خيالية.[61] و الإيجابية في الأدب الإسلامي هادفة، تجسّد الروح الإسلامية في كل شيء، وتعبر عن القضايا الاجتماعية بصدق ووضوح، مبتعدةً عن الغموض الذي أصاب بعض المناهج الغربية، ولا يعني هذا الوضوحُ السطحيةَ أو الضعفَ الفنيَّ، ولا يعني تحوّلَ الأدب إلى خطب الوعظ والإرشاد، بل هو أدب فنيٌّ رصين، يحتوي القضايا الواقعية، وينبع من داخل الأديب المتفاعل مع دينه فكرا ومنهجا وسلوكا، فالأدب ليس للتسلية والمتعة وملء الوقت فحسب، بل له هدف سام وعال.[62]

والإسلام يسعى لتوظيف كل الطاقات البشرية، والموارد الطبيعية، في خدمة الخير والحق والجمال، الذي فيه نفعُ ومصلحة البشرية جمعاء، فالإسلام لا يؤمن بجوهرية الشر، ولا يعتبره أصيلا في النفس البشرية، بل هو ـ أي الشر ـ عارض يمكن علاجه والتخلص منه، والشر أو القبح يتجسدان في وضع الأشياء في غير أماكنها الصحيحة، كالنار التي يحتاجها الإنسان دائما، وهي خير له، لكنها تكون شرا إذا خرجت عن مسارها المحدد، ومكانها الصحيح.[63]

ومن الإيجابية أيضا طريقة تصوير المواقف البشرية فنيا، حيث يختلف التصور الإسلامي عن غيره في تصوير لحظات الشذوذ البشري، فالشذوذ ليس ملازما للإنسان، وليس أصيلا في تركيبه النفسي أو الجسدي، بل هو لحظة ضعف يستطيع الإنسان أن يتجاوزها، ويتطهر منها، ولا يُغفل الإسلام طبيعة الإنسان، فهو ضعيف يقع في الخطأ، غير أنه لا يجوز له

---

[59] الأزهري، صنع الله، مفهوم الأدب الإسلامي وإسلامية الأدب عبر العصور، *مجلة العلوم الإسلامية والدينية* "العدد2" المجلد2، 2017، ص.64، (63-76).

[60] السيد، وجيه، *الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة*، ص.136.

[61] القاعود، محمد، *الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني*، ص.17.

[62] السيد، وجيه، *الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة*، ص.139.

[63] الكيلاني، نجيب، *الإسلامية والمذاهب الأدبية*، ص.48.

الاستسلام له، فلا بد من الموازنة بين حاجات الجسد و سمو الروح؛ ليرتقي الإنسان إلى درجات الكمال والجمال، غير مستسلم للرغبة الجسدية.[64] والواقعية الإسلامية لا تسرف في وصف المشاهد السلبية الشاذة، بل تشير إليها إشارة جليّة واضحة، لكنها أدبية، لتنتقل إلى الوجه الآخر، إلى الوجه الإيجابي، لقد وردت قصة يوسف ـ عليه السلام ـ مع امرأة العزيز في القرآن الكريم واضحة جلية، وكانت مشاهدها مستوفية العناصر القصصية، لكنها كانت بألفاظ أدبية راقية، تحكي القصة بتفاصيلها، دون خدش للحياء؛ لتنتهي نهاية إيجابية، حيث تعترف امرأة العزيز بفعلها، وببراءة يوسف ـ عليه السلام ـ، وهكذا يكون تناول المشاهد المماثلة في الأدب الإسلامي، لا ننكر وجودها، لكننا لا نتغنى بها، ولا نعسكر حولها، ولا نحوم في فضائها كثيرا، كما تفعل بعض الروايات التي تسرف في تصوير المشاهد السلبية، وعلى رأسها المشاهد الجنسية، التي انتشرت في الغرب، ونقلها بعضُ كُتّابنا العرب إلينا ترجمة أو ابتداعا، وكان لها أثر سلبي بالغ، حتى نشطت بعض الدول في منعها، كروسيا التي رأت فيها عائقا في طريق التقدم والنهوض، لقد أخطأ الذين نقلوا تلك الصور من الغرب إلينا ناسين اختلاف الأعراف والطبيعة والمبادئ، علما بأن الجنس يختلف عن الحب،[65] يقول السيد أحمد فرج "... وأن هذا المجتمع المسلم له خصائصه المخالفة لخصائص المجتمع الغربي، وأن عناصره الروحية والمادية متباينة مع نظائرها في الغرب الصليبي..."[66]

وتشمل الإيجابية علاقة الإنسان بالإله، فالمسلم يؤمن بإله حقيقي، خلقه ورزقه وقدر له كل شيء، وهو إله رحيم لطيف عليم خبير، وهو على كل شيء قدير، لا يمكن تشبيهه بالإلهة التي افترضها العقل البشري، فنراها متعجرفة ظالمة متهورة، كالآلهة التي افترضها الإغريق، أو متصارعة أحيانا كتلك الآلهة التي افترضها الفرس،[67] فالله الذي يؤمن به المسلمون هو الإله الحق، أعطى كل شيء خلقه، منه نستمد القوة والإيجابية، وهو الذي يحث المسلم على الإيجابية والعمل والعطاء، فالعمل هو التمثيل الفعلي للإيمان، والمسلم يحمل طاقة إيجابية، ويرغب دائما في تفريغها في الخير، والعمل البنّاءِ على الصعد كافة.[68] وتشمل كذلك علاقة الإنسان بالمجتمع، إذ هي علاقة بناء وتكامل، لا علاقة إقصاء وتنافر، فالمجتمع للفرد، والفرد للمجتمع، يكمُلُ المجتمع بالفرد، ويرتقي الفرد بالمجتمع إذا كَمُلَ، وكماله عن طريق البناء والإصلاح والعلاج، لا عن طريق الهدم والاستسلام، فالواقعية الإسلامية تفاؤلية، وليست تشاؤمية، ولا سوداوية.[69]

وفي تحقيق الإيجابية لابد من المثالية، ليست تلك المثالية التي تنعزل عن الواقع وتحلق في فضاء بعيد، بل المثالية التي تنطلق من الواقع حالمة بوضع حلول لمشكلاته، تفكر بتطويره وتحسينه، مثالية تفكر بعلاج المريض، وإطعام الجائع، وكسوة العريان، ونشر الأمان، وتحقيق السعادة للجميع، فالأديب الحق هو الذي تقف قدماه على الأرض لكن هامته وفكره يلامسان السماء، إذ لا يتحقق الخلودُ لأدبه لولا مثاليته، فلولا أحلام ابن فرناس لما صنعت الطائرات،

---

[64] السيد، وجيه، *الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة*، ص.136.
[65] الكيلاني، نجيب، *الإسلامية والمذاهب الأدبية*، ص.56.
[66] فرج، السيد أحمد، *أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب*، دار الوفاء، المنصورة، 1990، ط1، ص.187.
[67] قطب، سيد، *خصائص التصور الإسلامي*، ص152-156.
[68] قطب، سيد، *خصائص التصور الإسلامي*، ص.162.
[69] الكيلاني، نجيب، *الإسلامية والمذاهب الأدبية*، ص.50.

ولولا الخيال العلمي، والتفكير بالكواكب وما تحويه، لما صنعت مراكب الفضاء، إنها الواقعية الإسلامية التي تحمل على عاتقها هموم البشرية جمعاء.

5.3.1. الإنسانيّة (الشمول)

الشمول أعم من الإنسانية، فالشمول هو ربط كل شيء بالله ـ عز وجل ـ الخالق المدبر المتصرف، وما من شيء نراه أو نسمعه أو نعلمه إلا خلقٌ من خَلقِ الله ـ تعالى ـ، وهذا الجانبُ في التصور الإسلامي يعطي القلبَ والعقلَ طمأنينةً وراحة، ويخلصه من الضياع، ومن التّيه الذي قد يقع فيه، وذلك عندما يربط كلَّ شيء بالله ـ تعالى ـ مبتعدا عن الفلسفات المتناقضة، والتفسيرات المتغيرة.[70] لكن ما يهمنا في هذا البحث من معنى الشمولية هو الإنسانية، إذ لا يُفرقُ الإسلام بين أبيض و أسود، ولا بين عربي وأعجمي، ولا بين غني وفقير، فلا عنصرية في الإسلام، ولا عصبية، فالتصور الإسلامي للكون والحياة عموما يشمل جميع البشر، مسلمهم وغير مسلمهم، فالعدالة والأمانة والإنصاف ـ مثلا ـ تكون مع البشر كافة، وليس مع المسلمين دون غيرهم، فلا يجوز الظلم أيا كان المظلوم، ولا يجوز الغش أيا كان المغشوش، ولا يجوز نقض العهد أيا كان المنقوض عهده، فالإنسانية من الخصائص الأصيلة للأدب الإسلامي[71]، والإسلام لا يتقيد بلون أو عرق أو جنس، ولا يتناول طبقة اجتماعية دون أخرى، كما فعلت الواقعية الاشتراكية، التي وجهت سهام النقد للطبقة المتوسطة، فهو يذم الظالم أيًّا كان المظلوم، ويدافع عن الحق أيا كان صاحبه، وينسب الفضل لأهله، فالخير موجود في كل الطبقات، كذلك الشر،[72] وتشمل إنسانيةُ الواقعيةِ الإسلاميةِ جوانبَ الحياة بكل تفصيلاتها، موازنة بين قيمها، فلا تتقدم قيمة على حساب قيمة أخرى.[73] فالتصور الإسلامي " شامل متوازن منظور فيه إلى كل جوانب البشرية أولا، ومنظور فيه إلى توازن هذه الجوانب وتناسقها أخيرا، ومنظور فيه كذلك إلى جميع أطوار الجنس البشري، وإلى توازن هذه الأطوار جميعا"[74] فهو أدب عالمي ومستمر، لا يتوقف عند تاريخ، ولا عند طبقة أو جماعة محددة.

6.3.1. الأسلوبيّة

العناية بالأسلوب سمة الواقعية الإسلامية، بل هي سمة الواقعية عموما، غير أن هناك من اتهم الواقعية الاشتراكية والواقعية النقدية بإهمال الأسلوب، والاهتمام بالمنطق الذي يحمله الأدب فحسب، وهذا اتهام دفعه الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه (النقد الأدبي الحديث)[75] بينما نسبه إلى (زولا) في كتابه (الأدب المقارن)[76] دون دفعه، فالواقعية الإسلامية عُنيت بالأسلوب كأخواتها الواقعيات، لأن العناية بالأسلوب ترتقي باللغة، وتصبح اللغة أكثر قدرة على

---

[70] قطب، سيد، *خصائص التصور الإسلامي*، ص.100.
[71] السيد، وجيه، *الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة*، ص .143.
[72] القاعود، محمد، *الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني*، ص.18.
[73] قطب، محمد، منهج الفن الإسلامي، ص.44.
[74] قطب، سيد، *خصائص التصور الإسلامي*، ص.43.
[75] هلال، محمد غنيمي، *النقد الأدبي الحديث*، ص.614.
[76] هلال، محمد غنيمي، *الأدب المقارن*، نهضة مصر، القاهرة، ط9، 2008، ص.313.

حمل المعاني السامية، والقيم الجمالية الكبرى.[77] والأدب الإسلامي مستمد من القرآن الكريم الذي وصفه الله ـ تعالى ـ بأنه نزل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[78] فالإبانة والبعد عن الغموض من صفات كلام الله ـ عز وجل ـ، ويجب أن يتصف بها الأدب الإسلامي، كما يجب أن يكون عرضه للأحداث بعيدا عن المباشرة والوعظ، وهذا ما نجح فيه الأدب الإسلامي مؤخرا في مجال الرواية، إذ كانتْ الرواية في مقدمة الأجناس الأدبية التي واكبت التطور الفني العربي،[79] ويمكن أن نلحق بالعناية بالأسلوب صفة الجمال التي هي من خصائص الأدب الإسلامي، فالله جميل يحب الجمال[80]، وللعين جمال، وللأذن جمال، وللروح جمال، جمالٌ يشدُّ الإنسانَ إليه، فالمنظر الجميل يجعل الناظر مشدوها إليه، محلقا في سمائه، كذلك النص الجميل، يشد القارئ إليه، والجمال من القيم التي اتفق الفلاسفة القدماء عليها، وهي الحق والخير والجمال، وهو من أسباب ارتقاء الروح وسمو النفس، "فالجمال سبب من أسباب الإيمان، وعنصر من عناصره، والقيم الجمالية الفنية تحمل على جناحيها ما يعمق هذا الإيمان ويقويه، ويجعله وسيلة للسعادة والخير في هذه الحياة"[81].

4.1. أهميّة الواقعيّة الإسلاميّة

إن "الواقعية كما يعرضها الإسلام في أسلوبه العقدي والمعرفي والمنهجي، تُعَدُّ أمرا ضروريا لازما للحياة البشرية، لا تستطيع أن تنهض من دونه، ذلك لأن الحياة (معاناة واقعية) وهو ما يسميه القرآن بالمكابدة، في مثل قوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[82] ... ومحاولة دائمة لمواجهة واقع معين لا مفر من مواجهته، بما فيه من مشكلات أو مشاق، ويحتاج الأمر دائما إلى (الروح الواقعية) في هذه المواجهة، وإلا تراكمت المشكلات والمشاق، بدلا من أن تحل، وأصبحت الحياة غير محتملة أو غير معقولة، أو غير ممكنة على الإطلاق"[83]

من هذا المبدأ تكون الواقعية الإسلامية مطلبا بشريا لا إسلاميا فحسب؛ وذلك لما تحمله من صفات وخصائص تقدَّم ذكرها، فالواقعية الإسلامية هي التي تربط الواقع الأرضي المعيش بالحقيقة السماوية المطلقة، والإسلام يربط الفنون كافة بالواقع الإنساني، بعيدا عن الخيال، ساعيا لرفع الإنسان من أوحال الواقع وخبائثه، إلى أزهاره وطيباته وقيمه العليا.[84] والواقعية الإسلامية مستمَّدة من الدين الإسلامي الذي يعتمد على القرآن الكريم، والقرآن الكريم لم يخلُ من فن القصص، وقصص القرآن الكريم واقعية حقيقية هادفة، تحمل في طياتها الموعظة والعبرة

---

[77] القاعود، محمد، *الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني*، ص.22.

[78] سورة الشعراء، 195/26.

[79] الشنطي، محمد صالح، تقنيات الشكل في الرواية الإسلامية، كتاب مؤتمر: *نحو منهج إسلامي للرواية*، الملتقى الدولي للأدب الإسلامي، مراكش، 2007، ص.49.

[80] النووي، يحيى بن شرف، *صحيح مسلم*، 89/2.

[81] الكيلاني، نجيب، *مدخل إلى الأدب الإسلامي*، ص.89.

[82] سورة البلد، 4/90.

[83] برغوث، الطيب، *الواقعية الإسلامية في خط الفعالية الحضارية*، مركز الراية للتنمية الفكرية، دمشق، 2006، ط1، ص.50.
و : قطب، محمد، *منهج التربية في الإسلام*، دار الشروق، القاهرة، 1988، ط11، 352/2.

[84] ساعي، أحمد، *الواقعية الإسلامية في النقد والأدب*، ص.154.

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...﴾[85] والإسلام يسعى لتوظيف كل طاقات الإنسان وموارد الطبيعة في الخير والجمال والحق.[86]

ولكل أمة عبر العصور أدب تمتاز به من غيرها، يؤرخ حضارتها، ويتحدث عن طبائعها، ويكون هوية لها، ولسانا ناطقا باسمها، وقديما قالوا: الشعر ديوان العرب، ولكل أمة شعر وديوان، ويتنوع الأدب فنيا ليشمل الشعر والنثر، ويتنوع كلٌّ قسمٍ نِتاجا، فهناك المقالة والقصة والرواية والمسرحية و...، وهناك من يتناول هذه الفنون من زاوية خاصة، فنجد الجانب الاجتماعي والسياسي و الاقتصادي و الديني وغيره، ومنه الواقعي ومنه الخيالي، ولأن الإسلام دين عظيم بمبادئه ومصادره ورجاله وتاريخه؛ كان لابد له من أدب خاص به، ونقدٍ يتناول نتاجه بمعاييره الخاصة، بعيدا عن القوالب المستوردة، والمعايير الغريبة أو الغربية " فالحضارة العربية تحتاج أن تفهم من داخلها، ومن خلال مصطلحاتها وتعبيراتها الخاصة، ومن خلال رؤاها التي تكشف العالم المحيط بها"[87] و الأدب في الإسلام ليس رفاهية أو فضلة، بل هو عنصر من عناصر الحضارة الإسلامية، ولَبِنَة مهمة في بنائها،[88] ولا ننسى أن المعجزة الإسلامية الكبرى والخالدة هي القرآن الكريم الذي تحدى الله به الإنس والجن بأن يأتوا بمثله، نظما وبلاغة وحسن تركيب ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[89] والأدب الذي نتحدث عنه مسرحُه اللغة التي ترتقي بارتقائه وتهبط بهبوطه، فالاهتمام بالأدب سبيل من سبل الاهتمام باللغة وسموها، وبالتالي سبيل لفهم القرآن الكريم، والاستمتاع بحسن بيانه، وبليغ كلامه، وهذا يقتضي أن يكون أسلوب الأدب الإسلامي راقيا عاليا، فالأسلوب الضعيف يجعل القارئ زاهدا ملولا، والجيد منه يجعل القارئ مشدودا إليه محلقا فيه، والعناية بالأسلوب تقتضي العناية بالمضمون المفيد، وتنوعه.

وإسلامية الأدب لا تشترط اللغة العربية، فالمسلمون ليسوا على لسان واحد، بل فيهم الكردي والتركي والفارسي والفرنسي...، وبالتالي حري بكل أديب مسلم أيًّا كانت لغته أن ينتج أدبا رزينا بلغته، يحمل خصائص الأدب الإسلامي وقيمه.[90]

والإسلام مستهدف من أعدائه، واستهدافه شامل ومتنوع، استهدافٌ عسكريٌّ وفكريٌّ وفنيٌّ، والسلاح المفترض أن يحمله المسلم يجب أن يكون من جنس سلاح أعدائه، وبذا تكون مقاومةُ الاستهداف الفكري فِكرا مُضادا، فكرا صحيحا قويا يضمن قوّة المجابهة المؤديةِ إلى النصر، لقد أنشأ الغرب " آلاف المؤسسات ومراكز الإنتاج، وهي جميعا تعتمد على فكر أدباء وكتّاب يمولونها بما تريده من موضوعات تخدم أهدافهم"[91] الرامية إلى استهداف الإسلام، والرد لا يكون إلا بأدب مُضَاد، يحمل قِيم الإسلام، ومكارمَ الأخلاق. والواقعية الإسلامية أو النقد الإسلامي يعتمد على النتاج الإسلامي، والرواية من ضمن هذا النتاج، ولكي تنجح الرواية لابد

---

[85] سورة يوسف، 4/12.
[86] الكيلاني، نجيب، *الإسلامية والمذاهب الأدبية*، ص.48.
[87] السيد، وجيه يعقوب، *الرواية المصرية في ضوء المناهج النقدية الحديثة*، ص.127.
[88] الكيلاني، نجيب، *مدخل إلى الأدب الإسلامي*، ص.18.
[89] سورة الإسراء، 88/17.
[90] الكيلاني، نجيب، *مدخل إلى الأدب الإسلامي*، ص.43.
[91] محمد أحمد، أحمد حسن، التوظيف الإعلامي للرواية الإسلامية، *نحو منهج إسلامي للرواية*، ص.219.

من انتشارها وتنوعها، ولابد لها أيضا أن تكون متوفرة بين أيدي الناس قراءة وسماعا ومشاهدة، لأن هدفها سام ومهم للمجتمع المسلم، لذا يجب أن تكون رائدة بما تحمله من القيم والمبادئ والخصائص الواقعية، فهي حينذاك أكثر قدرة على إثارة القارئ[92]؛ لواقعيتها، وأكثر فائدة له لما تحمله إسلاميا من الهدي والإرشاد، إنها وسيلة مهمة من وسائل تنشئة المجتمع وتربيته، تبين حضارة الإسلام وعدله وحِكَمَه، ناهيك عن دَورِ أسلوبِ الكاتبِ الشائقِ والماتِعِ إن نجح في ذلك أيضا.

لقد انتشر مؤخرا في المجتمع المسلم أدبٌ مترجم عن الأدب الغربي، أو مستحدث يسير في ركب الأدب الغربي، حمل لواءه الشيوعيون والعلمانيون، كانت محاربة القيم الدينية الإسلامية إحدى أهم أولوياته، مُدَّعين وجوب انفكاك الأدب عن الدين لما يسببه ـ حسب زعمهم ـ من قيود، فنشروا أفكارا وصورا سلبية، يخجل القارئ منها، لقد سخروا من الصلاة، ورحبوا بنشر الصور الشهوانية، وفتحوا المجال الرحب للاستهزاء بالدين، والنيل من الرسائل السماوية، لقد قالها أدونيس "وهذا يفترض إبداعيا تفكيك البنى القديمة في مختلف المجالات وتهديمها، وخصوصا ما يتصل منها بالدين والسلطة والجنس، فهذه قلاع تحكم المجتمع العربي "[93] فرأى الأدباء المسلمون وجوبَ التصدي له، وسعَوا في نشر أدب مضاد، يكون بديلا إيجابيا، يحمل الفكر الصحيح، والصورة الخلّاقة، التي تعوّضُ القُرَّاءَ وتُنيرُ العقول بما هو مفيد، دون قيد، فقد سبق أن الالتزام لا يعني التقييد، حتى الصور الجنسية يمكن عرضها عرضا أخلاقيا لا حرج فيه، كما عرضها القرآن الكريم في سورة يوسف، بألفاظ أدبية رفيعة، تُقرأ أمام الجميع، لا أن يعسكر الكاتب في فضاء الألفاظ الصريحة، والصور المثيرة، حتى يجد القارئ حرجا في قراءة النص أمام نفسه بصوت مرتفع.

5.1. رواد الواقعية الإسلامية

لكل علم روّادٌ أوائل دعوا إليه، وأرسَوا بناء لبناتِه الأولى، والواقعية الإسلامية أو الفن الإسلامي لم يشذ عن هذا، فكان أبو الحسن الندوي من أوائل الذين دعوا إلى إقامة فن إسلامي، يتميز من غيره بما يحمله من صفات وخصائص، ثم جاءت كتاباتُ الأخوين محمد وسيد قطب؛ لتحدد خصائصَ ومنهجَ الفنِّ الإسلامي من خلال كتابيهما (منهج الفن الإسلامي) و (خصائص التصور الإسلامي) اللذين كانا عمادَ هذا الفن، والمرجعَ الأساس لكثيرٍ ممن جاء بعدهما، ثم جاء نجيب الكيلاني ليضيف إلى البناءِ لَبِنَةً جديدة من خلال كتابيه (الإسلامية والمذاهب الأدبية) و (مدخل إلى الأدب الإسلامي) فيتلوه عماد الدين خليل بنقلة جديدة من خلال كتابه (النقد الإسلامي المعاصر) وغيرهم،[94] أما من حيث الإنتاج فقد عُدَّ نجيبُ الكيلاني الكاتبَ الأولَ للرواية الإسلامية المتنوعة، مع أنه لم يقتصر في كتابته على الرواية الإسلامية، بل حلَّق في فضاء الرواية (الرومنسية) والتاريخية والدعوية.[95]

---

[92] محمد أحمد، أحمد حسن، التوظيف الإعلامي للرواية الإسلامية، *نحو منهج إسلامي للرواية*، ص.221.
[93] بويوزان، بنعيسى أحمد، الفن والأخلاق في الرواية الإسلامية، *نحو منهج إسلامي للرواية*، ص.365.
[94] الكيلاني، نجيب، *مدخل إلى الأدب الإسلامي*، ص.13.
[95] الشنطي، محمد صالح، تقنيات الشكل في الرواية الإسلامية، *نحو منهج إسلامي للرواية*، ص.49.

والواقعية الإسلامية أو الأدب الإسلامي عموما ليس له حد تاريخي واضح، ولا حَدٌّ تعريفي، لذلك نجد من الإنصاف أن نشير إلى من عني بالأدب الإسلامي قبل ظهور مصطلح الواقعية الإسلامية، أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا،[96] إذ تناولوا مواضيع تعد من صلب الواقعية الإسلامية؛ كقضية الخلافة، وما ترنو إليه من توحيد كلمة المسلمين، وقضية الهوية الإسلامية، وما تصبو إليه من تمثل القيم الإسلامية، و القضايا التي من شأنها النهوض بالأمة كالعدل، والمساواة، والحرية، والترابط الاجتماعي، ثم جاء بعدهم من يكمل المسيرة، كعبد الحميد جودة، ومحمد سعيد العريان، ومحمد عبدالحليم عبدالله، وعلي أحمد باكثير، وأيمن العتوم، وعماد زكي، ولا يزال هذا الفن ينتظر المزيد والجديد من النقاد والمبدعين الإسلاميين؛ ليزداد ثَراءً نتاجا ونقدا.

2. الكاتبة (خولة حمدي) ورواياتها

1.2. خولة حمدي

خولة حمدي، كاتبة تونسية، وُلدت في تونس العاصمة عام 1984م، تتمتع بالجنسيتين التونسية والفرنسية، حصلت على شهادة الماجستير من فرنسا عام 2008م في الهندسة الصناعية، ثم حصلت على درجة الدكتوراه في بحوث العمليات (الرياضيات) عام 2011م من فرنسا أيضا، وتعمل حاليا أستاذة جامعية في جامعة (الملك سعود) بالعاصمة السعودية (الرياض) ضمن مجال تقنية المعلومات[97]، لها أربع روايات، أسبقها في الإيداع "في قلبي أنثى عبرية" عام 2013م، ثم "غربة الياسمين" وتاريخ إيداعها 2014م، ثم " أن تبقَي" وتاريخ إيداعها 2016م، ثم "أين المفر" وتاريخ إيداعها 2015م.

لقد اجتهد الباحث في الوصول إلى الكاتبة خولة حمدي المقيمة في الرياض عبر وسائل التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) والتواصل معها، غير أن محاولاته باءت بالفشل، ليُفيده غيرُ واحد من المتابعين لها بأنها لا تتواصل مع متابعيها عبر ذلك الموقع، وكانت الرغبة في التواصل معها للتعرف على حيثيات الروايات، ولا سيما (أين المفر) لكن ذلك لم يتم .

وهناك رواية خامسة تُنسبُ إلى خولة حمدي، تحمل عنوان (أحلام الشباب) موجودة على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، غير أن الكاتبة لم تُشِر إليها في صفحتها على موقع (الفيسبوك)، وكان أسلوبها ـ أحلام الشباب ـ أكثر سهولة وبساطة، ولم أستطع التأكد منها بسبب استحالة الوصول إلى الكاتبة.

---

[96] أركيبي، رشيد، الرواية الإسلامية ومجالات الالتزام، *نحو منهج إسلامي للرواية*، ص.85.

[97] /خولة-حمدي/WWW.KATARANOVELS.COM/NOVELST 2018/10/10م سا 10:40

2.2. الروايات

للكاتبة أربع روايات، سَبَقَ ذِكرُ أسمائها، وقامت الكاتبة بنشر صور أغلفتها مرارا في موقعها الإلكتروني في (الفيسبوك)، كما قامت بالتحذير من رواية منحولة ومنشورة باسمها، تحمل اسم روايتها الحقيقية (أين المفر)، وهناك رواية منتشرة باسمها في الشبكة العنكبوتية بعنوان (أحلام الشباب) غير أن الكاتبة لم تشر للرواية أبدا في موقعها، وكان هذا من أسباب إصراري على التواصل معها، وقد قرأتها (أحلام الشباب) بتَمَعُّنٍ، فوجدت مضمونها متوافقا مع نَفَسِ الكاتبةِ في الرواية، غير أن أسلوبها بدا سهلا بسيطا، مفعما بالمباشرة.

وقد خصت الكاتبة دار (كيان) في القاهرة بنشر رواياتها جميعا.

1.2.2. في قلبي أنثى عبرية

تدور أحداث الرواية حول (ندى) الفتاة اليهودية، التي ساعدت شابين من المقاومة الإسلامية اللبنانية؛ لتنشأ بعد ذلك قصة حب بين ندى والشاب المصاب (أحمد) فيحول دون ارتباطهما اختلافُ الدين، لكن الحبَّ يتعمق ويتجذر، فتدخل الفتاة الإسلام، وتستعر نارُ الحربِ بين ندى وأمها اليهودية المتشددة، فتنتقل ندى إلى تونس ثم إلى فرنسا، لتعود مجددا إلى لبنان بسبب مرضها، حيث يُفقد أحمد يومَ تحرير الجنوب اللبناني، ويُظنُّ موته، فيخطِبها صديقُه حسانُ بعد أن يئسوا جميعا من عودة أحمد، وقبيل الزواج يظهر أحمد فاقدَ الذاكرة، ومنتقلا من الدين الإسلامي إلى الدين المسيحي باللاوعي، لتبدأ قصة البحث عن الذاكرة، وأخيرا تعود ذاكرة أحمد، وتتبلور بعض الأحداث التي كانت غامضة، وتنتهي القصة بزواج أحمد وندى.

لم يكن اختلاف الأديان بين أحمد وندى وحيدا، فيعقوب (جاكوب) اليهودي كان يربّي طفلة مسلمة اسمها (ريما)، وهي طفلة ماتت أمها التي كانت تعمل خادمة عند عائلة يعقوب، فأوصت يعقوبَ بها، وحفظ الوصية إلى ما قبل النهاية بقليل. وعائلة ندى كانت كذلك، فوالدها مسلمٌ وأمها يهودية، وقع الطلاق بينهما، فتزوجت والدة ندى من رجل مسيحي حَافَظَ على أولاد زوجته اليهودية من زوجها المسلم.

تنتهي الرواية نهاية سعيدة بعد مراحلَ يفقدُ القارئ أعصابه فيها، إذ كانت ندى في حيرة من أمرها، بين حسان وأحمد، لقد خطبها أحمد قبل غيابه، ثم خطبها حسان بعد فَقدِ أحمد، وبظهور أحمد تكون ندى مخطوبة لشخصين اثنين، لكن عقل حسان تغلب على المواقف كلها، ومن ضمنها عاطفته، ليجعل حيرة قلب ندى تنتهي باختيار أحمد، حيث انسحب حسان من السباق. أما ريما الطفلة المسلمة فلم تكن نهايتها سعيدة، لقد أجبرت على الرحيل من تونس إلى لبنان استجابة لرغبة زوجة يعقوب، عاشت في لبنان شهورا على أمل العودة إلى تونس، إلى يعقوب (أبيها الكفيل)، لكن صواريخ الطائرات الحربية الإسرائيلية كانت أسبق إليها من طائرة الركاب التي كانت تتمنى ركوبها عائدة إلى تونس.

كانت قصة ندى وأحمد وريما (أبطال الرواية) قصة حقيقية، أشارت إلى ذلك الكاتبة في بداية روايتها، غير أن تغييرا بسيطا طرأ على القصة مواكَبة لمقتضيات الرواية، ومحافظة على بعض الخصوصيات التي لا تريد ندى البوح بها.[98]

2.2.2. غربة الياسمين

ياسمين طالبة متفوقة، ذهبت إلى فرنسا أملا في الحصول على الدكتوراه في علم الاجتماع، نزلت ضيفة في بيت أبيها الذي طلق أمها (المسلمة)، وارتبط بامرأة ملحدة، تحزن ياسمين على أبيها المنشغل بأعماله دائما، فينشأ أولاده على غير الإسلام في حجر أمهم الملحدة، كان حجاب ياسمين المتمسكة به دينيا سبباً في مصاعبَ كثيرةٍ تعرضت لها، إذ كانت طلباتها للحصول على العمل تُرفض كثيرا، ثم تحصل أخيرا على عمل يموّلُ لها بحثها الذي يدور حول ظاهرة الانتحار في فرنسا، فتتسبب دون قصد بانتحار امرأة فرنسية.

كانت ياسمين تصادف شابا مسلما بالقطار كل يوم، أعجبا ببعضهما دون تعارف، استمر لقاؤهما الصامت ـ إلا من كلمات خفيفة ـ أياما عدة، ثم انتقلت فجأة إلى باريس، وسكنت هناك مع (رنيم) المحامية المصرية، وجدت ياسمين عندها الراحة والسكينة، وصارت الفتاتان صديقتين تتبادلان أحاديث السمر، وتخففان عن بعضهما هموم الغربة.

يحدث انفجار في الشركة التي يعمل بها الشاب الذي كانت ياسمين تصادفه بالقطار، ويُتهم ذاك الشاب بتنفيذ التفجير وبالإرهاب ظلما، فتكون ريما محامية عنه في المحكمة، وتتشابك قصص الحب بين الثلاثة، لتفشل ريما في تبرئة موكلها الذي يُحكم عليه بعشرين سنة سجنا. أما ياسمين فكانت أيامها الباريسية صعبة الوقع عليها، فمن الرفض الوظيفي إلى التسبب بحادثة الانتحار، إلى الانفصال الذي وقع بين أبيها وزوجته الثانية، إلى اتهام عمر زورا بالإرهاب، ليتمزق قلبها أخيرا بين عمر الذي أحببته بصمت، وهيثم قريبها الذي خطبها بود بعد أن جرح قلبها في اللقاء الأول.

3.2.2. أن تبقي

خليلٌ (دانيال) محامٍ مرشح لعضوية مجلس الشعب الفرنسي، أبوه لاجئ عربي جزائري، وأمه فرنسية، هو رجل طموح، لكنه يجهل أصل أبيه، يتفاجأ خليل قبيل الانتخابات (البرلمانية) بحزمة رسائل كبيرة موضوعة أمام بيته، كانت تلك الرسائل مكتوبة بخط أبيه باللغة العربية التي يجهلها دانيال، تقوم والدة دانيال بمساعدته، فتترجم له الرسائل التي تتضمن سيرة والده الذاتية، ورحلته من الجزائر إلى فرنسا، كان دانيال يستنكر بعض الأحداث التي

[98] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، دار كيان، القاهرة، 2013.

جرت لوالده تارة، ويتأثر بها تارة أخرى، ثم تتغير حالته بعد قراءة الرسائل، فيتعاطف مع اللاجئين بعد تنكره لهم؛ لتثور ضده ثائرة شعبية.

لم يكن خليل المحامي (دانيال) بطلَ القصة، بل كانت البطولة من نصيب والده الذي سرد ـ في تلك الرسائل ـ قصة لجوئه، وتنقله، وهروبه، وانتمائه لجماعة إسلامية متشددة، وصولا إلى زواجه بفتاة أقعدها المرض، ثم شُفيت بعد الزواج والإنجاب، إنها أم خليل الذي هرب به أبوه إلى الجزائر، فتبعتهما الأم المقعدة رِفقة المحامية ريما، وأقامت بضع سنوات، حيث توفي الوالد بسبب مضاعفات الرصاصة التي استقرت برأسه منذ الطفولة، ثم عادت الأم بابنها ـ خليل ـ إلى فرنسا، بعد أن استعادت عافيتها بالجزائر، وتمكنت من المشي على قدميها. لم يكن خليل سعيدا بهذا الأصل، ولا بتوقيت خروج الرسائل، لكن الدماء العربية تحركت في عروقه أخيرا، ووقف مع المهاجرين المضطهدين الذين كان يرفضهم بداية.

وتُعد رواية (أن تبقي) امتدادا لرواية (غربة الياسمين)، فريما المحامية صديقة ياسمين في غربتها (غربة الياسمين) كانت رفيقة أمِّ خليل في رحلتها إلى الجزائر للبحث عن زوجها وابنها في رواية (أن تبقي)، وهي ذاتها التي سجلت واقعة الزواج بين والدة خليل ووالده الذي ساعدته في تسوية وضعه القانوني في فرنسا. أما نادرٌ (والد خليل) فهو الذي نزل ضيفا قسريا في بيت الدكتور عمر الذي اتهموه زورا بالإرهاب في رواية (غربة الياسمين) وكان الدكتور عمر سببا مهما من أسباب توبة (نادر) والدِ خليل.

4.2.2. أين المفر

أين المفر، هي الرواية الأولى للكاتبة من حيث الكتابة لا النشر، كتبتها أيام الدراسة والمراهقة، وهي في سن السابعة عشرة، تركتها الكاتبة سنوات طويلة، ثم عادت لتكملها وتصدرها بعد أن نضج فكرها روائيا واجتماعيا، كانت الكاتبة تريد هذه الرواية شائقة وملتزمة، تثير انتباه الشباب،[99] غير أن هذه الرواية تعرضت للسرقة والنشر دون علم الكاتبة، لتقوم الكاتبة مؤخرا بنشر الرواية كما تريد.[100]

أين المفر؟ تعود ليلى من فرنسا إلى بلدها الأصلي (بلد عربي غير مسمى) لتنزل ضيفة في قصر خالها، هناك تكتشف ليلى الحقائق التي أخفاها عنها والدها الذي رباها وحيدة، ليس له غيرها وليس لها غيره، تكشف الأحداث أن لـ (ليلى) أختا اسمها حنان، هما توءم انفصل والدهما وهما طفلتان، واتفقا على بقاء ليلى مع أبيها وحنان مع أمها، دون أن يعلم غيرهما بذلك، كانت تربية الأب لابنته ليلى جيدة ومثمرة، بينما كانت الأم سيئة الأخلاق والمعاملة، انعكس ذلك في تربيتها لابنتها حنان، التي كانت مُدمنةً على الذهاب إلى الخمارات،

[99] حمدي، خولة، *أين المفر*، دار كيان، القاهرة، 2015م، ص5..

[100] https://m.facebook.com/348145955345153/posts/883636545129422/ 2018/11/28 سا 11:30 تاريخ النشر 2017/12/26 الساعة 9:02 مساء.

ودور الفجور، حتى حملت من الزنا وهي في السابعة عشرة من عمرها، تزوجها ابن خالها ليُداري فضيحتها، غير أنه لم يستطع الاستمرار معها، فأغلظ معاملتها، فاختارت الانتحار الذي تبيّن لاحقا أنه خدعة مبيتة، لقد ماتت مقتولة بحيلة دبرها لها خالها!! أما الأم فماتت بمرض خبيث سبَّبه لها فجورُها.

كان خال ليلى غنيا جشعا طماعا، أظهر وُدَّهُ للجميع، لكنه لم يفوّت فرصة لاستغلال الآخرين، لقد دبر حيلة لانتحار زوجته الأولى التي ورث عنها كل أملاكه، ثم تظاهر بالوُدِّ مع صديقه والد (ليلى وحنان) ليحصل على الإرث الكبير الذي يملكه صديقه، لقد سخَّر أبناءه لتطبيق ذلك من حيث يعلمون أو لا يعلمون، تتشابك الأحداث لتظهر أخيرا الخيوط المضيئة؛ فيودع الخال (نبيل القاسمي) السجن بتهم الفساد، فيما تستولي المحكمة على أملاكه كلها، ويموت والد ليلى (نجيب) ويكون الإرث الكبير لِليلى دون شريك.

لقد حاول نبيل تزويج ليلى لابنه فراس الطبيب، أظهر رغبته بذلك مدعيا المحافظة عليها، لكن الحقيقة كانت عكس ذلك، إنه يريدها زوجة لابنه؛ لأنها الوريثة الوحيدة لأبيها الغني، لم تَرُقْ هذه الخطة ابنَه ياسين الذي عمل خفيةً لإفشالها، ونجح في ذلك.

كان لليلى أستاذ جامعي، هو الدكتور عمر الذي أحبها، وسافر من فرنسا إلى بلدها العربي ليخطبها من أبيها، لكن الظروف المعقدة التي عاشتها ليلى مؤخرا حالت دون ذلك، بينما أزهرت أيام مأمون (مدير أعمال أبيها) فتزوجها، بعد أن صارَ المديرَ الفعليَّ لشركاتها وأعمالها.

النسخة الورقية التي اعتمدها الباحث في هذه الرواية صادرة عن دار (كيان) القاهرية، غير أنها تختلف عن أخواتها الثلاث بغزارة الأخطاء الطباعية المنتشرة في أحشائها، ولقد حرص الباحثُ ـ كما سلف ـ على التواصل مع الكاتبة ليتأكد من مصداقية الرواية، ويتبيّن سبب الأخطاء الكثيرة، لكنه لم ينجح في ذلك، فقد يكون نَحْلُ الرواية ونشرها مزورةً سببا في سرعة نشر الأصل قبل أن تأخذ الرواية حقها من التدقيق، علما بأن الكاتبة وصفت الروايات الثلاث بأنها أكثر نضجا من رواية (أين المفر) الشبيهة باليتيمة! فهي الأكبر سنا لكنها الأصغر نشرا، وقد تعرضت للتزوير والانتحال.

لقد كانت هذه الرواية أقلَّ اعتمادا من قِبَلِ الباحث في هذا البحث، وذلك للأسباب المتقدمة، فأسلوبها أبسط من أسلوب أخواتها الثلاثة، وتاريخ كتابتها قديم، حيث بداية طريق الكاتبة الفني، ولم يستطع الباحث التأكد من مصداقية الرواية، علما بأنني اعتمدت نسخة ورقية مطبوعة وصادرة في القاهرة.

3.2. قواسم مشتركة بين الروايات

لا تخلو أيُّ رواية من الجوانب الاجتماعية المتنوعة، وتنفرد كل رواية بمواضيع خاصة تميزها من غيرها، وتجعل لها كيانها الذاتي، ونكهتها المختلفة. كذلك الكاتب يميزه أسلوبه ونَفَسُه وروحه التي تغشى الرواية، فتجدها بين السطور، تعبر عن رؤيته، وتُنبيك عن

معتقده الديني، والأدبي، لكن روايات (خولة حمدي) الأربعة اشتركتْ كلُّها أو جلُّها ـ مع قلتها عددا ـ في تناول قضايا محددة، وهي:

1- **اختلاف الأديان بين أبناء الأسرة الواحدة؛** كيعقوب اليهودي الذي ربَّى طفلة مسلمة في بيته، وكـ (ندى) التي كان أبوها مسلما، وأمها يهودية، وقع الطلاق بين والديها، فعاشت ندى مع أمها التي تزوجت من رجل مسيحي، ثم شبَّت ندى، فخطبها شابٌّ مسلمٌ، لكنها أسلمت قبل الزواج منه.
كذلك كانت عائلة (ياسمين)، فوالدها مسلم، لكنه تزوج امرأة فرنسية ملحدة، بعد أن طلق والدتها (فاطمة)، والمحامي (خليل) كان أبوه مسلما، وأمه مسيحية، عاش معها على دينها.
لقد برز هذا الجانب (اختلاف الأديان) في ثلاث روايات، في (قلبي أنثى عبرية) و (غربة الياسمين) و(أن تبقي).

2- **اغتراب العرب في البلاد الأوربية** لجوءا أو دراسة أو عملا، إذ حَافَظَ بعضُهم على دينه وأخلاقه، ودعا إليهما، كياسمين و ندى وعمر، فيما اندمج بعض آخر بعادات تلك البلاد وأخلاقها، ولم يبقَ معه من الإسلام شيء؛ كوالد ياسمين. بل نجد شخصياتٍ قد تخلَّت عن اسمها العربي لتحمل اسما غربيّا، كخليل الذي غيَّر اسمه إلى (دانيال)، ووالد ياسمين الذي غير اسمه من (كمال عبدالقادر) إلى (سامي كلود).
وقضية الاغتراب حضرت في روايات خولة حمدي الأربعة كلها.

3- **الطلاق أو تعدد الزوجات،** تناولتِ الروايات الأربعة في أحداثها هذا الموضوع، فوالد ندى طلق زوجته، ثم تزوج امرأة ثانية، بينما هاجرت أمُّها وتزوجت من رجل آخر ماتت زوجته، كذلك والد ياسمين فقد طلق زوجته المسلمة وتزوج من ملحدة فرنسية؛ ليظهر في ذاك المجتمع ظهورا لامعا وناجحا. أما والد خليل فقد تخلى ـ ولم يطلق ـ عن زوجته الفرنسية، وهرب بابنه؛ ليبقى قريبا من والدته في الجزائر، وهناك تزوج من ابنة عمه، غير أن لحاق زوجته الأولى به جعله يعيش مع زوجتين، تظهران لبعضهما حبا ـ مراعاة لصحته المتدهورة ـ تخبو تحته نيران الغيرة، ولم تنجُ ليلى من الحرمان، لقد حرمها الطلاق من حنان الأمِّ، فعاشت طفولتها دون أن تتلفظ بكلمة (ماما)، فيما كان نصيبُ توءمها (أختها حنان) الحرمانَ من كلمة (بابا)!

ولا يرى الباحث الاهتمام بهذه الجوانب مصادفة، فخولة حمدي تكتب من الواقع، لقد أخذت روايتها (في قلبي أنثى عبرية) من قصة حقيقية، فيما كانت سائر الروايات مطابقة للواقع الذي لا يحتاج دليلا، باستثناء (أين المفر) التي اعترفت بأنها أقرب للرواية (البوليسية)، وأنها كتبتها في مرحلة المراهقة قبل نضجها الفكري، واختيار الكاتب لموضوعات تلامس اهتمام القارئ، وتعالج قضاياه، وتؤثر في نفسه، يجعل رواياته ذات قيمة أعلى، ويجعلها محفوظة في

الأذهان "فالذوق الرفيع والإدراك الذكي هما عديما الجدوى ... إذا لم يكن في مقدورنا الاحتفاظ بصورة ذلك الكتاب، وستفلت الصورة منا وتنفلت كالغيمة..."[101]

والواقع العربي منذ سنوات يعاني من أزمة اللجوء إلى الدول الأوربية، وهذا اللجوء ظاهره فيه الرحمة، وباطنه فيه العذاب الشديد، ولعلَّ إقامة الباحث أشهرا في تلك البلاد الأوربية جعل زاوية الرؤية التي تنظر من خلالها الكاتبة أكثرَ جلاء ووضوحا لديه، فالمغتربون المسلمون هناك يعيشون عيشة كريمة ظاهريا، تؤمِّن لهم الدُّولُ المستضيفة بيوتا للسكن، وتمنحهم شهريا مِنحاً مشروطة، تكفيهم مؤونة العيش، لكنها ـ بقصد أو بدون قصد ـ تضربهم في مَقَاتِلِهم، فالتربية غير التربية، والتعليم غير التعليم، والحياة غير الحياة، ولا ينتقصُ الباحثُ من تقدُّمِ التعليم، والمناهجِ والأساليبِ الأوربية، فهذا لا ينكره عاقل، لكن الباحث يركز على نقاط الاختلاف في الأخلاق والطبيعة التي يصطدم بها المغتربون هناك، حيث الاختلاط والمصافحة بين الرجال والنساء، وحيث دروس السباحة المختلطة، والدروس الجنسية المشفوعة بالصور الواضحة الفاضحة، قد تكون للأوربيين رؤيتهم الخاصة في ذلك، لكنها رؤية لم يتقبلها المغتربون ولن يتقبلوها، غير أن نيران الحرب والفقر والظلم التي أجبرتهم على الهجرة أسكتتهم تجاهها، وجعلتهم يقبضون على الجمر؛ فتحترق أكفهم، وتنتفخ أوداجهم، دون صراخ!!

لقد كان لاختلاطهم مع أهل تلك البلاد، ولعيشهم تحت ظل قوانينها، أَثَرٌ كبيرٌ في حدوثِ حالاتٍ كثيرة من الطلاق، أو الخلع، أو الزواج من شريكٍ مختلف الدين، كان هذا جليا في روايات خولة حمدي، مما جعل الباحث يختار الكتابة في الواقعية عندها. ولا بد للباحث من توضيح فكرة، مفادها أنه لا يوازن بين النظام التعليمي المعمول به هنا، و أخيه المعمول به هناك، إنما يركز على الفوارق التي سببت المشكلات الاجتماعية التي تناولت الكاتبة بعضَها.

3. الواقعية الإسلامية في روايات خولة حمدي

1.3. المكان في الرواية

العمل الفني رهن عنصري الزمان والمكان، لا ينفك عنهما أبدا، والرواية ـ أو القصة ـ أشد التصاقا من سائر الفنون بهذين العنصرين؛ لأنهما ـ أي القصة و الرواية ـ يتناولان حياة الناس المرتبطة ارتباطا وجوديا بالزمان والمكان، "... أن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته"[102]، و"الرواية رحلة في الزمان والمكان على حدا سواء"[103]. والكاتب عندما يختار زمان روايته أو مكانها لا يختارهما اعتباطا، لأنهما يُعطيان أحداثَ الروايةِ بُعدا في العمق، وجلاء في الوضوح، كما يكونان عونا لوصول الفكرة التي يريدها الكاتب.[104]

---

[101] لوبوك، بيرسي، *صنعة الرواية*، ترجمة عبدالستار جواد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ط2، ص.15.
[102] باشلار، غاستون، ج*مالیات المكان*، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2،1984,ص.5.
[103] قاسم، سيزا، *بناء الرواية*، مكتبة الأسرة،2004، ص.103.
[104] خليل، إبراهيم، *أساسيات الرواية*، دار فضاءات، عمان، 2015، ط1، ص.167.

والأمكنة في روايات خولة حمدي كثيرة، امتدت من البلاد العربية شرقا، لبنان وتونس والجزائر على وجه الخصوص، وصولا إلى فرنسا غربا، وجرت أحداث رواياتها في المدن والقرى، ولم تغب الأماكن الصغيرة المفتوحة والمغلقة، كالبيوت، والشوارع، ودور العبادة، والقصور، والجامعات، والشركات، وغيرها. وكان لكل مكان من هذه الأمكنة حضوره الخاص في أحداث الروايات وشخصياتها، بل نجد لبعض الأماكن دَورا في تغيير مسار بعض الأحداث، أو الشخصيات.

وللمكان أثر في التعبير عن هوية الكاتب[105]، وهذا ما يبدو جليا في الأماكن التي اختارتها خولة حمدي، لقد اختارت تونس وبعض أخواتها من البلدان العربية الأفريقية؛ كالجزائر والمغرب ومصر، ولم يشذ عن ذلك إلا لبنان الذي لم يتفرد برواية واحدة، بل كان أحد أمكنة رواية (في قلبي أنثى عبرية)، واختارت من البلاد الأوربية (فرنسا) التي تحمل الكاتبة هويتها، وأقامت فيها سنوات، ونالت فيها شهادتي الماجستير والدكتوراه، ولعل إقامتها في تلك الدولة، ثم الحديث عنها في روايتها يعطيها مصداقية أكبر، فالروائي الجيد هو الذي يكتب عمَّا يعرفه شخصيا، وأن تكون معرفته للموضوع أو المكان معرفة تامة.[106]

1.1.3. المدينة العربية

تدور أحداث روايات (حمدي) في المدن العربية والأوربية، فروايتها (في قلبي أنثى عبرية) التي وصفتها الكاتبة بأنها حكاية حقيقية طرأت عليها بعض التعديلات الروائية، كانت أحداثها تدور في مدينة (قانا) اللبنانية، وجزيرة (جربة) التونسية، ومدينة (باريس)، وكانت مدينة (قانا) صاحبة الحظ الأوفر من أحداث الرواية، ففيها تدور أبرز الأحداث، لتكون جزيرة (جربة) ثاني أهم مدينة، أما (باريس) فكانت موطن ندى المؤقت، حيث ذهبت لاستكمال دراستها، والابتعاد عن مواقع الأحداث التي سببت لها اضطرابا وألما، إلا أنها ازدادت سوءا من الناحية النفسية هناك، وعادت لتستكمل حياتها في لبنان.

كانت المدينة العربية في هذه الرواية أقل سعادة من القرية، وهذا الأمر ليس جديدا عند (حمدي)، فقد صوَّر نجيب الكيلاني المدينة في رواياته على أنها رمز للمادية والاستغلال، عكس القرية التي كانت بيئة التسامح والتعاون والفطرة السليمة.[107] وسيتناول الباحث فيما يلي وصف المدن التي جرت فيها أحداث الروايات، بدءا برواية (في قلبي أنثى عبرية)، مسلطا الضوء على الأحداث التي جرت فيها، ومدى موافقتها لطبيعة المدينة.

لم تَعنَ الكاتبة بوصف المكان كثيرا، بَيدَ أنَّ الروايات لم تخلُ خلوا تامًّا من الوصف، فجزيرة (جربة) التونسية التي انطلقت منها أحداث الرواية، يقيم فيها بعض اليهود الذين قدموا من القدس مطرودين، وتضم الجزيرة أقدم كنيس في أفريقيا (كنيس الغريبة) الذي يتجاور مع المساجد، ويتجاورُ المسلمون مع اليهود، وهي جزيرة سياحية جميلة، طرقاتها مرصوفة بحجارة

---

[105] خليل، إبراهيم، *أساسيات الرواية*، ص.177.
[106] أمين، احمد، *النقد الأدبي*، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، د ت، د ط، ص.107.
[107] القاعود، محمد، *الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني*، ص.33.

ملساء، وحرارتها خانقة، تحاكي حجارتُها المرصوفةُ طبيعةَ الحياةِ فيها، أما السوق القريب من المسجد المميز فهو سوق عتيق، يتميز بما يحتويه من الأشكال والألوان والروائح التي تختصر سحر الحياة في المدينة، يدل تجاوُرُ الكنيس اليهودي مع المساجد على التسامح الديني المنتشر في البلاد العربية قبل الحروب الأخيرة، وتجاورُ عائلة (ريما) المسلمة مع عائلة (يعقوب) اليهودية يحمل الدلالة ذاتها، وفي تلك الجزيرة عملت والدة (ريما) مدبرة منزل عند عائلة يعقوب، وعندما اقتربت منيتها أوصت يعقوبَ ـ اليهودي ـ بابنتها ذات السنوات التسع، لقد اختارت يعقوبَ وصيا على ابنتها؛ لما بينهما من حُسنِ الجوار والتعامل، علما بأن سكان المدينة غالبيتهم من المسلمين، لقد "نشأت علاقة فريدة من نوعها بين العائلتين، ما جعلها موضع سخرية من البعض، وحسد من البعض الآخر" بل إن ريما عاشت في أحضان عائلة يعقوب على أنها فرد من أفرادها، وكانت ريما بهجة البيت الذي تقيم فيه، وروحه النابضة، تَعَلَّقَ بها قلبُ يعقوب ذي السنوات الاثنتين والعشرين، كان يلاعبها ويداعبها، ويشتري لها الألعاب والهدايا، كان يمنحها بعض حنان الأب المفقود.[108] في تلك المدينة تزوج والد ندى المسلمُ (سالم) من أمها اليهودية (سونيا)، كما كفل يعقوبُ اليهوديُّ ريما المسلمةَ وربَّاها في بيته، وإليه عادت ندى من لبنان مسلمة، لتعلن (سارا) ابنة يعقوب إسلامها على يد ندى، ليتبعها في دخول الإسلام أبوها يعقوب بعد مدة. لقد تعايشت الأديان في تلك المدينة ضمن العائلة الواحدة، والبيت الواحد، كما تعايش الكنيس مع المساجد في المدينة الواحدة، وبهذا تكون الكاتبة قد أعطت الأحداث الجارية في مدينة (جربة) تطابقا اجتماعيا مع طبيعة ونسيج المدينة كلها. وتجاوُرُ المسجد مع الكنيسة ظهر أيضا في رواية (مملكة البلعوطي) للكاتب نجيب الكيلاني، وفي هذه الصورة تظهر الدلالة ذاتها، وهي السلام القائم بين المسلمين والمسيحيين.[109]

أما (قانا) المدينة اللبنانية، التي يرتبط اسمها بالمجزرة الإسرائيلية سنة 1996م، فقد كانت الأحداث الجارية فيها متوافقة ـ أيضا ـ مع ما هو مشهور عن المدينة، لقد سببت الغارات الإسرائيلية آلاما عميقة، وخوفا كبيرا لدى السكان، كذلك كانت الأحداث الجارية فيها، وبدأت الأحداث فيها عندما استقبلت ندى أحمدَ وحسانا[110]، وساعدتهما، وأخفت الأمر عن أختها (دانا) الرافضة لفكرة المقاومة، فيما راح أخوها (ميشال) يلومها على استقبالهما، عاشت ندى بعد ذلك حربا داخلية، إذ تعلق قلبها بأحمد المسلم، وعندما قبلته زوجا لها قامت الحرب الكبرى بينها وبين أمها، أما يوم إسلامها فلم تسلم ندى من صفعة قوية على وجهها من أمها، لتعيش بعدها معركة أكبر مما سبق، لقد ماتت ريما بالقصف الإسرائيلي بعد أن ذاقت ما ذاقته من قسوة أم ندى (سونيا) عليها، ليشكل غيابُ أحمد عن الوجود صدمة كبيرة لها، ثم قبلَتْ مضطرة خطبة حسان لها، ويظهر أحمد من جديد، فتبدأ معركتها الأخيرة مزدوجة، هي معركةُ البحثِ عن ذاكرة أحمد التي عاد من دونها، ثم عادت بعد عَناء، واختيارِ خاطبٍ من اثنين، أحمد الخاطب الأول، العائد من الغياب، وحسان الخاطب الثاني، والمتواجد معها قبل رجوع أحمد، فبين القلب والعقل صراع محتدم.

---

[108] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.11،12،13.

[109] الكيلاني، نجيب، *مملكة البلعوطي*، دار الصحوة، القاهرة، 2012، ط1، ص.20.

[110] اسم "حسان" إذا أشتق من الحُسن فهو منصرف، وإذا أُشتق من الحِسّ فهو غير منصرف.

وعندما يموت (بابا جورج)، وميشال، وزوجته، وولداه، بحادث سيارة، يتملك الحزنُ قلب ندى، لقد كان جورج وميشال أكثر المتعاونين معها، وماتوا على غير الإسلام، وكانت ندى وقت موتهم مطرودة من بيت أمها، وأحمد ما يزال غائبا عن الوجود، دون معرفة مصيره، كل تلك المعارك عاشتها ندى في تلك المدينة المنكوبة، مما جعل ندى تغادرها، وتعود إليها غير مرة، لعلها تسلو عما تَمَلَكَّها من الحزن، غير أن النهاية جمعتها وأحمد في عش الزوجية.

دارت أحداث تلك المدينة في بيت ندى، ولم يعدم هذا البيت من وصف خفيف، يراه الباحث جاء لإضافة بُعدٍ معنوي للحدث، ففي بيت ندى حديقة جانبية، وأخرى خلفية، ويقع في أقصى الحديقة الخلفية مستودع لقطع أثاث البيت القديمة، وللكتب والجرائد و أدوات البستنة والنجارة، و لم يكن هذا المستودع نظيفا جدا، لكنه مرتب، وعندما تمدد أحمد المصاب في ذاك المستودع، تمدد على طاولة قديمة[111]، لقد أعطت الحديقتان بُعدا جماليا للمكان، لكن المستودع يقع في أقصى الحديقة الخلفية، ويجمع ذلك المكان ـ المحتوي على الأثاث القديم ـ أبناءَ الديانات الثلاث، فأحمد وحسان مسلمان، وميشال مسيحي، وندى يهودية، وكأن هذا الاجتماع الفريد من نوعه سيصبح عما قريب من الماضي البعيد، كما كان المستودع في المكان الأقصى، وسيصبح هذا الاجتماع الثلاثي ـ مع إمكانية استمراره ـ قديما، من قصص الماضي، كما كان ذلك الأثاث ـ مع حسن ترتيبه ـ قديما ومن الماضي، كذلك جَمعُ العائلة التي لم تكن تشكو من قِلَّةٍ، وإذا بها بعد سنوات قليلة تتفرق فيها السبل، فمات من مات، وطُرد من طرد، وغاب من غاب، ليبقى من بقي يشكو الألم والفقد والحزن، كما كانت تلك الأشياء تفتقد أناسها ومستخدميها في ذاك المستودع الواقع في أقصى الحديقة الخلفية!

لم تصف الكاتبة بيت يعقوب أو غرفة ريما هناك في تونس، أما الغرفة التي جهزتها لها (راشيل) أخت يعقوب في قانا، فهي غرفة جانبية تطل على الرواق، والغرفة في غاية الجمال والترتيب، فيها الكثير من الألعاب والهدايا والتحف، ونمط ترتيبها مناسب لإقامة طفل فيها كـ (ريما)، فلون جدرانها عشبي باهت، وعلى جدرانها تتعلق صور الحيوانات والطيور، و ستائرها ملونة.[112] لقد جهزتها راشيل لولدها الذي طال انتظاره، لكنه لم يأت!! يرى الباحث هذا الوصف متناسبا مع الحدث الذي جرى في ذلك المكان، ولاسيما أن الكاتبة لا تعنى بوصف الأماكن كثيرا، فإقامة ريما في تلك الغرفة الجانبية كانت إقامة عرضية، لم تدم طويلا، وإطلالتها على الرواق كان كإطلالة ريما على ذلك الشارع، شارع السوق الذي خرجت إليه ولم تعد، وجمال الغرفة كان كجمال ريما التي لم تعش طويلا، بل خطفها الموت في صباها، وتركت خلفها فراغا عظيما، تركت (ندى) تنتظر عودتها بلا جدوى؛ كما بقيت تلك الغرفة الخالية تنتظر ولد (راشيل) الذي لم يأت أصلا!

أما رواية (غربة الياسمين) فلم تظهر فيها المدينة العربية إلا استرجاعا، حيث تبدأ القصة بفرنسا، وتنتهي هناك، غير أن وصايا والدة ياسمين كانت حاضرة مع ياسمين، تستقوي

[111] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.23.
[112] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.76.

بها تارة، وتستأنس بها تارة أخرى، وتجد الأعذار لأمها في رفضها البقاء في فرنسا، وتفضيلها العيش في البلاد العربية؛ محافظة على دينها.

أما رواية (أن تبقي) فكانت أحداثها الاسترجاعية تدور بين باريس والجزائر، وكانت صورة الجزائر إيجابية، لولا قصة العسكر الذين اقتحموا بيت خليل الجد، فقتلوه وأصابوا ابنه نادر الذي حمل رصاصتهم سنوات طويلة دون علم، ثم استفاقت الرصاصة وأدت إلى موته، لم تغب الجزائر من حياة نادر الفرنسية أبدا، فكثيرا ما ندم على فِراقِها، فارَقَها بإرادته طمعا في جنة أوربا التي وصل إليها بعد عناء فرآها وَهْمَاً وسرابا، فتشرُّدُه في شوارع فرنسا، ومطاردَةُ الشرطة له، جعلاه يندم على مغادرة الجزائر، إذ كانت الحياة هناك أفضل من الحياة التي حلم بها في فرنسا، وعندما شعر بقرب المنية التي أخبره به الأطباء، فرَّ هاربا بابنه الوحيد تحت جنح الليل؛ ليقيم سنواته الأخيرة التي ظنها ستة أشهر في الجزائر عند أمه، لقد توقع الأطباء أن تنتهي حياة نادر في شهور ستة، لكن الحياة في بلده الأصل، وبين أهله وأحبابه، جعلت حالته النفسية والبدنية تتحسن، وعاش ثلاث سنوات، خلاف ما توقعه الأطباء، حتى زوجته الباريسية الشقراء لحقت به إلى الجزائر، وأقامت معه هناك؛ لما رأته من جمال وبساطة العيش هناك.

أما الرواية الرابعة (أين المفر) فكانت أحداثها تدور في بلد عربي لم تسمه الكاتبة، لكن إشارات طفيفة جعلت الباحث يرجح أن تكون بيروت هي المدينة المقصودة، لأنها ذكرت مرتين الضاحية الجنوبية، والضاحية الجنوبية مكان معروف في بيروت، كما تحدثت عن الخروج من المدينة من ناحية الضاحية الجنوبية والإطلالة البحرية، وعدم تسمية المدينة ليس مبتدعا عند خولة حمدي، بل سار على هذا النهج عبدالرحمن منيف في روايته (شرق المتوسط)[113] وتوفيق القاسم في روايته (صخب)[114].

لم تكن تلك المدينة العربية ـ التي لم تسمها الكاتبة ـ إيجابية كسابقاتها، ففيها مارس (نبيل القاسمي) جرائمه ضد القانون والبشر، حيث شهد قَصرُه حوادث الانتحار المريبة، وفيها فسدت (حنان) التي حملت من الزنا، ثم انتحرت أو قتلت، وفيها مارست والدة حنان (نجاة) ظلمها وتعاليها على الناس، لكن الكاتبة جعلت الفضيلة تنتصر، ليموت من يموت على معصيته، ثم يودع نبيل القاسمي السجن، وتعود الأملاك والشركة والقصر إلى عهدة ليلى التي أحسنت التعامل مع من بقي من عائلة القاسمي، ممن لم يشترك في الجرائم المتنوعة.

لقد استفاضت الكاتبة في وصف القصر الذي يقيم فيه خال ليلى (نبيل القاسمي)، فهو قصر كبير، فيه أجنحة كثيرة، وغرف متعددة، وطرازه متنوع وجميل...، وهذا الوصف جاء لغرض الإفصاح عن مدى الرخاء الذي تعيشه هذه العائلة، فوصف المكان عامل مهم في الكشف عن الحالة التي يعيشها أصحابه.[115]

---

[113] خليل، إبراهيم، *أساسيات الرواية*، ص171.
منيف، عبدالرحمن، *شرق المتوسط*، دار التنوير، بيروت، 2016، ط19.
[114] توفيق، قاسم، صخب، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2015، ط1.
[115] خليل، إبراهيم، *أساسيات الرواية*، ص.173.

2.1.3. القرية العربية

كانت القرية في الروايات ـ كما سبق ـ أكثر سعادة من المدينة التي شهدت أحداثا مؤلمة، وهذه صفة عامّة للمدن في الروايات، فالمدينة " لا تقدم لمن يقيمون فيها غير السأم والضجر والخواء الجسدي والروحي إذا قورنت بالريف"[116] وهي ـ أي القرية ـ أكثر انسجاما مع الطبيعة، وأكثر رضا عنها، لا تنقم على شيء،[117] والقرية الوحيدة في رواية (في قلبي أنثى عبرية) كانت قرية أحمد، المتاخمة لمدينة قانا، كانت المكانَ الأجمل والأقرب إلى قلب أحمد، ففيها كانت أول دعوة لندى على حفل الشواء، حيث كانت القرية ـ كما تصفها ندى ـ ذات طبيعة جميلة ساحرة، فالتلال المكسية بالمروج الخضراء، ونسمات المساء الباردة العليلة، وأشعة الشمس الآذنة بالأفول، كل ذلك تشابك مع فرحتها بالدعوة الأولى إلى مزرعة أهل أحمد، لقد كانت الأجواء الطبيعية والنفسية تثير السعادة في النفوس، لقد عبرت زوجة ميشال عن فرحها بهذا المكان، فهو مكان يشرح الصدر ويروّح عن النفس، فالمكان جميل، وعائلة أحمد عائلة لطيفة جدا، يسود علاقاتِهم الأسرية الدفءُ والحنان، في تلك الأمسية رأتْ ندى صلاة المسلمين لأول مرة،[118] وتلك القرية كانت مقصدَ رسائلِ ندى التي كانت تكتبها لأحمد أثناء غيابه المؤلم، وفيها استرجع أحمد ـ الفاقدُ للذاكرة ـ بعضَ ذاكرته بسبب تلك الرسائل التي كانت ندى ترسلها إلى البيت المهجور في القرية؛ كي لا تؤجج الألم في قلب والديه المُنفطر أصلا على غيابه،[119] وتلك القرية ذاتها كانت مشروع أحمد المستقبلي الذي حدَّثَ ندى عنه كثيرا، فهو طالب في كلية الهندسة الزراعية، وستكون مزرعة القرية ميدانَ إبداعاته المستقبلية، لقد كان أحمد شديد التَّعلُّقِ بالقرية، بل كانت مكان راحته النفسية.

والاهتمام بالقرية في الروايات، يعكس فكرة التمسك بالهوية الاجتماعية للناس،[120] كما يساعد الروائيين في تحديد الإطار الزماني والمكاني للأحداث.[121]

والقرية الثانية التي أشارت إليها الكاتبة هي قرية عائلة نادر الذي غادرها زاهدا بها حاملا بين جنبيه حلما كبيرا سيحققه في الجانب الآخر من البحر، حيث فرنسا، لكن ما جرى معه هناك جعله يزهد بفرنسا التي قاسى فيها ألوان العذاب الاجتماعي، وظلَّ بها حتى أخبره الطبيبُ بقرب منيّته، فعاد ليقضي الشهور الستة الأخيرة في بيت العائلة، قريبا من أمه، وعندما عاد إلى قريته تحسنت حالته النفسية هناك، وعاش نادر ثلاث سنوات، بين أمه وابنه وزوجتيه، لقد كان الطبيب النفسي محقا، فالراحة النفسية جعلت جسده يقاوم لمدة أطول[122]، ليصل في النهاية إلى المصير المحتوم (الموت).

---

[116] خليل، إبراهيم، *أساسيات الرواية*، ص.169.

[117] طه، إيناس ممدوح، صورة القرية في الرواية العربية، *مركز دراسات الوحدة العربية* "العدد48" مجلد 5، 1983، ص.56، (50-65)

[118] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.88.

[119] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.212.

[120] خليل، إبراهيم، *أساسيات الرواية*، ص.175.

[121] حمدان، عبدالرحيم، جماليات القرية في الرواية الفلسطينية " قرية بيت حانون أنموذجا " *مجلة كلية فلسطين التقنية للأبحاث والدراسات* "العدد1" 2014، ص.2، (2- 29).

[122] حمدي، خولة، *أن تبقى*، ص.350.

3.1.3. المدينة الغربية

إذا كانت المدن العربية أقل سعادة من القرى في روايات حمدي، فإن المدن الأوربية كانت أكثر قساوة على شخصيات (حمدي) من المدن العربية، ففيها تعددت مشكلاتهم وتعقدت، وألصقت بهم التُّهم المختلفة، حتى زهد بها الجميع، وغادرها قسم كبير منهم.

باريس، تلك المدينة التي كانت أملَ ندى في الخلاص من الحزن الذي تمَلَّكَها بعد موت ريما وغياب أحمد، لكن ذاك الأمل لم يتحقق، غير أن الكاتبة أضاءت جانبا من جوانب تلك المدينة، وجعلته مشرقا، إنه مسجد باريس الكبير الذي زارته ندى وصديقتُها الإيطاليةُ، وخلال الزيارة تعرفت صديقةُ ندى بعضَ تعاليم الإسلام، وأعجبت به، وذلك عندما استقبلتهما إحدى القائمات على المسجد، وقدمت لهما الشاي، وراحت تُجيب عن أسئلتهما المُتعلّقة بالصلاة والصفوف وبعض أحكام المسجد. وفي باريس عينها تقدمتْ ندى خطواتٍ نحو الإسلام، بعدما اكتشفت بعضَ صورِ الإعجازِ القرآني، من خلال المتحف الذي رأت فيه المومياء الفرعونية، وقارنت قصتها بما ورد عنها في القرآن الكريم؛ لتزداد يقينا بالإسلام، لقد وظفت الكاتبة المدينة لهذا الشيء، فمع أن ندى ذهبت للدراسة في الجامعة، غير أن هذا الجانب لم تعتن به الكاتبة كثيرا، وكانت الزاوية الأكثر وضوحا هي صداقة ندى مع الفتاة المسيحية، وزيارتهما للمسجد الكبير، لقد كان الضوء مسلطا على شخصية ندى التي قامت بدور الداعية إلى الإسلام، قبل إسلامها وبعده.[123]

وعندما انتقلت (رنيم) إلى باريس أملتْ أن تجد السعادة هناك، وأن تنسى الآلام التي سببها لها (ميشال) الذي تخلى عنها بعد أن خدعها بحبه المزعوم، فاختارت شقة كبيرة، وجهزتها بأحسن الأثاث وأفخره، ولم تترك شيئا ناقصا[124]، وكان موقع الشقة مناسبا، فرنيم ترى أعلى برج إيفل من خلال النافذة، والشقة تبتعد قليلا عن نهر السين، فعلت كل ذلك ليكون هذه البيت من مصادر سعادتها، غير أن السعادة المنشودة لم تأتِ! فالآلام النفسية والجسدية التي خلّفتها عمليةُ التبرعِ بكِلِيَتِها لم تتركها. وعندما بدأت رنيم عملَها كانت قضية عمر المغربي المتهم بالإرهاب أولَّ قضاياها، لقد رأتْ فيه الصدق والبراءة والجدية، ورأت في هيئة المحكمة والمحلفين والشهودِ الظلمَ والزُّورَ والتحديَ والتشفيَ من المسلمِ البريء. لقد خيّبت باريسُ أملَ رنيم في الحصول على الاستقرار النفسي، والعيش الرغيد، كما كانت حال ندى سابقا.[125]

أما حياة (نادر) الباريسية، فلم تكن شاذة عمَّا سبق، لقد ذهب إلى باريس طالبا العلاج عند الشيخ (المختار)، وكان الشيخ (المختار) مصدرَ أُنسٍ وطمأنينة لنادر بادئ الأمر، ثم تبيَّن له أنه مخدوع به، وأن علاجَه السحريَ كان موادَّ مخدرة وممنوعة، وأنّ له ارتباطاتٍ مشبوهة، لقد كانت إقامة نادر عند الشيخ (المختار) سببا لدخوله عالم الصراعات الفكرية الدينية، كما كانت سببا لدخوله عالم العشق الذي تتوج بالزواج الذي انتهى بالهروب من الزوجة. وفي باريس دخل نادر السجن بسبب مشاركته في مظاهرة مؤيدة للدكتور عمر المسجون بتهمة الإرهاب. كانت

---

[123] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص211،214.
[124] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.60.
[125] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.189،314.

حياة نادر الباريسية مليئة بالآلام مع أنه حصل في النهاية على الأوراق الثبوتية والإقامة الرسمية، وتزوَّج فتاة فرنسية، غير أن السعادة لم تأتِ، مما جعله يهرب أخيرا عائدا إلى الجزائر.[126]

وعندما حدث الانفجار في الشركة التي يعمل فيها عمر في مدينة (ليون) الفرنسية، واتهموه به ظلما، طلب الرئيس الفرنسي نقلَ المحاكمة إلى باريس العاصمة؛ ليكون قريبا منها، وكانت المحكمة ظالمة، لقد وقف الجميع ضد عمر، الشهودُ والمحلفون وهيئةُ الدفاع إلا رنيم، لقد بَدَتْ منهم العداوة والبغضاءُ ضد عمر وضد العرب وضد المسلمين، ثم حكم عليه ظلما بعشرين سنة سجنا.[127]

أما ياسمين فقد رأت في باريس العنصريةَ الغربية ضد المسلمين بجلاء، لقد كانت شاهدة على محاكمة عمر، كما شهدت حالةَ انتحار (روزلين) التي كانت سببا بها من دون قصد، وتعرضت لمُضايقات جمَّة في العمل؛ بسبب حجابها وإسلامها، فعاشت بعد حادثة الانتحار والحكم على عمر حياةً مضطربة، جعلها تتعهد بمغادرة تلك البلاد في أول فرصة.[128]

أما (ليون) المدينة الفرنسية التي أقام فيها الدكتور عمر الرشيدي خمس سنوات قبل حدوث الانفجار الذي أوصله إلى السجن، فتصفها الكاتبة وصفا مقتضبا، حيث تقع المنطقة بين نهر (الرّون) وجبال (الألب)، تنتشر فيها البحيرات والكهوف والغابات، فتغري المقيمين والزوار بالانغماس في متع الطبيعة الصافية، غير أن عمر كان يتجنب ذلك مالم يكن مضطرا، فعدد النُّزَهِ التي قام بها عمر في السنوات الخمس لم يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، لقد كانت هذه المدينة سجنا اختياريا لعمر، بسبب معاناته من العري والفتن المنتشرة في كل مكان، فلباس النساء في الشوارع يكشف أكثر مما يستر، والدعايات في المجلات والجرائد ووسائل النقل كلها فاضحة، لا يدري عمر أين يوجه بصره، أما اجتماعات الزملاء في العمل فلا تخلو من المجون والشراب، ناهيك عن الصخب المصاحب لهم حيثما اجتمعوا، فكان علاجه لهذا الأمر هو الاعتزال الاختياري.[129]

وكانت الحياة الفرنسية التي بدأتها ياسمين من (ليون) صعبة جدا عليها، لقد تفاجأت ياسمين بطبيعة الحياة الاجتماعية التي يعيشها والدها، فولداه يعيشان تحت رعاية أمهما الملحدة، والأب منصرف دائما إلى أعماله التي شهرته عالميا، لكنها لم تسعده اجتماعيا، حتى زواجه من امرأة فرنسية انتهى بالطلاق، كما كثرت معاناة ياسمين في ايجاد عمل تستطيع من خلاله إكمال دراستها بسبب حجابها وإسلامها.[130]

ولم تكن مدينة (مرسيليا) الفرنسية أسعد حالا، لقد عانت فيها رنيم الشابة المصرية المقيمة هناك مرارة حقيقية، لقد وقعت في حب مديرها ـ ميشال ـ في العمل، ورنيم منذ أيامها في

---

[126] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.153،232،244،255،259.
[127] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.142،150،189،192،384،387.
[128] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.99،263،335،384،388.

[129] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.9،48،50.
[130] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.30،35،40،75.

القاهرة كانت تحلم بفتى أوربي تعيش معه (الرومنسية) الحقيقة، ووجدت ذلك في مديرها الذي عشقته وتبرعت له بإحدى كليتيها، فتركها تعاني من الألم وتعدُّدِ العمليات الجراحية؛ لينعم في شقته مع حسناء أخرى تعطيه مالم تعطه إياه رنيم، ثم أوصى بها صديقا له في باريس ليبعدها من مدينة مرسيليا نهائيا.[131]

أما الرواية الرابعة (أين المفر) فقد كانت مختلفة عن أخواتها، حيث لا نجد لفرنسا إلا الذكريات، فأحداثها الفعلية تدور في بلد عربي، لكن صورة فرنسا كانت إيجابية فيها، حيث تربت ليلى المحافظة على دينها وأخلاقها وحجابها وصلاتها هناك، وحيث أستاذها الدكتور عمر، الذي أحبها وتقدم لخطبتها حسب الأصول العربية الإسلامية، غير أن مرض أبيها وموته، واكتشاف ليلى لأسرار أسرتها التي أخفاها عنها أبوها جعل طريق ارتباط الدكتور عمر بـ (ليلى) مستحيلا. كانت الرواية الرابعة مختلفة أيضا عن أخواتها، حيث نجد الفتاة التي عاشت في باريس ذات خلق ودين، بينهما نجد أختها التوءم التي تربت ببلد عربي عكسها تماما، يكفي أنها أدمنت الحضور إلى دور اللهو وحملت من الزنا ثم ماتت منتحرة أو مقتولة.[132]

ومن خلال ربط الأحداث بالأماكن يلاحظ الباحث أن الكاتبة حرصت على إظهار البلاد الغربية بلادا صعبة على المسلمين، فهي محكومة بقوانين وعادات مختلفة عن عادات المسلمين، بل ومغايرة لتعاليم دينهم، فيما كانت البلاد الإسلامية أكثر ملاءمة لهم، فهي ـ أي البلاد الإسلامية ـ تبقى ذات غالبية إسلامية، تسودها عاداتهم وتقاليدهم، وإن لم تحكم بقوانين الإسلام.

4.1.3. دور العبادة

المسجد والكنيسة والكنيس، أماكن عبادة المسلمين والمسيحين واليهود، ومكان العبادة له في القلب موضع خاص، من حيث الارتباطُ والهيبة والروحانية، فغالبا ما تكون دور العبادة مكانا لراحة النفس، وتفريغ الهموم بمناجاة الله عز وجل، ومصدر قوة إيمانية للنفس والروح.

وجمال مكان العبادة يُضفي عليه قدسية، فيعقوب (جاكوب) الرجل اليهودي، يقف معجبا أمام المسجد الذي تتعلم فيه الطفلة (ريما) التي تعهد لأمها بكفالتها ورعايتها واستمرار ذهابها إلى المسجد أيام الجُمَع، يتأمل ساحته الرُّخامية، ومئذنته الباسقة، وهندسته الجميلة، لقد كان ذلك المسجد ذا " طابع فريد، مثل كل مساجد جربة القديمة، بلونيه الأبيض والأخضر، وجمال ثناياه المُتَخَلِّيَةِ عن كل أشكال البهرجة..."[133] لقد كان للمسجد أثره الروحي الواضح في نفس يعقوب، إلا أنه يخاف من أن يراه أحد أصدقائه يقف عند المسجد وهو الرجل اليهودي! يلاحظ الباحث لفتة إسلامية جميلة في وصف المسجد، وهي خلوه من الزخارف والنقوش والبهرجة، التي كانت محط نقاش طويل بين العلماء، حيث ذهب بعضهم إلى تحريمها؛ لأنها تشغل المصلين عن الخشوع والتركيز في العبادة، فالهدف من المسجد في الإسلام هو إعماره

---

[131] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.56.
[132] حمدي، خولة، *أين المفر*، ص. 13،30،235،238،348.
[133] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.11.

بالعبادة والعلم، لا زخرفته والنقش عليه[134]، وهذا الهدف السامي كان حاضرا في وصفها للمسجد، وربما كانت تواظب على درس الجمعة، ولم تكن وحيدة، بل معها جموع من الفتيات، فـ "ما لبث أن رأى الباب يُفتح، واندفعت جموعُ الفتيات إلى الخارج..."[135] واقتصار الدرس على البنات دون الذكور، يوضح الصورة التي يريدها الإسلام، وهي منع اختلاط الذكور بالإناث.

أما المسجد الكبير في باريس الذي اختارته ندى وصديقتها المسيحية مقصدا للسياحة، فقد كان له دور مهم في تعرّف صديقة ندى على بعض أحكام الإسلام، حيث سألت عن حكمة الصفوف في الصلاة ، وحكمة عدم قطعها، ومكان النساء المتأخر عن الرجال، إذ لا اختلاط في الصلاة بين الرجال والنساء، وكانت السائلةُ تجد لكل أسئلتها أجوبة مقنعة من تلك المرأة القيّمة على المسجد التي قدمت لهما الشاي بابتسامة، ونادتهما بـ (يا أهل الكتاب)، لقد كان لرِفقها ولِينها وحسن استقبالها للزائرتين أثرٌ طيبٌ في نفس صديقة ندى لتقول صراحة: " حقيقة ... الإسلام فيه كل شيء"[136] ما كان لهذه الشهادة أن تخرج من فم مسيحية أوربية لولا وجودها في ذلك المسجد، ولولا وجود تلك المرأة الحكيمة فيه.

وللكنسية دور إيجابي أيضا، فعندما أراد أحمدُ أن يشكر ندى وميشال على حُسْنِ صنيعهما معه، كانت الكنيسة هي المكان الأنسب ليلتقي فيها مع ميشال، فالذهاب إلى بيت ندى دون موعد مسبق يسبب حرجا له ولها، أما بيت العبادة فمفتوح للجميع، لا حرج من اللقاء فيه.[137]

وعندما أسلمت ندى زارتها سماحُ ـ أختُ أحمد ـ قَدَرَاً، وكانت أولَ من علم بإسلامها، وكم تمَّنت وجودَ أحمد معهما لتكتمل الفرحة، ولكن كيف ستُخبر ندى أسرتَها بإسلامها؟ من أين ستبدأ؟ وبمن؟ شخص واحد، ومكان واحد، هما الأنسب لذلك، ميشال أخوها ـ ابن زوج أمها التي عاشت معه كأخيها ـ الذي يخدم بالكنسية، ذهبت إليه واعترفت،[138] وكتم سرها كما توقعت، حينما ذهبت إليه كانت مسلمة، ومكان عبادتها المسجدُ لا الكنيسة، ومع ذلك ذهبت للكنيسة، فكلها في الأصل بيوت الله، بنيت للعبادة والصلاة. وذهاب ندى للكنيسة يذكرنا بذهاب أحمد إلى الكنيسة ذاتها، وإلى ميشال نفسه؛ ليبلغه شكره لندى، سبحان الله! الزيارة الأولى كانت لشكرها، والثانية كانت لإعلان إسلامها، وهذا يجعل للكنيسة دورا في الواقعية الإسلامية التي تعترف بكل الأديان، لكنها توكد تحريفها ونسخها بالإسلام.

وعندما قبض الدكتور عمرُ على نادر ـ اللص ـ الذي حاول سرقة حقيبة سيدة عجوز، تعاطف معه بعد أن أبرحه ضربا، إذ اتضح له أنه ذو عَوَزٍ، ولم يجد عملا يقتات من مردوده، وليس له مأوى يقيه قساوة الشوارع والأزقة والحدائق العامة، فقرر عمرُ أن يجد له مأوى يبيت فيه، فكانت الوجهة الأولى لعمر هي المسجد، أليس المسجدُ بيتَ الله الذي يقصده المسلمون

---

[134] الزركشي، محمد بن عبدالله، *إعلام الساجد بأحكام المساجد*، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1996، ط4، ص.335.
[135] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.12.
[136] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.217.
[137] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.45.
[138] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.229.

للعبادة والراحة وقضاء الحاجات أحيانا؟! توجه عمر للقائِمَين على المسجد طالبا العون، لكن الرد كان واضحا وصارما، لا نستطيع إيواءه عندنا؛ لأسباب قانونية، لم يكن عمر ينتظر هذا الرد، لكنه سمعه، وتفاجأ به، وكرر المحاولة، فتتكررت النتيجة[139]، إذن ستنام عندي الليلة! المسجد هو المسجد، لكن شتان بين القائمين على المساجد، ليتهما كانا كتلك القائمة على المسجد الكبير في باريس عندما جعلت الفتاة المسيحية تعترف بعظمة الإسلام. وعندما تحدث نادر عن شعوره بدخول المسجد ذاك المساء، تكلم كلاما تملؤه الطمأنينة، لقد أبعده التشرد زمنا عن المسجد والعبادة والصلاة والطهارة والنظافة، لقد دخل في عمل العصابات، وماتت فيه خصال طيبة كثيرة، فجاءت اليد المنقذة مع قساوتها على جسده، يد عمر التي كبَّلته وأبرحته ضربا مع تهديد صريح بتسليمه للشرطة، قبل أن تنقلب الأمور؛ لتكون الوجهة التالية إلى المسجد لا إلى الشرطة، توضأ نادر، ثم صلى، ثم خشع فبكى، وندم "يا الله لماذا لم ألجأ إليك منذ البداية؟" تَذكَّرَ البحر وأهواله، وكيف أنقذه الله فيما غرق الباقون! تذكر نعم الله الكثيرة عليه، ثم خاطب نفسه: لماذا لم أقصد المسجد منذ البداية؟! فهو بيت الله تعالى، وكل بيت يرتبط بصاحبه، فكيف إن كان صاحب البيت هو صاحب الكون أجمع " أُحِسُّ بارتياح نفسي مهيب لا عهد لي به منذ بدأت هذه الرحلة..." إذن إنه المسجد بيت الله المفتوح، والفاتح لأبواب الخير. لم يكن عمر راضيا عن موقف الشيخين اللذين رفضا إقامة نادر في المسجد، لكنّ نادرا خرج وهو يخفي فرحته، لقد دعا الله لنفسه بالخير، واستجاب الله له، لقد ألزمَ عمرُ نفسَه بإيجاد مأوى لنادر، خرج قائلا في نفسه " استجاب الله لدعائي مرة أخرى"[140]

يتضح مما سبق أن الكاتبة تريد أن تعطي المسجد أو دور العبادة عموما حقها، وتضعها في مكانها الصحيح، فهذه البيوت بيوت مقدسة، هو بيوت الله في الأرض، فيها الأنس والأمان، وفيها تقضى حاجات الناس، ومنها ينتشر الخير، فما جرى لهذه البيوت في السنوات الأخيرة مخيف وخطير، لقد هوجمت تلك البيوت في غير مكان، وصارت مكان رعب أحيانا، والاهتمام بتصويرها تصويرا إيجابيا مهم جدا وفعال، دون أن نبتعد عن الواقعية الحقيقية، فبعض القائمين على أمور الناس يعطي صورة طيبة عن المكان الذي يعمل فيه، وليسوا جميعا كذلك.

2.3. الزمان في الرواية

"يمثل الزمن عنصرا من العناصر الأساسية التي يقوم عليها فن القصة، فإذا كان الأدب يعتبر فنا زمنيا ـ إذا صنفنا الفنون إلى زمانية ومكانية ـ فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن"[141] والزمن المتعلق بالقصة أو الرواية متعدد كما تقول سيزا قاسم، فهناك الأزمنة الخارجية التي لا تتعلق بمضمون الرواية، بل ترتبط بزمن كتابتها أو قراءتها، وهناك الأزمنة الداخلية التي جرت فيها أحداث الرواية، وتعني مدتها وترتيبها و تتابعها. والزمن عنصر لا يمكن فصله عن الرواية، بخلاف الشخصية، والمكان أحيانا، لأن الزمان هو عين

[139] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.88.
[140] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.90،91.
[141] قاسم، سيزا، *بناء الرواية*، ص.37،38.

الحدث الذي يجري فيه، ومن خلاله. والزمان الذي جرت فيه أحداث روايات خولة حمدي الأربعة زمن معاصر، مليء بالحوادث التي نعايشها أو نعاني منها، باستثناء رواية (أن تبقي) التي كان استباقية (عام ألفين وخمسة وثلاثين ميلادية - 2035م) مبنية على الاسترجاع التاريخي من خلال رسائل مكتوبة.

و معاصرة زمن الرواية يعطيها مصداقية وقيمة إصلاحية، فيما يتعلق بقضايا العصر ومشكلاته، إذ يستطيع الكاتب أن" يبث الحياة في شخوصه أو أبطاله؛ ليكونوا نماذج إنسانية حيّة، تعيش طويلا..."[142]

وروايات خولة حمدي روايات معاصرة، كان ذلك جليا في رواية (في قلبي أنثى عبرية) التي تدور أحداثها قبل عام ألفين ومابعده بقليل، فيما بدأت أحداث رواية (غربة الياسمين) في عام 2004، أما رواية (أن تبقي) فهي استباقية، تجري عام ألفين وخمسة وثلاثين، غير أنها مبنية على الاسترجاع، وهي متممة لرواية (غربة الياسمين) وهذه المُعَاصَرِةِ - كما سلف - أعطت الروايات مصداقية وحيوية، فالقارئ المعاصر يقرأ وكأنه يعيش الحدث تماما، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا رواية (أين المفر) التي ترددت الكاتبة في نشرها، وهي رواية غير محددة التاريخ.

و يتضح الزمن التاريخي في الرواية من خلال إشارات يكتبها الكاتب[143]، كتحديد حدث مهم؛ لينسج الأحداث على منواله، أو شخصية مهمة، وكان هذا الجانب جليًّا عند الكاتبة حمدي، كزيارة الرئيس الفرنسي (جاك شيراك) إلى تونس، ونقل التجربة التونسية في منع الحجاب، والتضييق على من يرتدينه.[144] وفي رواية (في قلبي أنثى عبرية) كانت الأحداث تدور قبل تحرير الجنوب اللبناني وبعده، وكان التحرير في صلب الأحداث، ففي ذاك اليوم فُقِدَ أحمد، وتحرر حسان من سجنه.[145]

لقد نهجت الكاتبة في رواياتها طريقة الترتيب الزمني للأحداث، وكان ذلك حاضرا في غالب الروايات، ومعظم الأحداث، وهذا يعني أن الروايات لم تخلُ من الزمان الاستباقي والاسترجاعي، والاسترجاع نوعان، داخلي وخارجي، فالأول هو العودة إلى أحداث سابقة، لكنها حدثت ضمن الرواية، أما الخارجي فهو العودة إلى أحداث حدثت قبل بدء الرواية.[146] وكلا النوعين كان حاضرا في الروايات، فرواية (في قلبي أنثى عبرية) تبدأ بانتظار (يعقوب) (لريما) أمام المسجد، كان عُمْرُ ريما حينذاك خمسَ عشرة سنة، لكن كفالة يعقوب لريما بدأت مذ كان عمرها تسع سنوات، حيث توفيت أمها، أما عُمرُ ريما عندما دخلت مع أمها إلى بيت عائلة يعقوب فكان خمس سنوات.[147]

---

[142] القاعود، حلمي، *الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني*، ص.36.
[143] خليل، إبراهيم، *أساسيات الرواية*، دار فضاءات، عمان، 2015، ط1، ص.98.
[144] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.41.
[145] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.198.
[146] قاسم، سيزا، *بناء الرواية*، ص.58.
[147] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.12،29.

أما (ندى) فقد بدأت مشاهدها الأولى عندما ساعدت أحمد وحسان، وكانت وقتذاك في الثامنة عشرة من عمرها، لكنها تستحضر أيام مجزرة (قانا) الشهيرة التي وقعت قبل سنتين، عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها، بل عادت بها الذاكرة إلى الوراء أكثر، عندما كانت تحدث أحمد عن أصلها وعائلتها، تذكرت أيام تونس، حيث والدتها تحدثها عن حتمية الشتات المكتوب على اليهود، كانت وقتها في سنتها الرابعة.[148]

وياسمين تذهب إلى فرنسا عام 2004، لكنها تعود بالذاكرة إلى يوم عادت بها أمها من فرنسا إلى تونس، وعمرها 4 سنوات، وعندما كانت تعاني ياسمين من مشكلات الحجاب في فرنسا، تذكرت زيارة الرئيس الفرنسي جاك شيراك التاريخية إلى تونس، حيث عاد ليطبق الخطة التونسية في التضييق على المحجبات، كان ذلك سنة 2003، أما نسخة القرآن المترجمة إلى اللغة الفرنسية التي كانت في مكتبة إيلين زوج والد ياسيمن، فهي هدية مقدمة لها قبل 20سنة. وعندما انتقلت ياسمين من ليون إلى باريس قامت بزيارة أقرباء والدتها، الخالة زهور التي استقرت بباريس، ولم تزر تونس بعد سنة 1989؛ بسبب الأوضاع الأمنية هناك.[149]

والزمن الاستباقي حضر في رواية (في قلبي أنثى عبرية)، حيت سارت الأحداث متسلسلة تسلسلا زمانيا منطقيا، باستثناء لحظات استرجاعية لا تؤثر على سير الأحداث، لكن الكاتبة بعد موت ريما، ومَرَضِ ندى، قفزت خمس سنوات إلى الأمام؛ لتتحدث عن سفر ندى إلى تونس، وزيارة سماح لها قبيل السفر، وظهرت سماح وقتها متزوجة، وعندها طفلة اسمها ريما، وكانت حزينة؛ لأن حلمها لم يتحقق بزواج أخيها أحمد من ندى التي ظهرت في ذاك المشهد مخطوبة لحسان صديق أحمد الذي مرضت أمه وأقعدها المرض حزنا عليه، ثم تعود الكاتبة إلى الوراء لتتحدث بالتفصيل عما جرى في تلك السنوات الخمس[150]، لقد أعطت هذه النقلة القارئ تشويقا للمتابعة، ففي الوقت التي تركت ندى مريضة في المستشفى، يتفاجأ القارئ بخطيبها الثاني، وبريما بنت سماح، وبغياب أحمد!

وكما يؤثر المكان على سلوك الشخصية، فإن الزمان قد يكون مؤثرا أحيانا، لقد تغيرت ريما مع يعقوب ـ الأب الروحي لها ـ مع مرور الزمن، ، فعندما دخلت ريما بيت يعقوب كانت في سن الخامسة، وهي يتيمة الأب، فتكفلها بالحنان والرعاية والهدايا والألعاب، ثم ماتت أمها بعد أن أوصت يعقوب بها، كانت ريما وقتها في سن التاسعة، لكنها عندما صارت في سن الخامسة عشرة ـ حيث بدأت الرواية ـ قد تغيرت معاملتها، لم تعد تتحدث إليه كثيرا؛ لأنه أجنبي عنها، ولا يجوز لها مصافحته، ولا الحديث معه دون حاجة، أما لباسها في البيت فقد تغير، وصارت تلبس الثوب الفضفاض والحجاب، إضافة إلى أنها بدأت في هذا السن بدعوة يعقوب إلى الإسلام؛ لأن الإسلام هو الدين الحق، ولأنها تحب بابا يعقوب كانت حريصة على هدايته،

---

[148] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.21،32.
[149] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.29،31،41،44،96.
[150] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.163.

إن يعقوب قد "أدرك أن ريما دخلت مرحلة جديدة في تعاملها مع دينها، مرحلة النقاش ومحاولات الإقناع..."[151]

معاصرة الزمن الروائي ـ كما سبق ـ يعطي القصة حيوية وفائدة، وهذا ما نراه عند خولة حمدي، فقضايا رواياتها المطروحة قضايا معاصرة، تصلح لأن تكون مشعلا لبعض الشباب الذين يعانون من مشكلات مشابهة لما ورد في الروايات، وهذا متوافق مع الواقعية الإسلامية التي ترى في الأدب سبيلا للتربية والنهوض، بخلاف الروايات المعتمدة على أزمنة غابرة قد تكون غير صالحة للتطبيق في عصرنا الحاضر.

3.3. الموضوع الروائي

الموضوع الروائي، أو حوادث الرواية وأعمالها، أو ما يُطلق عليه اسم (التصميم)، يختاره الكاتب مما يراه أو يسمعه أو يقرأ عنه، ومن هنا تتباين الروايات فيما بينها، من حيث الأهمية، فالرواية السطحية التي تتناول موضوعات بسيطة، أو تافهة، تكون عديمة الفائدة، قليلة الأهمية، بينما تسمو الروايات التي تتناول موضوعات تهم الإنسان، وتنطلق من ماهيته، وتحمل معانٍ ذاتَ قيمةٍ أخلاقية، فالرواية ـ وإن حملت هدفا ترفيهيا ـ لابد من احتوائها الفائدةَ والنفعَ، ولابد من اتصافها بالصدقَ[152].

تعددت المواضيع الروائية في روايات خولة حمدي، غير أنها كانت تدور في فلك الواقعية، منطلقةً من المشكلات التي يعاني منها الإنسان العربي في الوقت الحالي، لقد تناولت الكاتبة قضية المقاومة اللبنانية للاحتلال الإسرائيلي، وهذه قضية تشغل العالم العربي، إذ نجد من يدعو إلى المقاومة والتحرير، ونجد في المقابل من يدعو إلى السلام والتطبيع. إضافة إلى ذلك تناولت الكاتبة موضوع الحجاب وأثره على المرأة المحجبة في الدراسة والعمل، فقد علت الأصوات التي تدعو المرأة إلى نزع الحجاب، فيما ظهر جيل أنثوي متمسك بالحجاب في أحلك الظروف. وتناولت الكاتبة قضية زواج المسلم من غير مسلمة، وغير ذلك من القضايا المعاصرة، تناولتها بنَفَسٍ إسلامي، ولعل هذا من الأسباب التي جعلتني أكتب في الواقعية الإسلامية عندها، إذ كانت الروايات حافلة بالواقعية الاجتماعية، والواقعية الإسلامية، حيث لا يجد القارئ لروايات خولة حمدي فضاءً خياليا سوى ما يستوجبه أسلوب الرواية أحيانا، بل يجد القارئ نفسُه قد عاش أو يعيش بعضَ مشاهد الحكاية.

لقد كانت الواقعية سمة أغلب الموضوعات التي تناولتها الكاتبة (خولة حمدي)، كما كان التصميم المحكم رابطا لها، فلا يجد القارئ لرواياتها تشتتا في الموضوعات أو تنافرا، بل كانت الأحداث تسير بانسيابية تكاد تخلو من عنصر المفاجأة، كما خلتْ من التصميم المفكك، أو كادت.[153]

---

[151] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.18،36.
[152] أمين، أحمد، *النقد الأدبي*، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، د ت، د ط، ص.106.
[153] للاطلاع على أنواع التصميم يُنظر: أمين، أحمد، *النقد الأدبي*، ص.108.

وأهم الموضوعات التي وردت في روايات خولة حمدي هي:

1.3.3.التسامح الديني

التعايش الديني، أو التسامح الديني، قضية قديمة جديدة، أثارها بعض المغرضين مؤخرا؛ لتحقيق أهداف غير نبيلة، فالإسلام لا ينكر الآخرين، ولا يُحرِّم التعايش معهم، قال تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾[154] وقال أيضا: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[155] وهناك أحاديث تحرم إيذاء غير المسلم في المجتمع المسلم مالم يكن محاربا، كقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)[156]، لكن أهدافا تدميريَّة جعلت بعض أصحابها يدعون إلى القضاء على هذا التعايش المشترك بين المسلمين وغيرهم، ووجدت هذه الدعوات الآثمة ـ في الفترة الأخيرة ـ مكانا وزمانا خِصبين، فقد عمَّتِ الفوضى كثيرا من البلاد العربية، واختلط الحابل بالنابل، وأصبحتَ ترى الناس سكارى وما هم بسكارى، لكن الخطب شديد، فهبَّ حاملو السُّمِّ الفكري؛ لينشروا بضاعتهم القاتلة في كل ما وصلت إليه ألسنتهم وأيديهم!

تُصوِّرُ الكاتبةُ في رواياتها بعضَ جوانب التعايش الديني بين المسلمين والمسيحين واليهود، وهذا التعايش ليس جديدا أو مستنكرا، بل كان المسلمون منذ عهد الصحابة يعيشون في مجتمعات تضم أبناءَ الديانات الأخرى، لقد كانت المدينة المنورة موطن المسلمين واليهود، وهذه والدة (ريما)، امرأة مسلمة تعمل مدبرة منزل عند عائلة (يعقوب) اليهودي، وكانت العائلتان متجاورتين أصلا، وتقيمان في جزيرة (جربة) التونسية التي يتجاور فيها الكنيس القديم مع المساجد، وعندما اقتربت مَنِيَّةُ الأمِّ أوصتْ يعقوبَ بابنتها، وحَفِظَ يعقوبُ الوصية، فصارت (ريما) فردا من أفراد أسرة عائلة يعقوب، يخصُّها يعقوب بالهدايا والألعابِ والحنانِ الذي حرمَها منه غيابُ الأب، كانت ريما بهجةَ البيت، وروحَه النابضة، لم يغب عن الأمِّ اختلافُ الدين فأوصتْ يعقوبَ بالمحافظة على دين ابنتها أيضا، وطلبتْ منه استمرارَ حضورِ ابنتها درسَ الجمعة الذي يُقام بعد صلاتها، ونفذ يعقوبُ الوصية، بل أحسن تنفيذها، لقد كانت أسئلة كثيرة تدور في رأس يعقوب عن الإسلام، لكنه يمتنع عن طرحها على ريما خوفا عليها، فالبنت ما تزال صغيرة على الإجابة، كما يخشى عليها من الشك في دينها.

لكن التسامح الديني لا يعني أن يكون جميع أبناء الديانة الواحدة على مبدأ واحد، فزوجة يعقوب ـ مثلا ـ لم تتقبل (ريما) التي تقبلها يعقوبُ، وتقبَّلها والداه من قبل، فـ (ريما) في نظر (تانيا) زوجة يعقوب غريبةٌ عن البيت، ولن تصبح يوما من أصحاب البيت، وهذا ما حصل مؤخرا، عندما أُجبِرَ يعقوبُ على إرسال ريما إلى لبنان؛ كي تعود زوجته إلى بيتها الذي غادرته احتجاجا على وجود مسلمة فيه؛ وخوفا من أن تؤثّر هذه المسلمةُ على دين وسلوك أولادها، بل اتهمتها يوم غادرت المنزل بأنها فتاة سيئة، وبأنها سبب مشكلات العائلة كلها!! وعندما اتصل (دافيد) أخو (تانيا) لإصلاح الأمر، كان شرطُ (تانيا) كي تعود إلى المنزل هو خروج الفتاة

---

[154] سورة البقرة، 256/2.

[155] سورة الكافرون، 6/109.

[156] أبو داود، سليمان بن الشعث، *سنن أبي داود*، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009، ط1، 652/4، رقم الحديث3052.

المسلمة منه! كما كانت (تانيا) زوجةُ يعقوب لا تحب الخروج مع ريما إلى النزهة أو السوق، ولم يكن لذلك سبب سوى أنها مسلمة.[157]

كذلك ظهر التعايش الديني في بيت (راشيل) أخت يعقوب، حيث استقبلت ريما بعدما طردها يعقوبُ من بيته إرضاءً لزوجته، فهيأت لها راشيل ـ اليهودية ـ الأجواءَ المناسبة، والغرفة الجميلة المملوءة بالألعاب والصور المناسبة للأطفال، غير أن زوجها كان شبيها بزوجة يعقوب، فلم يقبل ريما في البيت، بل حاول الاعتداء عليها، وضَرَبَهَا غيرَ مرة، فاضطرت راشيل إلى إرسالها إلى بيت عائلة (ندى)، وهناك قوبلت ريما بترحيب عريض من ندى، ولاقت معاملة حسنة من جورج صاحبِ البيت، لقد "كان جورج ـ المسيحي ـ أكثر أفراد العائلة طيبة معها بعد ندى، لم يكن يعاملها معاملة خاصة، لكنه على الأقل يبتسم في وجهها، ولا يجرح مشاعرها، ولم تكن لتطلب أكثر من ذلك، في أحيان كثيرة كان (بابا جورج) كما تناديه ندى، يذكرها بـ (بابا يعقوب)..." غير أنها لم تلقَ من (دانا) أختِ ندى، و(سونيا) أم ندى المعاملة ذاتها، بل خيّرتها سونيا ـ اليهودية ـ بعد شهر من الاقامة في بيتها بين الرحيل والقيام بأعمال البيت كافة، التنظيف والغسيل والطبخ والترتيب والتسوق...، مقابل إقامتها معهم ومشاركتهم طعامهم!![158]

ويوم انفجر إطارُ سيارةِ حسان وأحمد أمام بيت ندى اليهودية، استقبلتهم ندى في مستودع البيت، بعد أن رأت أحمد مصابا يكاد وعيُه أن يغيب، وقدمت لهما الاسعافات الأولية باستدعاء أخيها ميشال المسيحي، فميشال يعمل بالكنيسة، لكنه درس التمريض مدة من الزمن، لم يكن (ميشال) راضيا عن استقبال ندى للشابين الغريبين، لكنه قدم الاسعافات اللازمة بإخلاص، كان المستودعُ مكانَ التمريض، فجمع ذاك المستودعُ الكائنُ أقصى حديقةِ البيتِ الخلفية أبناءَ الديانات السماوية الثلاثة، كما ضَمَّ بيتُ عائلةِ ندى أبناءَ الديانات الثلاثة لاحقا، وعندما عاتب ميشال ندى على استضافتها للشابين الغريبَين برَّرتْ له ندى فِعلَها معاتبة "ظننت أن عملك في الكنيسة سيجعلك أكثر تسامحا..." وفي الحقيقة كان اعتراض ميشال على ندى خوفا عليها من أمها اليهودية المتشددة التي تكره المسلمين، إنها تحذر ابنتيها دائما من الاختلاط بالمسلمين بل تتمنى لو تستطيع أن تنسيهما أن لهما أبا مسلما!! لكن تحذير سونيا لابنتيها بالابتعاد عن المسلمين لم يفدها، بل عاد أحمد المصاب وطلب ندى زوجة له، وتمت الموافقة الأولية من الأب الذي سألته ابنته دانا عن عقيدة الخاطب فقال: أظنه مسلما! فهتفت سونيا: مسلم؟ لن أزوج ابنتي من مسلم! أنا أرفض هذه المصاهرة!! لم تكن ندى المتسامحةَ الوحيدةَ في ذلك البيت، فأبوها (زوج أمها) المسيحي جورج كان متسامحا، لذلك لم يخش ميشال على ندى منه يوم استقبلت أحمد وحسان، كما أعطى جورجُ الحريَّةَ التامة لندى لترفض الخاطب (أحمد المسلم) أو تقبله، وعندما أعلنت ندى إسلامها فيما بعد غضبت منها أمها كثيرا، لكن جورج لم يعترض. لقد كانت ندى تقدم الجانب الإنساني على الجانب الديني، فالإنسانية أعم وأشمل من المنظور الديني الضيّق، يسأل أحمدُ ندى عن قبولها مساعدتهما مع اختلاف الدين، فتقول: "وما

[157] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.11،13،17،55،60،61.
[158] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.76،95،150،142.

شأن ديانتي بالعمل الإنساني؟ ألا يحثك دينك على الرحمة والرأفة وتقديم يد المساعدة إلى من يحتاجها، مهما كان انتماؤه وعقيدته؟ أليست تلك رسالة جميع الأديان السماوية؟"[159]

والتسامح الديني ليس جديدا عند الكاتبة خولة حمدي، بل هو موجود في روايات أخرى، كرواية (جارات أبي موسى) للكاتب أحمد التوفيق، حيث ينتقل (علي سانشو) من الديانة المسيحية إلى الإسلام، وبقي صديقه (بيدرو) على علاقة طيبة معه، و" لم يُحسَّ يوما بشيء من الحقد على (سانشو) صديقه... الذي تحول إلى الإسلام، والأتقياء في نظره موجودون في كل الأديان، فإذا تحولوا من دين لآخر، فإنما يدفعهم لذلك مزيدُ البحثِ عن شيء لم يجدوه..."[160]

فالتعايش الديني من الواقعية الإسلامية، كذلك وجود أفراد ضمن المجتمع المتسامح لا يقبلون وجود الآخر بينهم من الواقعية الإسلامية أيضا، فيعقوب اليهودي تقبل (ريما) المسلمة في بيته، بينما رفضتها زوجته، وعندما استقبلت أختُه (راشيل) ريما في لبنان، رفضها زوجُها، كذلك والدة أحمد، كانت ترفض ارتباطَ ابنها أحمد بفتاة يهودية، وهذه الصورة نجدها في المجتمع الإسلامي الأول، حيث كان البيت الواحد يضم مسلمين ومشركين، ساد التوافقُ بعضَ تلك البيوت، بينما دبَّ الخلافُ في بعضها الآخر، لتصل الأمور إلى الطرد أو الضرب أو الحرب.

ولعل الكاتبة ترنو من خلال هذه القضايا إلى هذه الصورة الإيجابية، أن يتعامل أبناء الديانات المختلفة فيما بينهم بالحسنى، فلا ضرر ولا ضرار، ولا إيذاء ولا اعتداء، فالعقل والمنطق والدين لا يَفرِض على أحد أن يقتنع بفكر الآخر، لكن ما سبق يحرم على الإنسان أن يؤذي أو يضطهد أخاه الإنسان.

2.3.3. الانتقال من دين إلى آخر

الانتقال من دين إلى آخر ليس سهلا على الشخص الذي يريد ذلك، فما إن يقتنع الشخص بالدين الجديد حتى يواجه معارضة من الأهل والأقرباء والأصدقاء ومجتمعه كله، وتاريخ صَدْرِ الإسلام حافل بهذه الحالات التي تعرَّضَ أصحابُها للتعذيب والضرب والتهجير في سبيل منعهم من الدين الجديد، وقد ازداد الأمر تعقيدا في عصرنا الحالي، إذ يجب ـ عند تغيير الديانة ـ تغييرُ بيانات سجلات النفوس، والبطاقة الشخصية، لكن الإسلام لا يرى حرجا في اتباع أي شخص له، وإن كان أهله على ديانة أخرى، بل نراه وضع ضوابط لذلك من حيث الميراث والزواج و طاعة الوالدين ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [161] وفي صدر الإسلام كان الأخَوَان أو الأب والابن، يقف أحدهما في صف المسلمين ويقف الآخر في الصف المقابل، ذلك لأنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[162] .

---

[159] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.24،26،31،59،65.
[160] التوفيق، أحمد، *جارات أبي موسى*، دار القبة الزرقاء، الدار البيضاء، 2000، ط2، ص.85.
[161] سورة لقمان، 15/31.
[162] سورة البقرة، 256/2.

لقد عاشت ندى في بيت تعددت دياناتُ ساكنيه، كما وُلِدتْ من أبوين مختلفي الديانة، فوالد ندى مسلمٌ، وأمها يهودية، وأختها يهودية تتبع دينَ أمهما كما تنصُّ الديانة اليهودية، وقع الطلاق بين الأب والأم، فارتبطت الأم برجل مسيحي، وله ولد على دين أبيه أيضا، أما خالة ندى فتزوجت مسلما، وخالها تزوج مسلمة وأسلم من أجلها، كل هذا يجعل موضوع الانتقال من دين لآخر أسهل مما لو كانت الأسرة كلها على دين واحد، وهذه الصورة أيضا متوافقة مع الواقع الإسلامي في صدر الدعوة، وكان الانتقال من دين إلى آخر في الروايات مقتصرا على الدخول في الإسلام، فلم ينتقل من الإسلام إلى غيره إلا أحمد عندما فقد ذاكرته، وعندما عادت ذاكرته إليه عاد إلى الإسلام،[163] وحتى هذه الصورة ليست مستنكرة شرعا، لأن أحمد وقتها كان غير عاقل تماما، والقلم مرفوع عنه، يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (رُفع القلم عن ثلاث عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق)[164]

وفي رواية (في قلبي أنثى عبرية) كانت ندى أول من انتقل من اليهودية إلى الإسلام، فوالد ندى مسلم، لكن والديها افترقا وهي صغيرة، وهي تتبع أمَّها حضانة وديانة كما تنصُّ الديانة اليهودية، وكانت أمها متمسكة بيهوديتها، وتحرص على اتباع ابنتيها لدينها، لكن ندى كانت مختلفة، فهي متمسكة بدينها اليهودي، وملتزمة بحجابها اليهودي، لكنها كانت تُعمِل العقل في كثير مما تعايشه، لقد كان لها موقف مختلف عن أمها من حيث معاداتها للإسلام، ولها كذلك موقف خاص فيما يتعلق بالمقاومة ومشروعيتها، وعندما دخل أحمدُ بيتَ ندى وقلبها، كان لأقواله وأفعاله ومواقفه أثرٌ كبير جدا في حياتها، وفي إسلامها، لقد اعترفت بذلك لوالدتها عندما أسلمت "صحيح أن أحمد علمني الكثير، وأنا مدينة له بإسلامي، وضعني على الطريق وأعطاني وسائل البحث اللازمة..."[165] لم يكن إسلام ندى سهلا على أمها أبدا، لقد حاربتها، وعاقبتها، وامتنعت عن الطعام، وهذا يذكرنا بقصص مماثلة جرت مع الصحابة الكرام الذين ثبتوا على الحق مع شدة ما عايشوه، كقصة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مع أمه،[166] كذلك فعلت ندى، ولم تكن وحيدة فيما جرى لها، ففي بعض الروايات نجد من قام بقتل ابنته بسبب تغيير الدين، كما فعل (وهيب) بابنته (بتول) في رواية (كلمة الله).[167] لم يكن أحمد وحده صاحبَ الأثر الطيب في إسلام ندى، بل كان لريما أيضا دور كبير في إسلام ندى، لقد كانت ريما قدوة حسنة لندى، تعلمت منها الكثير، بل كانت ندى تريد أن تظهر بمظهرها عندما قررت ارتداء الحجاب الإسلامي.[168]

لم تكن ندى وحدها من انتقل من اليهودية إلى الإسلام، بل ندى ذاتها لم تتوقف عند دخول الإسلام وتتفرغ لعبادتها فحسب، بل كانت داعية إليه بما تمتلك من معلومات تصفها بأنها قليلة، دخلت بيت يعقوب، وتعهدت بالدعوة كي لا يحدث مع يعقوب وعائلته ما حدث مع جورج وميشال اللذين ماتا على غير الإسلام، وهي الآن تقطف ثمرتها الأولى التي جعلتها تفرح بها

---

[163] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.32،34،312،315.

[164] السيوطي، جلال الدين، *سنن النسائي*، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1994، ط4، 156/5، رقم الحديث 3432.

[165] حامدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.233.

[166] قصة_سعد_بن_ابي_وقاص/https://mawdoo3.com

[167] العتوم، أيمن، *كلمة الله*، دار المعرفة، الأردن،2015، ط1، ص.193.

[168] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.32،42،231،236.

أكثر من فرحها بإسلامها، (سارا) ابنة يعقوب تدخل الإسلام بعد نقاش طويل ومتنوع عن حكمة الجهاد، والحجاب، وغيرهما، كانت ندى في ذاك النقاش سفيرةً رائعة، ومعلمة بارعة، ولم تستنكر ندى شدة فرحها بإسلام سارا، فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذاته فرح كثيرا عندما دخل على طفل يهودي يحتضر وأسلم على يديه[169]، وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف لا تفرح هي وقد أثقلتها المعاصي والماضي العصيب.[170]

يعقوب، ثمرة جديدة، كانت ريما بطلتها الأولى، وكان لسارا وإمام المسجد دورٌ في ذلك، إنه يعقوب الذي دعت له ريما كثيرا بالهداية، قالت له ذلك مشافهة، وعبر رسائلها الكثيرة، ولم تخرج ندى بلا حظٍّ من هذا الفضل، فهي التي شرحت ـ غيرَ مرة ـ حِكمةَ الجهاد، ومشروعية القتال، ونفت تهمة القتل التي ألصقها أعداء الإسلام بالإسلام، تدخل سارا الإسلام خفية، يكتشف ذلك يعقوبُ والدُها، يتحرك شيءٌ ما في داخله، بدأت لديه مسيرة البحث الجِدِّيَّة، لقد سمع كثيرا من ريما وندى، ورأى سارا، والآن بدأ بنفسه، ذهب للمسجد يسأل الإمام عن كل ما يخطر بباله، اقتنى مصحفا، قرأ، دعا، استجار بالله، ثم أعلنها صريحة " اللهم إني أشهد أن لا إله غيرك، وأن محمدا عبدك ورسولك... وترك العنان لدموعه، تغسل ما مضى من ذنوبه"[171]

لم تكن زوج يعقوب لتقبل بإسلامه، فكثرت الخلافات والمشكلات، غادرت البيت شهورا، كان يعقوب حريصا على استمرار الزواج؛ فالطلاق عند اليهود لا رجعة فيه، عادت إلى البيت للمفاوضات، أخيرا تدخل تانيا ـ زوج يعقوب ـ الإسلام، العائلة كلها أسلمت، لو كانت ريما موجودة لما وسعتِ الدنيا فرحتَها، فهذه بذارها أينعت أشجارا باسقة، لكن الفرحة لم تَفُتْ ندى، ما أسعدها اليوم! عائلة يهودية تدخل الإسلام بقناعة، لا لزواج ولا لتجارة، ولا لمصلحة، وتكتمل الفرحة عندما تسافر سارا في بعثة علمية إلى أمريكا، تسافر مسلمة لا يهودية، إنها سترفع راية الإسلام.[172]

3.3.3. التزاوج بين أبناء الديانات المختلفة

للزواج أنظمة وقوانين في كل دين ومجتمع، تضبط هذه القوانينُ شروطَه وتحدد مقوّماته، وبعض هذه الشروط يكون دينيا أو منطقيا، وبعضها يكون عنصريا، ففي الإسلام يجوز زواج المسلم من الكتابية، دون العكس، وعلى هذا سار أحمد في ارتباطه بندى قبل إسلامها، وفي هذا ما يدل على التعايش بين أبناء الديانات المختلفة، لكننا لا ننكر رفض الأمهات لهذا الزواج من كلا الطرفين لذلك، وإن كان رفض والدة ندى أشدَّ وأدومَ، أما الأبَوَان فكانا أكثر تقبلا للأمر، لعل العقل تغلب على العاطفة عندهم، والشرع لدى أحمد تغلّب على العُرف، وهذا الزواجُ إن سار وفق الشرع الحنيف يكون خيرا للجميع، فصِدقُ الرجلِ المسلمِ مع زوجتِه

---

[169] العسقلاني، ابن حجر، *فتح الباري*، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2001، ط1، 259/3. رقم الحديث 1321.
[170] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.267،269،283،284.
[171] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.279،300،303،307.
[172] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.308،309.

الكتابية، ومحافظتِه على الأخلاق الإسلامية الصحيحة، سيكون دعوة لها إلى الإسلام[173]، دعوة عملية واقعية، لا لفظية متناقضة أحيانا.

رنيم المحامية المصرية الشابة، تقع في حُبِّ ميشال مديرها في العمل، تُقَدِّمُ له إحدى كِلِيَتَيها مجانا، فتُعَاني الآلام الجسدية، ثم يتخلى عنها ميشال فيزداد الألم ألما، ألم الجسد وألم الروح، يقدم لها خدمة أخيرة، وهي توصية للعمل في باريس، تدور الأحداث وتختلط، وتلتقي رنيم بياسمين، تسكنان معا، تتبادلان الحكايات، تتعاطف ياسمين مع رنيم وتتألم مما جرى معها، لكنها تخبرها بأن الله تعالى يحبها، لأن تلك العلاقة خطأ، ولو تُوِّجَت بالزواج لكان الخطأ الأكبر "لأن المرأة المسلمة لا يصح أن تتزوج غير المسلم"[174]

نادر شاب تائه مريض، اكتشف إصابته برصاصة قديمة عندما ذهب إلى فرنسا، استيقظ نشاطها مؤخرا، قصد الشيخَ المختار في باريس، رحل إليه من مدينة (ليون)، تعرَّف خلال إقامته هناك على عائلة فرنسية، الأم وابنتها فقط، وقع حبُّ الفتاة التي أقعدها المرضُ في قلبه بلا استئذان، حُبٌّ جامح، غير أنه صامت، والطريق إليها يراه نادر محالا، فهو لاجئ فارٌّ من الشرطة، مصاب برصاصة تقلب حياته جحيما، ليس لديه عمل كريم يعيش من مردوده، لم يفكر بالزواج منها، لكنه يُحِب أن يراها كل يوم، و ديانا عندها عقدة نفسية بسبب إصابتها بحادث سير أقعدها على الكرسي، فعندما رأته تحسن حالها كثيرا، اهتمت أمها بنادر؛ لأنه أول شاب تبتسم له ابنتها الوحيدة، أخيرا طلبت الأمُّ من نادر أن يتزوج ابنتها، كان الهدف من الزواج متشابكا ومعقدا، تفاجأ به نادر، لكنه قبل به فَرِحَاً، فلتلك الفتاة (ديانا) في قلبه الشيء الكثير، بل كل شيء، وأمها ترى في نادر علاجا لابنتها التي أرادت الزواج منه أيضا، لكن الأمُّ تخشى رفض نادر للزواج، فدخلت عليه من باب تسوية وضعه القانوني، و تبادل المشاعر والاهتمام، فنادر غريب، وهي وابنتها كذلك، إذ انقطع عنهما الأقرباءُ منذ وفاة الأب، تشابكت المصالح لتنسج طريقا واحدا يرضي الجميع، فيتزوج نادر المسلم الجزائري ديانا الفرنسية المسيحية. لكنَّ الشيخَ المختار (شيخَ نادر) لن يقبل، فذهب نادر إلى (شيخٍ آخر) الشيخِ البشير، الذي يبدو أكثر طيبة من الشيخ المختار، حاول الشيخُ البشير أن يقنع نادرٍ بغيرها، لكنه عندما رآه عاشقا هائما غير آبه بالنتائج، بارك له زواجه منها ما دامت تدين بالنصرانية، ومنَّاه بإمكانية دعوتها إلى الإسلام ليزداد الإحسانُ إحسانا " تزوجها على بركة الله ... ثم احرص على دعوتها إلى الإسلام، فربما كتب الله هدايتها على يديك"[175] لكن نادرا لم يخبر أمَّه التي لن تقبل بذاك أيضا.

والتزاوج بين أبناء الديانات المختلفة ليس مقتصرا على راوٍ دون آخر، ففي رواية (نزوح مريم) للكاتب محمود الجاسم، تزوّج هاشم المسلم سارةَ المسيحية، بعد قصة حب طاهرة، رغم معارضة أهل سارة لهذا الزواج، غير أنها انتصرت في النهاية لقلبها،[176] كما فعلت ندى.

---

[173] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.75.
[174] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.23،146.
[175] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.37،151،170،243،245.
[176] الجاسم، محمود، *نزوح مريم*، دار التنوير، القاهرة، 2015، ط1، ص.98،99،109.

ومن الملاحظ أن الزواج بين مختلفي الديانة عند خولة حمدي جاء متوافقا مع الشرع الإسلامي، فكل الزيجات كان الرجل فيها مسلما والمرأة كتابية، وهذا جائز في الإسلام.

4.3.3. اندماج المسلم في المجتمعات الغربية.

العمل والدراسة والهروب من الحروب والفقر والإذلال، هذه بعض أهم الأسباب التي تجعل المسلمين يهربون من بلدانهم الأصلية إلى جنان الغرب المزعومة، فيبقى بعضهم على أخلاقه ودينه وعبادته، بل قد يزداد تمسكا بدينه؛ لأن المحيط جارِفٌ وغادر، بينما يتخلى بعضٌ آخرُ عن دينه وأخلاقه بدرجات متفاوتة، قد يصل بعضُها إلى التخلي التام ، فنجد بعضا منهم غيَّر اسمه، واختار لأبنائه أسماء غربية؛ مواكبة للواقع، ورغبة بالاندماج.

كان عمر وياسمين ممن زادتهم الغربة تَمَسُّكا بالدين والأخلاق، كانا يحاربان في سبيل الحفاظ على دينهما، ويتقبلان الصعوبات التي يسببها لهم دينهم دون التفكير بالتخلي عنه، فالدكتور عمر باحث في مجال الكيميائيات، كان يرفضُ السهر والسمر والصحبة والترفيه مع زملائه مع ما تحمله مدينة إقامته من مغريات ومناظر خلابة؛ لأن ذلك طريقٌ مصيرُه محتومٌ ومعروفٌ، هو الاندماج والتأثر والذوبان في تلك المجتمعات التي لم يستطع عمر أن يتقبل عاداتها يوما. أما ياسمين فهي فتاة محجبة تبحث عن عمل، وتشكو رفضَ طلباتها من قِبل مديري الشركات بسبب حجابها، علما بأنها تحمل مؤهلات علمية ممتازة، ولغتها الفرنسية جيدة، كانت ياسمين توافق على كل شروط العمل "لكن دون التنازل عن الحجاب"[177].

وفي الطرف المقابل نجد والد ياسمين قد تخلى عن أمها مذ كانت طفلة، وتزوج فرنسية ملحدة، وأنجب منها ولدين، واختار لهما أسماء عالمية؛ لسهولة الاندماج، سارة وريان، وأوكل تربيتهما لأمهما، كان العمل شغله الشاغل، يسافر ويشارك في المؤتمرات الدولية؛ لنيل الشهرة العالمية، وقد حصل على ذلك، لكنه أهمل عائلته، وصار باردا تجاهها، فعندما عاد إلى بيته بعد رحلة عمل، ورأى ابنته ياسمين في بيته الفرنسي، كان استقباله لها باردا! علما بأن تلك الزيارة هي زيارتها الأولى لبيت أبيها، إنها البلاد الغربية التي تحول الإنسان لآلة، تبدأ عملها وتنهيه بوقت محدد، تموت المشاعر، وتتحجر القلوب. لقد غيَّر والدها اسمه من كمال عبدالقادر إلى سامي كلود، لم تصدق ياسمين هذا الأمر عندما قرأت الاسم الجديد على باب البيت، لقد ظنَّت أنَّ (سامي كلود) اسمُ مالك البيت القديم، لكن زوجة أبيها شرحت لها سبب تغيير الاسم، وبيَّنت لها أن اسم أبيها الجديد هو سامي كلود، وليس كمال عبدالقادر. وعندما دخلت ياسمين النقاش مع والدها وجدت أنه غير سعيد اجتماعيا، بل يظهر الحسرة على أيام السعادة التي عاشها مع أمها فاطمة، قبل أن تسوء العلاقة بينهما؛ بسبب ارتدائها الحجاب، وبسبب نشاطها في الدعوة إلى الإسلام، واعترف سامي كلود لابنته ياسمين بأن زواجه من (إيلين) الفرنسية كان خطأ ومتسرعا! إن هذه الحالة التي يعيشها والد ياسمين نتيجة منطقية لما قام به، فتغيير الأصل ليس سهلا، ولن يجلب سعادة، لقد تخلى كمال عن اسمه وعاداته و زوجته وابنته ليحقق نجاحا باهرا، وقد نجح في بعض ما أراد، فأصبح مشهورا في ميدان عمله، لكنه في المقابل اعترف بأن

[177] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.9،40.

السعادة الاجتماعية غائبة عنه، وبرر ذلك قائلا: "لا يمكن أن نحقق السعادة في كل المجالات، يجب أن نضحي بأشياء لننجح في أشياء... والرضا المطلق عن النفس ليس واردا". لقد علَّمتِ التجارب ساميا (والد ياسمين) دروسا مفيدة، لذا فهو لم يمانع حجاب ياسمين كما مانع حجاب أمها من قبل، علما بأن حجاب ياسمين كان سببا رئيسيا في تقليص فُرَصِهَا في العمل.[178]

وفي رواية (أن تبقي) التي انطلقت من رواية (غربة الياسمين) نجد خليلا المحامي قد اختار اسما جديدا لنفسه، إنه (دانيال)، ويشرح خليل ذلك بقوله "خليل هو الاسم الذي منحني إياه والدي وسجله في الأوراق الرسمية، دانيال هو الاسم الذي أعيش به، ويعرفني به كل من حولي،... لذلك أفضل دانيال..." علما بأن والد خليل (نادر) كان الرجل الوحيد في عائلته، وسمَّى ولده على اسم أبيه؛ كي لا يموت هذا الاسم بموت صاحبه، لكن الرغبة في الاندماج جعلت خليلا يختار دانيال!! ومع ذلك لم يجد خليلٌ لدى الفرنسيين قبولا تاما له، فهو متهم بالتعاطف مع المهاجرين العرب الذين تم طردهم من بيوتهم في باريس قبل هدمها، لقد قيل له: "لكنك تتعامل مع الأمر ببعض الحساسية؛ لأن الموضوع يَهُمُّ من هم من نفس جذورك[179]..." شركاؤه في الجذور تم وصفهم بالمشاريع الارهابية، وأن طردهم من تلك البيوت ليس عارا، أو عيبا، أو جريمة إنسانية، بل إن هدم البيوت فوق رؤوسهم لا يعني سوى التخلص من نفوس خبيثة!!![180]

قضية الاندماج قضيَّة حية ومهمة، فمئات الآلاف من المسلمين يعيشونها في البلاد الغربية الآن، ويعانون مما عانت منه ياسمين ـ وأمها من قبل ـ وعمر، وبعضهم سلك الطريق الذي سلكه والد ياسمين، فغير عاداته ولباسه، وبعضهم تخلى عن دينه ليعيش حياة الأوربيين طمعا برضاهم، ولكن ﴿...لَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾[181].

ولعل الكاتبة أرادت توضيح هذه الفكرة، فالاندماج والتخلي عن الأصل لم يجلب السعادة لكمال عبدالقادر ولخليل مع ما وصلا إليه من المكانة العلمية والاجتماعية، فيما كان التمسك بالأصل والدِّين عائقا أمام أصحابه في بعض المجالات، دون أن يحرمهم من السعادة والرضا عن النفس.

5.3.3. السلبية تجاه المسلمين والغرباء في الغرب

لا ينكر عاقلٌ دورَ وأهميَّةَ المسلمين في الغرب، ففيهم المفكر، والمبدع، والناجح في عمله، لكن الأجواء العامّة هناك لا تتقبل نجاح المسلمين، وتحاول أن تحُولَ دونَ ربطِ النجاحِ والإبداع بالمسلمين، وذلك بترغيب المسلمين بترك دينهم، أو الحيلولة دون نسبة الإبداعات لهم، كما يحاولون استغلال المسلمين هناك كلما سنحت لهم الفرصة.

رنيم، محامية مصرية شابة، تقودها أحلامها إلى فرنسا، إلى مدينة (مرسيليا) تحديدا، تبحث عن سُبُلِ تحقيق أحلامها، فتقع في حب مديرها في العمل (ميشال) الذي يستغلها استغلالا

---

[178] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.45،70،74،76.
[179] الصواب: من جذورك نفسها، لكنني التزمت بنص الرواية.
[180] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.211،361،362.
[181] سورة البقرة، 102/2.

دمَّر حياتها، تتبرع له بإحدى كِلِيَتَيهَا، فيتركها في المستشفى تعاني آلام الجسد والروح، وينقطع عنها، ولا يجيب على اتصالاتها، غادرت المستشفى خِفية لتلقاه في بيته، فيعرِضُ عليها ثمن الكِلْيَةِ، ولكن أيُّ ثمنٍ يكون مناسبا لقطعة من الجسد وُهِبَتْ مفعمة بالحب "لكن إن شئتِ دفعت لك الثمن الذي تطلبينه... تريد أن تدفع ثمنا لماذا؟ لقطعة من جسدي وهبتها لكَ بحب"[182] لقد كان موقف ميشال استغلاليا، منَّاها بالحب والعاطفة، حتى إذا ما نال مراده هجرها طريحة الفراش، وأحضرَ مَن يُعوّضه عاطفتها وحبَّها، أحضرَ (كلوديا) تلك الفتاة الشقراء التي رأتها رنيمٌ يوم زارته في بيته قبل اندمال الجراح، وخرجت من بتيه لتسقط مغشيا عليها أمام البيت، أخيرا أرسل لها رقما هاتفيا لعلها تجد عملا عنده! ما كان ميشال ليجرؤ على أن يفعل ما فعله مع رنيم مع مواطنة فرنسية، فالغربة هي التي جعلت ميشال يستضعف رنيم ويستغلها، والغُربَة من صُلبِ واقعنا الحالي، إذ يضطر كثير من شبابنا إلى السفر شرقا وغربا؛ للبحث عن العمل أو الدراسة أو الحياة الأفضل، وهناك سيكون المغتربون أقل أهمية و معرفة بالقوانين والحقوق من أبناء الوطن الأصليين، مهما اكتملت عدالة تلك البلاد، وارتقت أخلاقهم.

تسلط الكاتبة الضوء على الزوايا التي يحاول الغرب تعتيمها بأشياء أخرى، فهذه ياسمين التي تتقن اللغة الفرنسية، وتحمل ملفا شخصيا ممتازا، كما وصفته إحدى المسؤولات الفرنسيات، لا تزال تعاني خيبة الأمل في إيجاد مَن يموِّلُ لها بحثها العلمي، والسبب هو حجابها الذي رفضت التنازل عنه، والذي صارحتها المسؤولة بأنه "حجر عثرة في طريق مستقبلك" فياسمين تحصل على المواعيد والإعجاب بسهولة عبر الهاتف "لكن ما إن تقف بحجابها أمام مسؤولي التوظيف، حتى تنقلب الموازين." ويأتيها الرفض بصِيَغٍ مختلفة، فتارة يكون الرفض مشفوعا بالسبب، وهو الحجاب طبعا، وتارة يكون غامضا أو معلقا. لم تيأس ياسمين، ولم ينقطع أملها بفرج قريب، بفرجٍ يكون قَدَرَاً لها بلا حول منها ولا قوة، إلا أنها تخشى من تضاؤل هذا الأمل! وهنا تتضح سلبية الغرب تجاه المسلمين ولو كانوا مبدعين، أو مؤهلين علميا للبحث والعمل، أليس اللباس حرية شخصية؟! ألم يتعرَّ الغرب من باب الحرية الشخصية؟! فلماذا يكون التعري حرية والاحتشام مرفوضا؟!

توالت المقابلاتُ التي أجرتها ياسمين، كما توالى الرفض، إلى أن عرض والدها عليها خدماته من خلال معارفه، فكان جواب ياسمين بأن لديها اليوم مقابلة أخيرة تنتظر جوابها، لم يختلف الجواب الأخير عن سابقه، بل كان أكثر استفزازا لها "... يمكنك أن تنزعي معطفك... يمكنك أن تنزعي غطاء رأسك... أشعة الشمس لا تصل إلى هنا" لقد كان أسلوب المسؤولة مستفزا لياسمين، فكان كلامها عن نفسها ممزوجا باللامبالاة، لقد أصبحت تعرف النتيجة، فالأمر قد تكرر، وهذه المرة كان واضحا، فلامبالاتها جعلت المسؤولة تسألها بعد التعريف بنفسها " كل هذا ممتاز... لكنك تبدين غير مهتمة بالعمل معنا. لماذا جئت اليوم؟"[183] لم تعدم ياسمين جوابا، ظننت أنكم تهتمون بالكفاءة لا باللباس!

---

[182] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.23.

[183] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.39،40،66،78.

بعد تعثر ياسمين في الحصول على العمل في مدينة (ليون)، توجهت إلى باريس مزودة بتوصية قوية من والدها البروفيسور سامي كلود(كمال عبدالقادر سابقا) وصلت مقر الشركة، أرشدتها موظفة الاستقبال إلى مكتب المدير، لحظاتُ المصعد كانت طويلة عليها، فهذه المقابلة مهمة، ومصيرية، يسألها (باتريك) الرجل الذي يشاركها المصعد: هل تعملين هنا؟ لا، جئت من أجل المقابلة، وقالوا لي مكتب السيد (دافيد) هنا في الطابق الثامن، فيطلق ذاك الرجل سهم عنصريته البغيض "منذ متى يهتم دافيد بتوظيف عاملات النظافة؟"[184] احمرَّ وجهها غيظا، فهي التي تبحث عن تمويلٍ لرسالة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية، لكن ذاك الرجل لم يرَ فيها سوى عاملة نظافة، والسبب ـ بلا شك ـ حجابها، تلك النظرة القاتلة التي يعتقد مطلقوها أن الإسلامَ خِلوٌ من الإبداع والمبدعين، ولعل تلك النظرة هي التي جعلت والدها (كمال) يغير اسمه، ويفك ارتباطه بزوجته فاطمة التونسية بسبب حجابها، ويرتبط بفرنسية ملحدة ليعلو اسمه، ويحقق مكاسب ما كان له أن يحققها باسمه ورسمه وإسلامه كما يظن، فالغرب مع ادعائه الحرية والانفتاح والمساواة ورَفعَ لواءِ العلم إلا أنه لا يزال يكتنز هذا الفكر العنصري الغريب. تنتهي مقابلة ياسمين، ويتمُّ قبولُها بناءً على الإعجاب بسيرتها وخبراتها، فخرجت من مكتب المدير لتصادف ذاك الرجل (باتريك) ينتظرها، وعندما علم بنتيجة المقابلة ذهب إلى (دافيد) ليثنيه عن قرار القبول، معتقدا أن بقية اللجنة لن توافقه الرأي!

لم يكن (باتريك) حاقدا على ياسمين وحدها، بل إنه يجد سعادة عندما يكتشف ثغرة في حياة المسلمات تشوه الإسلام حسب رأيه![185] لقد سافر إلى طهران سابقا، كان لا يرى من النساء إلا اللون الأسود، يشفق عليهن، إذ لا يسافرن وحدهن، ولا يقدن السيارة، وحياتهن رتيبة مملة، لكن نظرته مصدرها الحقد القديم، حتى صار يرسم في خياله صورة مشوهة عن النساء المسلمات، عما في حياتهن الداخلية، عما يمكن أن يفعلنه في غياب أعين الناس.

لم يتوقف ذاك الرجل (باتريك) عن الإساءة، ولا تزال ياسمين تتلقى منه الضربات الموجعة، لقد التقيا قدرا في بيت أبيها، ولم تكن تعلم قبلا أنه أخو زوجة أبيها! هناك في بيت أبيها، البيت الذي يفترض أن تكون فيها قوية آمنة شامخة، وجَّه لها ولأبيها ـ الغائب عن البيت ـ الإهانة، وسخر من تغيير اسمه، كما عرض عليها شرب الخمر المحرم في الإسلام، والذي يعلم يقينا أنها لا تشربه، كما حاول الاعتداء عليها في الليل، مما اضطرها إلى دفعه عنها بقوة، كان سكران فارتطم بالبراد الذي سبب له جرحا في جبينه،[186] لم تنتهِ معاناة ياسمين من عنصرية الغربيين تجاه المسلمين، فعندما بدأ عملها الميداني حدثت محاولة انتحار جديدة، يجب أن تبدأ بالتحقيقات حولها، تزور ياسمين المرأة التي حاولت الانتحار، لكنها قوبلت برفض واحتجاج، سخرت من حجابها، وندبت حظها في ضياع نضال المرأة الفرنسية من أجل تحرير المرأة، طال الحديث بينهما وكانت ياسمين ذات حجة بالغة، فالحرية التي تريدها المرأة الفرنسية كي تلبس ما يحلو لها هي ذات الحرية التي تطلبها المرأة المسلمة كي تلبس ما يحلو لها، لكن (روزلين) المرأة التي حاولت الانتحار انفجرت في وجه ياسمين عندما أعياها الجواب قائلة " إرهابية...

---

[184] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.99.
[185] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.138.
[186] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.208.

اخرجي من هنا أيتها الإرهابية... أخرجوا الإرهابية من هنا. النجدة!"[187] إنه الحكم المسبق الجاهز، والصورة السوداء المشوهة، كل مسلم إرهابي، غير مبدع، عالة على الغرب، هذا ما شاهدته ياسمين وعايشته في بلد الحرية (فرنسا).

تركب ياسمين الحافلة، وتضع بطاقة الركوب على الجهاز الخاص بذلك، يضيء اللون الأحمر المشير إلى خلوِّ البطاقة من النقود (الرصيد)، يدور حوار بينها وبين سائق الحافلة، فتشرح له حقيقة الأمر، فالبطاقة حقيقية، ومشحونة برصيد جيد، لكنه يرفض كلامها، ويغضب منها مستاء متعجرفا قائلا: "... لا تريدين أن تدفعي، لا داعي لتضييع الوقت، لأن لعبتك مكشوفة، يمكنني تمييز الأشخاص أمثالك جيدا، لا داعي للتمثيل!"[188] كيف يكتشف أمثالها؟! اللباس الإسلامي، هو الذي جعله يحقد عليها ويوجه لها الاتهام مباشرة، لم تكن تلك الحادثة يتيمة، بل تكرر المشهد ثانية، وكان كلامه مع ياسمين أشد وأقسى، لكن ياسمين اتصلت بالمحامية (رنيم) لتقدم شكوى ضد السائق، فيقوم الأخير بالاعتذار من ياسمين، جاعلا سبب الخطأ هو ضغط العمل وكثرة اللصوص. الغرب يحكمه قانون صارم، يحترم حقوق الإنسان إلى حد بعيد، لكن نفوس بعض الغربيين تتنفس حقدا وكرها للشرق وأهله، ولا سيما المسلمون، فإذا ما حضر القانون ارتدعوا وخافوا.

وهذا الدكتور عمر، المغربي المسلم، باحث دؤوب، تكاد تشكو منه المختبرات لطول مكوثه فيها، لا يشرب الخمرة ولا أخواتها، ولا يجالس النساء، ويرفض طلباتهن لصحبته أو منادمته، يخلو بنفسه في مختبره أو بيته، يغيب عن كل ما ليس له علاقة بعمله، كالسهر والسمر ونحوهما، فيجتمع زملاء العمل ضده، يراقبون أعماله التي يرجو نجاحها، ويرسلون إليه الفتاة الجميلة (كارولين) لتغويه برقتها ودلعها وكلامها، فالغرب يقبل الإبداع ولكنه لا يقبل المسلم المبدع. لم تكن (كارولين) معجبة بعمر، وتريد إيقاعه بحبها كما يتوهم القارئ للرواية، بل يتضح أنها كانت تتجسس على أبحاثه، ولا سبيل للاقتراب منه إلا بدعوى الاعجاب والاهتمام، وكلام وليد الراجحي كان صحيحا وجِدِّيًّاً عندما أخبره بأن القوم يتآمرون عليه، كل هذا كان واضحا جليا عندما ظهر الدكتور (كريستوف) شاهدا في المحكمة، كانت شهادته اتهاما قويا ضد عمر، اتهمه بسرقة البحث، وتخريب الحاسوب الخاص، وتنفيذ التفجير لتموت الجريمة المزعومة، ويدمر مركز الأبحاث الفرنسي، كانت شهادته صاعقة حقيقية على عمر، كيف يكون ذلك " هذا كذب! محض افتراء! "[189] لم تكن كلمات النائب العام أقلَّ قساوة على قلب رنيم، إذ ربط دفاعها عن عمر بالدم العربي الذي يجمع بينها، وأن قضيتها خاسرة، وأن الإرهاب من صُنعِ عمر وأمثاله، وختم لقاءه بها بقوله " تثبتي أين تضعين أقدامك يا صغيرتي. واحذري الغوص في الوحل... فإن الخروج منه صعب."[190]

وعندما حدث انفجار في الشركة التي يعمل بها عمر، بدأت لجان التحقيق عملها المعتاد، محققان يزوران الحارس الليلي المصاب، يسألانه عن التفاصيل، يروي لهما ما شاهده

---

[187] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.224.
[188] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.156،162.
[189] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.236.
[190] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.48،236،240.

تلك الليلة، وجاء في شهادته: مجموعة باحثين يحتفلون بترقي أحدهم... فتاة تنزل من الطابق الرابع إلى الثالث... أبواب مفتوحة...، كل هذا لم يسترع انتباه المحققين، لكن الحارس عندما قال: كان هناك دكتور اعتدت أن أراه متأخرا، وإنه إنسان جدي يستحق الاحترام، سمعته يصلي...!! هنا انتبه المحققان!! إنه يصلي!! إنه مسلم!! إنه من أصل عربي!! فالنتيجة الطبيعية لهما نطق بها لسانهما: لدينا مشتبه به![191] أليست هذه سلبية؟ بل مثلبة في فكرهم! أليس بحثُ عمر لديهم ضَرباً من الخيال؟! ألم يُثنِ عليه البروفيسور سامي كلود؟! ألم يشهد له الحارس بالجدية والاحترام؟! ألم يعمل عملا إضافيا دون مقابل؟! ألم يجتنب مجالس اللهو والسهر والسمر لينصرف إلى عمله ومختبره؟! كل هذا لا يشفع له، بل كونه مسلما يكفي ليكون متهما دون دليل، هكذا يتعامل الغرب مع المسلم، الاندماج أو الاتهام، علما بأن التحقيق في بدايته، والطريق طويل، والدلائل لما تظهر، لكنه الاتهام لمجرد الاتهام، وعندما انتقلت القضية إلى أروقة المحاكم، وطلبوا للمتهم محاميا، استغربت المحامية فيفان التي تعمل بالمكتب الذي أوكلت إليه مهمة الدفاع عن المتهم قائلة: "المدعي العام يطلب منا تمثيل الإرهابي؟ إنها قضية خاسرة لا محالة!"[192] والمعروف عن المحامي أو القاضي المتخصص أنه لا يطلق الكلام جزافا، بل يتحقق وينظر مليا في الدلائل والقرائن ويستمع مطولا إلى الشهود، ويفكر بعدها طويلا قبل النطق بالحكم، لكن المتهم مسلم، وهذا يكفي لجعله متهما لا مجال لبراءته!

يُنقل عمر إلى العاصمة للتحقيق، حيث طلبَ الرئيسُ نفسُه أن يكون التحقيق في باريس لا مرسيليا ليتابع التحقيق بنفسه، وكانت الجلسة الأولى مع عمر، يتألم عمر لأنه تسبَّبَ في موتِ بعضِ زملائه، لكن المحقق وجد في سؤال عمر عن الضحايا شيئا آخر! أفهم أنك ترغب في معرفة نتائج العملية! هكذا كان تفسيره، وبعد انتهاء عمر من سرد أحداث ذلك اليوم فاجأه المحقق بقوله " حسن. هذه الرواية الرسمية التي لقنوك إياها... والآن أريد الحقيقة!"[193]اتهام صريح، و حكم مسبق، لا عدالة فيه ولا رويّة! ثم أردف قائلا: من حسن حظك أن عقوبة الإعدام قد ألغيت من القانون الفرنسي!!!

تبدأ المحاكمة، الجلسة الأولى، الشاهد الأول، هو مدير عمر في الشركة، أقسَمَ على الصدق في الإجابة عمَّا يوجه إليه من الأسئلة، لكنه كان مُراوغا، ينفي كل ما من شأنه أن يُبرِّئ المتهم البريء، ينسى، يتجاهل، ولا يبين عن حجة واضحة، حتى الملف الكامل الذي سلمه عمر له قبل أسبوع لم يقرأه، واحترق فيما احترق من متاع الشركة، أما المحامية (فيفيان) فلم توجه للشاهد أي سؤال، لقد كانت متعاونة مع الخصم، وعندما طلبت رنيم الكلمة والتدخل نهرتها (فيفيان)، مؤامرة كاملة ضد عمر، لكن الدماء تحركت في عروق رنيم أخيرا؛ فتدخلت بسؤال للشاهد، لكن القاضي أبطل مفعول السؤال برفضه، ثم لجأت إلى عمر ليطلب رفع الجلسة، الأمر الذي استجاب له القاضي حسب القانون ممتعضا! لتخرج فيفيان بعدها سعيدة بعدد الصحفيين الذين ينتظرون إفادتها حول الجلسة الأولى للإرهابي البريء.[194]

---

[191] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.119.
[192] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.142.
[193] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.150.
[194] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.194.

وفي الجلسة الاولى أيضا اختارت فيفيان المحاميةُ الأصيلةُ المحلفين بنفسها، ولم تسمح لرنيم بالمشاركة في اختيارهم، اختارتهم من الفرنسيين، ليس فيهم ذو أصل عربي، أو أفريقي، اختارتهم ممن يتعاملون مع الأفارقة والعرب كأنهم لصوص! كانت رنيم ترى في عيونهم روحَ التشفي والانتقام من هذا العربي الذي أقلق راحتهم بزعمهم في عقر دراهم.[195]

كانت عناوين الصحف الفرنسية تتهم العرب والأفارقة بالإرهاب، وتحذر منهم بعد التفجير الذي حصل في مخبر الدكتور عمر، وصار المجتمع الفرنسي يخاف من كل شيء يراه في الشارع، أخيرا صدر الحكم، عشرون سنة سجنا لعمر، أغمي على كارولين، وصلت الأخبار لرنيم، ثم جاء الاتصال من كارولين "عمر بريء، أعلمُ ذلك يقينا،... إنهم أكبر مني ومنك، لا يمكننا الوقوف في وجوههم، لقد خططوا لكل شيء بإحكام، بما في ذلك التضحية ببعض النفوس البشرية البريئة، .... وأنا كنت أداتهم في التنفيذ عن جهل وسذاجة"[196] لقد طلب منها البروفيسور كريستوف أن تضيف مادة إلى الموادِّ الكيميائية التي يجري عمر اختبارا عليها، بحجة أنها ستعود بالفائدة للجميع!

اعترفت (كارولين) في النهاية بأن التفجير من تدبير زملاء عمر الفرنسيين، الذين حركتهم ضده الغيرة، فأضافوا موادَّ كيميائية إلى المواد التي يجري التجارب عليها، مما سبب الانفجار، لكن هذا الاعتراف كان أمام المحامية رنيم، ولم تقبل الشاهدة كارولين أن تشهد أمام القاضي بالحق خوفا على حياتها من مدبري التفجير.

6.3.3. الإسلام بين النظرية والتطبيق

لا يخفى على أحد ما عليه واقع المسلمين اليوم، من الفقر والحروب والتشرد واللجوء، والمسلمون هم خير أمة أخرجت للناس ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾[197] لكننا نجد في المجتمعات الإسلامية ما نجد، مما لا يسر قلبا ولا يطيب خاطرا، ولعل السبب ليس عصيّا على المعرفة، فالمسلمون يُحكمون من قِبَلِ غيرهم، حكما مباشرا أو غير مباشر، لذا نجد ما حرَّمَه الشرعُ منتشرا في المجتمع، كالرشوة والخمر والعشوائية، والفساد بعمومه، ولعل هذا الأمر مقصود بعناية؛ كي تنفر القلوب من هذا الواقع، وترنو الأبصار لغيره من المجتمعات الأخرى، وهذا ما جعل ندى تضحك بقوة عندما ظنت صديقتُها الأوربيةُ أن حياة المسلمين منتظمة كصلاتهم، وهذا ما واجه به (ميشال) ندى يوم أراد أن يُثنيها عن إسلامها "ألا ترين ما هم عليه من التخلف والتأخر عن بقية الأمم؟ لو كانوا على دين حق لكان الله وفقهم وسخر لهم الإمكانيات المادية..." وهذا الموضوع ليس بسيطا، فالإسلام يُحارب منذ قال أبو لهب: تبا لك، ألهذا جمعتنا! والحرب ضده لم تتوقف، ولم تقتصر على السيف، بل تنوعت وتشعبت وتعددت، لقد نجحوا في بعض خططهم، لكن المسلم الفاهم لدينه يعرف أن الإسلام بَرَاءٌ من هذا التخلف والتأخر، ألم تصبح بغداد يوما عاصمةَ العلم والحضارة تشد إليها الرحال؟! ألم تكن الأندلس قبلة المتعلمين؟! فالفساد موجود، والتخلف واقعي، لكن شتان بين من يجعل الإسلام مصدر التخلف والرجعية،

---

[195] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.189.
[196] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.226،394.
[197] سورة آل عمران، 110/3.

وبين من يعرف أن الإسلام مصدر العلم والمعرفة والنظام والأخلاق، لكن أيادٍ آثمة استولت على مقاليد حكمه ففسدت وأفسدت، لقد كانت كلمات أحمد لندى ذات أثر فعال، انظري لأخلاق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا تنظري لواقع المسلمين، حفظتها وفهمتها، ودافعت بها عن الإسلام أمام ميشال،[198] إلا أنها لم تمتلك كل الأجوبة، فأمامها طريق طويل لتتعلم. وهذا ما تريده الواقعية الإسلامية، أن نعترف بالخطأ وبالواقع، وأن نعرف السبب، وأن نعرف طريق الخلاص منه، وننهض.

كان اهتمام أحمد، ومن بعده ندى منصبا على أصول الإسلام، على الإسلام كما هو في القرآن الكريم والسيرة النبوية، على شخص النبي وسيرته التي هي قدوة لكل إنسان ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[199] ظهر ذلك في غير موضع من الروايات، لكن ندى اليوم تكتب لأحمد من تونس، وتتحدث عن الفطرة الإسلامية " أؤمن بأنه ليس هناك عِرق شرير بالفطرة أو في المطلق"[200] بل لكل شخص ظروفه التي جعلته يحب ويكره، يقبل ويرفض، فوالدة ندى هاجرت إرضاء لدينها، وتحقيقا لمبدئها، وطردت ابنتها من بيتها؛ لأنها أسلمت وخالفت العهد اليهودي، وتظن ندى أن سماح لو اعتنقت المسيحية ستواجه من أمها المصير ذاته، تسهب ندى في الحديث عن هذا الأمر، منطلقة من مبدأ : لا شر بالفطرة ولا بالمطلق، إنه حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء)[201]

و الذي يدخل الإسلام بقناعة وفهم ليس كمن يرثه عن والديه، فقد يكون مسلما بالاسم فحسب، فهذه ندى التي سألت وقرأت ونظرت، ثم قررت الدخول في الإسلام عن قناعة، وصارت داعية إليه، حزنت يوم مات جورج وميشال على غير الإسلام، وتعهدت بعدم تكرار ذلك مع يعقوب، لكنها تتفاجأ بأبيها الذي تركها تقيم في تونس مع عائلة يهودية، ولم يدعها إلى بيته، بيت أبيها المسلم؛ خوفا من زوجته الثانية، أخذت عنوان بيته ووصلت إليه، لكنها لم تدخل، إن إسلامه "إسلام بالوراثة، فارغ من القيم والأخلاق"[202]

لم تفتر عزيمة ندى في الدفاع عن الإسلام، فعندما حدث تفجير انتحاري ضرب كنيسا في تونس، توجهت أصابع الاتهام للمسلمين فورا، وتبنَّى التفجيرَ تنظيمُ (القاعدة)، وتحركت مشاعر العداء بين المسلمين واليهود، فتتصدى ندى ـ بما تعلم ـ لاتهامات يعقوب وعائلته، تجيب عن الأسئلة، تبدع تارة، وتتعثر أخرى، تشرح لهم كيفية انتشار الإسلام، وأن الدعوة بدأت بالكتب والرسائل، وأن الإسلام لم يحارب إلا من حاربه، مستفيضة في ذلك، وهذا دور المسلم، الدفاع عن الحق، وعن التاريخ الصحيح،[203] وهذا ما تعهدت به لأحمد يوم الزفاف.

---

[198] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.239،328.
[199] سورة الأحزاب، 21/33.
[200] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.264.
[201] العسقلاني، ابن حجر، *فتح الباري*، 290/3، رقم الحديث 1351.
[202] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.272.
[203] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.280.

والفهم الخاطئ للدين أمر خطير، ومنتشر في المجتمعات الإسلامية، وهذا أمر لم يفت الكاتبة التي أشارت إليه ببراعة، فعندما راحت تصف مدينة (ياسمين) التونسية، أشارت إلى أن جدتها كانت ترسلها إلى الزاوية، زاوية (سيدي محرز) وجامع (باي محمد)؛ لتلقي السلام على الولي الصالح، وتساعد الأهالي في الطبخ، لكن أمها (فاطمة) كانت تنهرها عن ذلك، وتحدثها عن "مفهوم الشرك الذي تتجاوز مفرداته فهمها الطفولي"[204]

والمسلم الحق يسعى لرفع شأن دينه، والدفاع عن بني دينه أيضا، فهذا الدكتور عمر يمسك باللص (نادر)، ثم يعرف حقيقته المُحزنة الصادقة، فيتراجع عن عزمه على تسليمه للشرطة، فهو مسلم (والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة)[205] ولم يكتفِ بذلك، بل سعى لإيجاد مأوى له، فذهب إلى المسجد، وفشل في إقناع القائمين عليه بإيوائه في المسجد، ثم قدم له الطعام، وحَمِدَ الله على أنه لم يمر يوما بما مر به نادرٌ، وقرر أن يكون مبيت نادر في بيته.[206]

وعمر ذاته بعد الانفجار الذي حصل بمختبره وتسبب له بحروق بالغة، وكسور متعددة، ما إن استفاق وعلم بالذي حصل ـ بعد أن توهم أنه في القبر ـ حتى راحَ يحمَدُ الله على نجاته وسلامته، ثم قفزت في ذاكرته صورةُ المُحتفلين بترقي زميلهم! فخاف، وارتعدت أوصاله، هل حالفهم الحظ بالنجاة مثله، أم كانوا حطبا لنار جهنم؟![207] هكذا يكون المسلم الحق، يخاف على الجميع، تهمُّه نجاةُ الجميعِ، يحبُّ الخيرَ للجميعِ، ولا ينحصر فكره بنفسه فحسب.

يقع هيثم قريب ياسمين في حب (لورا)، فرنسية مسيحية، تعلن إسلامها من أجله، ترفضُ أمُّه هذا الحبَّ المفضي إلى الزواج، وتحاول خطبة ياسمين لابنها، فبينهما صداقة منذ الطفولة، لكن هيثم كان فظا مع ياسمين؛ لترفضَ طلبَ أمِّهِ وخطبتها لها، أخيرا تشاهد ياسمين حبيبة هيثم المسلمة! وتبارك لها إسلامها بدهشة عارمة، إذ ليس لها من الإسلام إلا أنها أعلنت إسلامها لأجل هيثم! اللباس والزينة لا يميزها عن أية فتاة فرنسية، لكن فكر ياسمين ذهب إلى طرف آخر، فهل يجوز لهيثم أن يرفع الكلفة بينه وبين (لورا) بحجة تعليمها الإسلام؟! أليس من الواجب أن تتعلم الفتاة الإسلام من فتاة مثلِها؟! لقد سُرت (لورا) بلقاء ياسمين، واعتبرتها الأخت الأولى في الإسلام، مما ألقى على عاتق ياسمين مسؤولية جديدة، "لا يمكنني أن أتخلى عنها، ما يزال إيمانها هشا، وقد ترتد إن لم تجدني إلى جانبها" لم يكن لياسمين أن تترك لورا هكذا، مع اعتراضها على الصحبة القائمة بينها وبين هيثم، لكنها مسلمة، ولابد لها من القيام بدورها، إنها مسؤولية الدين.[208]

وفي الطرف المقابل، يكون التطبيق المشوّه للإسلام، أو عدم تطبيق تعاليم الإسلام أصلا، سببا في ابتعاد غير المسلمين عنه، أو عدم الاهتمام بتطبيقه إذا دخلوا فيه، فـ (لورا)

---

[204] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.33.
[205] العسقلاني، ابن حجر، *فتح الباري*، 116/5، رقم الحديث 2368.
[206] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.85.
[207] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص1.30.
[208] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص. 126،137،171،186،213.

صديقة هيثم دخلت الإسلام، وكانت مسرورة بلقاء ياسمين التي طلبت منها أن تعلمها الإسلام، لكنها في زيارتها الأولى لها التقت بـ (رنيم)، المحامية المصرية المسلمة بالاسم فحسب، لا بالرسم والتطبيق، لقد تفاجأت بها (لورا) وشعرت بأنها أقرب إليها من ياسمين! حتى ظنت أن رنيم مثلها حديثة عهدٍ بالإسلام "أنت مسلمة جديدة أيضا؟" ولم يتوقف المشهد عند شكل رنيم ولباسها، بل راحت رنيم تضحك من حديث (لورا) التي جاءت لتتعلم بعضا من تعاليم الإسلام من ياسمين أختِها الأولى في الإسلام، أما ياسمين فقد كانت جِديّة جدا مع أسئلة لورا، وغاضبة من أفعال رنيم، والسبب هو الصدق في التعامل، فالمسلم الملتزم بدينه يجد في هذا الموقف مسؤولية عظيمة، يجب أن يقوم بها على أتم وجه، بينما الأخرى (رنيم) وجدت فيه موقفا للضحك والترفيه عن النفس! علما بأن ياسمين هي التي يحق لها الانزعاج من لورا، فهي حبيبة هيثم الذي أهانها لأجلها يوم التقت به في بيت أهله في زيارتها الأولى لهم، ولم يراعِ حق الضيف، ولا حق صداقة الطفولة، لكن المسؤولية الإسلامية تجعل الإنسان يترفع عن الحقوق الشخصية لصالح الحق العام، حق الأمة، حق الدين، حق الله على العبد. لقد كان لقاء لورا برنيم ذا أثر سلبي، كما كان لقاء رنيم بعمر السجين ذا أثر إيجابي.

لقد زار هيثمُ ياسمين بعد أيام، وحدثها عن فتور في إرادة لورا فيما يتعلق بالصلاة والحجاب، لقد كان مندهشا أن يأتي هذا الفتور بعد زيارتها لياسمين التي ذهبت إليها بدافع تعلم الدين " لقد كانت متحمسة لتعلم الصلاة قبل أن تذهب إليكِ، وكان الحجاب مسألة وقت وحسب... فما الذي تغير منذ ذلك الحين؟" لم يكن ضحك رنيم من كلام (لورا) استهزاء بالدين، فهي وإن كانت غير متحجبة إلا أنها مسلمة، لكنها رأت في إسلام (لورا) مصلحة دنيوية، إنها تريد الزواج من هيثم لاغير، أما ياسمين فقد كانت تشك في هذه النية من باب حسن النية، لكن الاتصال الهاتفي الذي جرى بينهما، جعل ياسمين تعرف النية الحقيقية لـ (لورا)، إنها تتقرب من هيثم، ووجدت في إعلان إسلامها بابا واسعا لدوام القرب منه، وطريقا للزواج به، اتصلت (لورا) بياسمين لتشكو إليها برودَ هيثم معها، لكن ياسمين وجدت في هذا البرود فرصة لـ (لورا) ليقوى إيمانها، وتتعرف أكثر على الإسلام، فهدف ياسمين واضح جلي، التمسك بالإسلام وتطبيقه تطبيقا صحيحا، وهدف لورا كان أوضح، أعلنت إسلامي ليدوم القرب، لكن الصلاة والحجاب و الصيام و عدم التبرج و... " ممنوعات كثيرة وصعبة... لا أجدني قادرة عليها."[209]

أما (سالم) والد ندى فقد كان مسلما، لكنه غير ملتزم، هكذا وصفته ندى لأحمد يوم حدثته عن نفسها في المستودع "ولدت من أم يهودية وأب مسلم... ربما لم يكن والدي ملتزما كثيرا بدينه، لكنه مسلم على أية حال..." وهذا الأمر كان له أثر على من حوله، فالفهم الخاطئ للدين، أو التعامل الخاطئ مع الآخرين يجعل الناس ينفرون منك، تسأل ندى والدتها عن كرهها للمسلمين مع قبولها بالزواج من مسلم سابقا، فترد سونيا والد ندى قائلة: "ربما كان والدك هو السبب... كرهت فيه كل المسلمين!"[210]

---

[209] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.187،215،259،263.

[210] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.32،53.

والمسلم الذي يسعى لتطبيق دينه تطبيقا صحيحا تراه دائما يربط أفعاله بالقرآن، أو السنة، أو غيرهما من مصادر التشريع المُجمَعِ عليها، تفاجأت ياسمين عندما وجدت نفسها في عيادة الأسنان أمام طبيب يهودي، وحارت فيما تفعل! أتخرج من العيادة أم تبقى؟ لكنها تذكرت أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتعامل مع اليهود[211]، فلم تبنِ ردة فعلها على هوى في النفس، أو عصبية شخصية، بل طارت بفكرها في رحاب السيرة؛ لتجد دليلا يُجيز لها هذا الأمر، إنه الفهم الصحيح للدين الذي يجعل المسلم ومن يتعامل معه من المنصفين في راحة نفسية، وعدالة اجتماعية، ليت عمر وياسمين يحظيان به في المجتمع الفرنسي الذي وقف ضدهما غير مرة.

زيادة الإيمان ونقصه، قضية اختلفت حولها أراء العلماء المسلمين، لكن الإنسان يمر بظروف تجعله مقبلا على أداء واجباته الدينية أكثر منه في ظروف أخرى، إنَّ الظروف القاسية التي مر بها نادر المتشرد الهارب من الشرطة في شوارع وأزقة مرسيليا جعلته بعيدا عن الدين، لم يصلِّ، ولم يسجد لله سجدة واحدة أياما متواصلة، إلى أن تلقته يد عمر الحانية، وأدخلته المسجد، ثم آواه في بيته أسبوعا، واظب وقتها على الصلاة، وتعهد بعدم تركها، اقتحمت الشرطة بيت عمر بعد التفجير الذي دُبّرَ له، وألصقت التهمة به، فهرب نادر مجددا، وترك الصلاة ، لقد أصبحت الساحات العامة فراشة، والسماء الباردة غطاءه، لا يستطيع الصلاة في الشوارع؛ كي لا يقدم دعاية مجانية للذين يروجون ضد المسلمين، كان نادر يتذرع بصعوبة الوضوء، وبجهله بالتيمم، لكنه يرفع رأسه للسماء يا رب، منتظرا فرجا من الله غير منتظر.[212]

تصل أختُ خليل الشاوي (دانيال) من أبيه (نادر) إلى باريس، فهي التي حملت رسائل أبيه إليه، وضعتها أمام باب بيته خفية وغادرت، وانتظرته في الفندق الذي وضعت عنوانه نهاية الرسائل، التقى بها أخيرا، ودار بينهما حديث طويل، كان خليل باردا تجاه الحديث، عكس أخته التي كانت متحمسة للقائه، وفرحت به، كانت الدماء العربية قد بدأت بالتحرك في قلبه في الأيام الأخيرة، بعد التعرف على أصله الذي كان غامضا، وبعد فشله في الاندماج التام في المجتمع الفرنسي، فما زال الآخرون يشيرون إلى أصوله العربية، لكن أخته التي أسمت ولديها على اسم أبيها وأخيها (نادر ـ خليل) عرضت عليه حصته من ميراث أبيه وجده، ووصية أوصى بها عمُّه له، كما عرضت عليه إيرادَ أرضِهِ مدة عشرين سنة، فالميراث في الإسلام له حدوده التي لا تُمَسّ، ولا يجوز أكل مال أحد أبدا، ولم يمنع الفراقُ والجهلُ بالمكان وبُعدُ الشقة والجغرافيا من حفظ المالِ والإيرادِ؛ ليصل لكل ذي حق حقُّه، هذا هو الإسلام، لا يدري خليل ماذا يقول! "لا تقل شيئا... هذا حقك."[213]

7.3.3. الحب بين ثلاثة أطراف

قد لا يكون هذا العنوان دقيقا، لكنه يتناول قضية تَعَلُّقِ شخصين بشخص واحد، قد يكون ذلك بسببٍ عاطفي جامح، وقد يكون جهلا بوجود طرف ثالث أصلا، فغياب الخاطب

---

[211] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.257.
[212] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.115.
[213] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.366.

(أحمد) في رواية (في قلبي أنثى عبرية) واختفاؤه دون أن يعلم ذووه بمصيره، أماتَ؟ أم أُسِرَ؟ أم أصيب؟ جعل أهله في قلق دائم، وبحث مستمر عليه، وكانت الضحية الكبرى في هذا الموقف زوجه أو خطيبته (ندى)، فلا هي قادرة على الانتظار إلى ما لا نهاية، ولا قلبها يطاوعها لتنتقل إلى شخص آخر، هذا ما عاشته ندى التي انتظرت أحمد طويلا، غاب مدة طويلة، جعلت أقرب الناس إليه ـ أخته سماح ـ تطلبُ من ندى ـ خطيبته ـ أن ترتبط بشخص آخر؛ إذ لم يأتهم عنه شيءٌ يجعل أملَ عودتِه واردا، لكنه يعود في النهاية، باستثناء ذاكرتِه التي فقدها بسبب الإصابة يوم تحرير الجنوب اللبناني، وتبدأ معركة البحث عن الذات، كانت معركة الجميع، الأهل والأصدقاء وندى، ندى التي انقسمت على نفسها، فخطيبها السابق عاد، وخطيبها الحالي حسان ينتظر، تطول الفصول، ويقرر حسان في النهاية الانفصال،[214] إذ الخطبة من أصلها باطلة (لا يبع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له)[215] ولا يبقى أمام ندى إلا الخيار الأول والأعمق. هذا المشهد من الواقعية الاجتماعية، ففي زمننا هذا، زمن الحروب المنتشرة في البلاد العربية، يتعرض الناس لمثل هذا كثيرا، فكم من مفقود عاد ليرى زوجه قد ارتبطت بغيره وأنجبت، وبعودته تستعر نار العواطف والمشاعر والألم.

أما ياسمين فقد تعلق قلبها بعمر، ذلك الشاب العربي المسلم الخلوق، يركبان القطار ذاته كل صباح، تجمعها دقائق قليلة، ثم تنزل ندى في محطتها قبله، ويتابع عمر لينزل في محطة أخرى، لم تسأله عن اسمه، ولا عن أصله، كانت تهتم بملاحظاته التي لا يستطيع كتمانها حول الكتب التي تقرؤها، ثم تغيب ياسمين، وتسافر إلى باريس حيث العمل الجديد هناك، تسكن مع رنيم التي تعرفت عليها قَدَرَا، ويحدث الانفجار في الشركة التي يعمل فيها عمر، ويُتهَم عمرُ بالإرهاب، وبتنفيذ التفجير، فينقل أيضا إلى باريس للمحاكمة، فتكون رنيم صديقةُ ياسمين محاميتَه، ويتعلق قلبُها به، وتتأثر بنصائحه، وراحت رنيم تحكي لياسمين عن أخلاق ذاك الرجل المتهم البريء، إلى أن أخذت له بعضا من كُتُبِ ياسمين، لتنكشف الحقيقة أمام رنيم، إنه عمر الذي حدثتها عنه ياسمين دون أن تعرف اسمه " كيف ستواجه ياسمين الآن؟"[216]

وكانت رنيم أيضا طرفا في حبٍّ آخر، فهي اشتركت من حيث لا تدري مع ياسمين في التعلق بعمر، وهي مشتركة أصلا في تعلقِ قلبِها بميشال مديرها السابق في مرسيليا، الذي جاءها معتذرا عن كل ما بدر منه، ليُقيمَ لها عشاء فاخرا، أغراها جدا ذاك الحفلُ الذي أقامه لها وحدها، لكنها حسمت أمرها، وتركته بعد أن أعلنت له أنه لم يعد فارس أحلامها المنتظر، علما أنه أبدى استعدادا لدخول الإسلام" ماذا لو أسلمت؟ هل تتزوجينني حينها؟"[217] لكن رنيم لم تكن يوما تهتم بالدعوة إلى الإسلام، أو بالظهور بمظهر إسلامي كامل.

---

[214] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.202،252،312،383.
[215] النووي، يحيى بن شرف، *صحيح مسلم*، 197/9.
[216] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.38،53،63،269.
[217] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.23،271،276.

8.3.3. الهجرة غير الشرعية

الانتقال من بلد إلى آخر منتشر ومشهور؛ للعلم أو العمل أو السياحة، لكن الهجرة غير الشرعية تحمل ما تحمله من المتاعب والآلام، فالسفر أصلا قطعة من العذاب، وفراق الأهل أشد وأقسى، فتأتي الطريقة المجحفة لتكون ثالثة أركان الألم وأشدها، يعاني الوطن العربي في عصرنا هذا من هذه الظاهرة التي خلفت وراءها كوارث لا يصدقها عقل البشر، حروب جهنمية ظالمة، تنتشر في أكثر من بلد مسلم، تقتل وتدمر وتهجر، فراح الكثيرون يرنون إلى الغرب، وما يسمعون عنه من النعيم المنتظر، ركبوا البحر مع يقينهم بما يحتويه من مهالك، باعوا متاعهم ليَنقُدُوا المهربين ثمنَ رحلةٍ قد توصلهم إلى حتفهم قبل الوصول إلى الضفة الأخرى، وكأن أحدهم يشتري موته بنقوده، آلاف المراكب المتهالكة نقلت مئاتِ الآلافِ بل الملايين عَبرَ الزمن، من الضفة الشرقية أو الجنوبية إلى الضفة الغربية أو الشمالية، بعضها وصل الشاطئ، وبعضها استقر في العمق، لتغدو أجساد ركابه قوتا لحيوانات البحر، والمحظوظ منهم من حملته الأمواج لتقذفه على الساحل، فيكون عبرة للباقين الذي قلَّ معتبرهم!

الهجرة غير الشرعية عبر البحار، ليست قضية خيالية تعرضها الكاتبة وتفرد لها صفحات لا بأس بها، وتصورها تصويرا بارعا مُفصلا، من خلال رحلة (نادر)[218] من الجزائر إلى فرنسا، إنها قضية قديمة متجددة، منذ مئات السنين هاجر السوريون واللبنانيون إلى أمريكا، وانتشروا هناك حاملين آمالا خيبتها آلامُ الغربة والبُعد، فتولَّدَ عند بعضهم ما أطلق عليه أدب المهجر، لقد كان أدبا صادقا مفعما بالحيوية الحقيقية، واستمر الأمر كذلك حتى عصرنا هذا، فالهجرة قضية عالمية إنسانية تستحق الوقوف، مات بسببها الآلاف في السنوات الأخيرة، فمراكب النقل متهالكة وقديمة، وليست مخصصة للبشر، ويحمّلونها فوق طاقتها أضعافا مضاعفة، والطعام قليل، والخدمات معدومة، من يمرض عليه أن يتحمل، ومن يعترض يقذف في الماء فتبتلعه الأمواج لتتلقفه الحيتان، أو يسحبه محرك المركب فيقدّمه للحيتان قطعا جاهزة، بعد دعوتها إليه من خلال الدماء، ومن يموت منهم يكون تجهيزه للدفن ودفنه رميه في الماء بحركة واحدة! ومع هذه الأطماع البشرية يكون القدر حاسما في سلامة الرحلة، فالأمواج العالية، والأمطار الغزيرة، والصواعق المهلكة، والرياح العاتية، كلها لها دور بالغ في الوصول إلى الشاطئ الآخر، أو الوصول إلى القاع الأخير! هنالك يدعو الإنسان ربه مضطرا، يستعيد شريط حياته، يبحث عن عمل صالح يدعو الله به، يضغط على الذاكرة، لعله يفوز بذكرى صالحة تنجيه من المهلكة، لقد طار المركب الذي يحمل نادرا أمتارا في الفضاء، وتناثر الناس حوله ليبتلعهم الماء، لكنه نجا، مع أنه لم يجد من صالح عمله شيئا، لكنه سأله الله لنفسه الرحمة بسبب أمه! لقد عرجت الكاتبة على حكايا البحر مع اللاجئين، وكأنها تريد طرح هذا الأمر على الرأي العام، لأنه أمر استفحل وطال، فلم تقتصر على حكاية نادر فحسب، بل ألمحت إلى بعض من نجوا من الغرق، في ذاك اليوم العاصف، لقد كانوا من العراق والسودان،[219] وانضم نادر إلى فريق العراق؛ نظرا لسهولة حصول العراقيين على اللجوء آنذاك؛ بسبب الحرب التي لم تنته هناك! بعد إجراءات الاستقبال والفحوص الطبية المتنوعة سكن نادرٌ ورفاقه العراقيون بيتا

[218] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.28، وما بعدها.
[219] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.34.

صغيرا، لكنهم كانوا يشاهدون لاجئين مغاربة وأفارقة يُعاملون مُعاملة البهائم،[220] مما يعني أن الدول الأوربية ليست صادقة فيما تدعيه من حقوق الإنسان والحريات، إنها شعارات جوفاء، ترفعها وقتما تشاء، وتدوسها وقتما تشاء، إنها السياسة التي لا دين لها، ولا خلق، ولو نظرنا إلى واقعنا الآن لرأينا مثيلا حقيقيا، فكثير من طالبي اللجوء في أوربا يدَّعون أنهم سوريون، بسبب الحرب في سوريا، إن استقبال اللاجئين في أوربا الموسومَ زورا بالعمل الإنساني ما هو إلا استغلال دنيء لحاجة الشعوب المضطهدة والمشردة، وكلما نشبت الحروب في بلد ما، قدَّمتْ تلك الدولُ الأوربيةُ تسهيلاتٍ لأبنائه في حصولهم على اللجوء، حتى إذا اكتفت منهم عددا ونوعا شرعت بالتضييق والتسفير، لتبدأ بخطة جديدة لاستقطاب أبناء جنسية أخرى، وكأنها تشبه أكيلا شَرِهَا، كلما مَلَّ من طعام، استبدل به آخر!

لو كانت تلك الدول حريصة على حقوق الإنسان كما تدعي، لأوقفت تلك الحروب، وأبقت الناس في بلادهم، لكنها تمد يمينها؛ لدعم أولئك القادة المجرمين بالسلاح، والأجهزة التقنية المختلفة، بينما تمد شمالها لاستقبال مَن شرَّدهم المدعومون بيمينها! فإن صدقتْ أنها لا تستطيع إيقاف تلك الحروب، فلتأتِ إلى بلدان الشتات القريبة، وتهتم بالنازحين والمشردين، وتأخذهم أو بعضهم إليها معززين مكرمين، لماذا يذوق اللاجئ الموت مرارا حتى يصل إليهم؟! فإن وصل منحوه حقوقا لا يمكن وصفها بالسيئة، بل هي جيدة أو ممتازة لفئات دون أخرى، ولمدة زمنية محدودة.

وما دامت الهجرة غير شرعية فإن أمورا كثيرة تتعلق بها، وتجعل المهاجر مضطرا لفعل أمور غير مقتنع بها أصلا، لقد عانى نادر ممّا عاناه، ولم يستطع الحصول على الإقامة الشرعية في فرنسا، أشفقت عليه امرأة فرنسية تسكن في جوار الشيخ (المختار)، الذي يقيم ويعمل معه نادر، حاولت مرارا إبعاده عن طريق الشيخ الذي تراه غير جيد ، لم تنفع معه حججها، فخوفته من هجوم أمني وشيك على مقر الشيخ، وعليه أن يغادر المكان، فلم يأبه لكلامها، مع أنها نقدَتْهُ مبلغا من المال؛ ليعيد ترتيب نفسه، ويرتدي ملابس لائقة، أخيرا استقدمت محامية من أصل مصري، هي رنيم التي دافعت عن الدكتور عمر، استقدمتها لتساعده في حلِّ مشكلته القانونية، لكن استخراج البطاقة الشخصية ليس ممكنا، لأنه لم يحصل على الاقامة أصلا، هل هناك حل آخر؟ "... تختار الحل السحري الذي يختزل المسافات، وتتزوج بفرنسية!"[221] إنه الزواج الأبيض، أو زواج المصلحة، تدفعُ لامرأة فرنسية مبلغا من المال؛ لتحصل على الإقامة أو الجنسية، لم ترق هذه الفكرة نادرا، وهي لا تروق أحدا أصلا ، لكن الظروف القاسية الي يعاني منها بعض المهاجرين تجعلهم يفعلونها مضطرين، وهذا ما فعله نادر، لكن ليس للمصلحة فحسب، بل نادر أحب (ديانا) منذ اللقاء الأول، تلك الفتاة المقعدة، التي تتنقل على كرسي خاص، لكن قلبهما تناغما حبا، وعزفا أجمل الألحان التي لا تسمعها آذان البشر، بل تحسها قلوب العاشقين لا غير!!

---

[220] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.37.
[221] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.230،236.

4.3. الشخصيات الروائية

الشخصية من عناصر الرواية الرئيسة، إذ لا رواية بلا شخصيات، فهي الركيزة الأساسية التي يكشف الروائيُّ من خلالها عن القوى التي تحرك الواقع من حولنا "إن القصة والحوادث في العمل المسرحي إذا لم ترتبطا بالشخصية كانتا أشياء صبيانية وغير ثقافية..."[222] وقد تكون تلك الشخصيات خيالية أو حقيقية،[223] والكاتب الواقعي يتناول موضوعاته من واقع الإنسان، ينقل الأحداث التي يريد وصولها إلى القارئ، والأشخاص هم الذين يجسدون الحدث؛ ليعيش بهم، معبرين عن قضايا الإنسان المتنوعة، وعن صِلاته بمحيطه، فـ "الرواية تعبير عن الإنسان"[224] وأفعال الشخصيات في الرواية تكون معللة، ونوازعهم مفسرة، لذلك فالشخصيات في الرواية أكثر وضوحا من الشخصيات الواقعية التي هي أصل الشخصية الروائية ومنبعها[225] فالشخصية في الرواية تظهر كما يريدها الكاتب، وتقوم بالدور الذي يريده الكاتب، بينما الشخصية الحقيقية تعيش حياة طبيعية، وقد تمر عليها أيام أو شهور دون أن تقوم بأعمال تستحق الذكر.[226]

والروائي البارع هو الذي يعطي لشخصياته الحيوية التي تجعلهم يتحركون وكأنهم مخلوقات حية، فيؤثّرون في القارئ، ويتعاطف القارئ معهم، فيحبهم أو يكرههم،[227] وهذا ما يلاحظه القارئ في روايات خولة حمدي، فأحمد وندى وريما في رواية (في قلبي أنثى عبرية) محبوبون، يتعاطف معهم القارئ ويتأثر بهم، كذلك ياسمين وعمر في رواية (غربة الياسمين)، ومثلهم نادر في رواية (أن تبقي)، أما سونيا و زوج راشيل في رواية (في قلبي أنثى عبرية) فلا يجلبان للقارئ سوى الألم والكره؛ بسبب الأفعال التي يقومان بها.

و تختلف الشخصيات في الرواية من جهة الأهمية والأداء، فهناك شخصية البطل الذي يتحدى المحيط؛ ليصل إلى مبتغاه، فيكون بطلا إيجابيا، وربما يستسلم ويهرب من الصراع فيكون سلبيا، وهناك الشخصية المحورية، وهي التي تلي شخصية البطل من حيث الأهمية والظهور، غير أنها لا تؤثر في الواقع تأثير البطل، وهناك الشخصية الثانوية، التي تكون عاملا مساعدا لإجلاء فكرة، أو خدمة لشخصية البطل.

ويختلف تناول الكاتب للشخصيات، فهناك الشخصية المسطحة حيث تكون ثابتة الصفات لا تنمو ولا تتطور، وهناك الشخصية النامية، وهي التي تنمو وتتطور وتتفاعل مع الأحداث، وهناك الشخصية النموذجية، وهي التي يرسم الكاتب من خلالها سماتِ و اتجاهاتِ ما تعنيه تلك الشخصية في زمن ما، أو مكان ما، أو مجتمع ما، أو طبقة ما.

---

[222] أمين، أحمد، *النقد الأدبي*، ص.123.
[223] سماحة، فريال، *رسم الشخصية في روايات حنا مينة*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999، ط1، ص.17.
[224] جوف، فانسون، *أثر الشخصية في الرواية*، ترجمة لحسن أحمامة، دار التكوين، دمشق، 2012، ط 1، ص.8.
[225] هلال، محمد غنيمي، *النقد الأدبي الحديث*، ص.526.
[226] نجم، محمد، *فن القصة*، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955، د ط، ص.89.
[227] أمين، أحمد، *النقد الأدبي*، ص.109.

ووصف شخصيات الرواية يجلوها للقارئ، فتبدو أكثرَ وضوحا، وأبعدَ عمقا، ويتنوع هذا الوصف ليشمل أربعة جوانب[228]، الجانب المادي الذي يعنى بالصفات الجسدية، وهذا الجانب ظهر قليلا في روايات خولة حمدي، كوصفها زوجَ (راشيل) الذي حوال الاعتداء على ريما غير مرة، لقد كان ضخم الجثة فارع الطول، ابتسامته أقرب منها إلى التكشيرة، يقف في الباب فيملأ المكان، وحضوره يسحب الهواء من الغرفة، لقد كانت ريما محقة عندما خافت منه منذ اللقاء الأول! أما ريما ذات الخمسة عشر عاما فكانت تبدو ابنةَ اثنتي عشرة سنة، وذلك بسبب جسمها النحيل، وشكلها الضئيل، وقصر قامتها. أما أحمد المقاوم فهو شخص هادئ حانٍ دائم الابتسام، رقيق في معاملته شهم في تصرفاته، شديد التمسك بدينه.[229]

أما الجانب الثاني فهو الجانب الاجتماعي، وهذا الجانب كان له ظهور جيد في روايات خولة حمدي، كوصفها لوالد (ليلى) رجل الأعمال والسفير السابق في فرنسا، ووصفها لخالها (نبيل القاسمي) صاحب الأملاك الكبير[230]، فالقصر الذي يسكن فيه خال ليلى قصر كبير، فيه من الجمال والإتقان والأثاث ما يدل على الغنى والرفاهية الكبيرة، كذلك كانت مزرعته الخاصة، ناهيك عن عدد السيارات الخاصة التي يمتلكها هو وأبناؤه! أما والد ياسمين فقد كان ذا إنجازات علمية عالمية، ومحاضرات دولية، ومرتب جيد.[231]

و الجانب الثالث من جوانب الوصف هو الجانب النفسي، كوصف الكاتبةِ والدةَ (ندى) الشديدة، لقد كانت من اليهود المتشددين، عاشت زمنا بين المسلمين في تونس، ثم هاجرت متأثرة بزواجها الفاشل، فصارت تكره المسلمين، وتزرع كره المسلمين في نفوس ابنتيها، غير أنها لم تنجح في ذلك مع ابنتها (ندى)[232].

أما الجانب الرابع فهو الجانب العقائدي والسياسي، كوصفها ليعقوب قبل إسلامه، فهو يهودي متشدد، يخاف أن يراه أحدُ أصدقائه أمام المسجد وهو ينتظر (ريما)، لذلك لم يفكر بدخول المسجد مع إعجابه به، ومع إصراره على استمرارية دروس (ريما) الدينية في المسجد؛ وفاء لعهد قطعه لأمها قبل وفاتها.[233]

والرواية من حيث الاهتمام بالشخصيات نوعان، فهناك روايات تغلب جانب الأحداث على الشخصيات، وهناك روايات تغلب جانب الشخصيات على الأحداث، والنوع الثاني أكثر أهمية، وأسمى قيمة،[234] وهذا ما نجده عند (حمدي) إذ كانت روايتها (في قلبي أنثى عبرية) تدور حول أحمد وندى، فيما كانت أحداث (غربة الياسمين) تدور حول ياسمين، أما رواية (أن تبقي) فكانت الأحداث تتناول سيرة (نادر) من خلال رسائله المكتوبة، ومدى تأثيرها على ابنه خليل.

---

[228] سماحة، فريال، *رسم الشخصية في روايات حنا مينة*، ص.23،27،31.
[229] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.12،78،104.
[230] حمدي، خولة، *أين المفر*، ص.8،43،58.
[231] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.75.
[232] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص42،53.
[233] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.11.
[234] أمين، أحمد، *النقد الأدبي*، ص.111.

وفيما يلي سيتناول الباحث أهم الشخصيات الواردة في الروايات، من حيث الصفة التي ظهرت عليها، كالشخصية الدينية، وشخصية المقاوم، وشخصية المغترب، ولا شك في أن هذا القسم لن يُلمَّ بكل الشخصيات الروائية عند حمدي، لكن الأولوية للشخصيات المؤثرة، علما بأن بعض الشخصيات ستكون حاضرة في قسمين أو ثلاثة، وذلك لتعدد الجوانب التي تتصف بها، فالدكتور عمر مثلا، مغترب وباحث (طالب)، وأحمد مقاوم وداعية إلى الإسلام.

1.4.3. الشخصية الدينية

الشيخ والراهب، رجلا الدين الإسلامي و المسيحي، كان لهما دور في روايات حمدي، ولن يدخل الباحث في المجال الديني الذي يحكم على نَسْخِ الإسلام للديانات الأخرى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[235] ورجلُ الدينِ الحقُّ هو الذي يسعى في سبيل خدمة الناس، يداوي جراح قلوبهم، بما يعلمه من الدين الذي أنزله الله ـ عز وجل ـ فهو عون وشفاء للناس، فهذا ميشال راهب الكنيسة، يستجيب لنداء ندى التي استقبلت حسان وصديقه أحمد المصاب بشظايا قذيفة، ويأتي إلى مستودع بيتهم، ويقدم الخدماتِ العلاجية، فيضمد الجرح، فهو ممرض قبل أن يلتحق بخدمة الكنيسة، وهذا ما يُفترض على الإنسان المتدين أن يفعله، يقدم الخدمة التي يستطيع القيام بها لمحتاجها، لذا فالإسلام أمَرَ بالمحافظة على حياة الرهبان، لقد جاء في وصايا الغزوات والمعارك "...وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له..."[236] ونرى ميشال المسيحي يعاتب أخته ندى اليهودية على استضافتها لهذين الشابين المسلمين المقاومين، ليس كرها بهما؛ بل لأن والديها سيغضبان، فندى من أب مسلم، وأم يهودية، وتعيش في بيت زوج أمها الجديد، بيت جورج المسيحي، الذي تناديه (بابا جورج) لكنها تعتنق اليهودية دينَ أمِّها، وتظهر هنا لفتة إسلامية على لسان ميشال إذ يقول: " بابا جورج سيكون متفهما... لكن أمك لن تكون كذلك!!"[237] فالمسيحيون أو النصارى هم أقرب للمسلمين، كما ورد في القرآن الكريم، لذا يعتقد ميشال ـ المسيحي الذي استجاب لنداء الإنسانية ـ بأنّ بابا جورج المسيحي سيتفهم الأمر، ولن يعترض، أما الأم اليهودية فلن تقبل ذلك، ألم يقل الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[238] هكذا تتجلى الواقعية الإسلامية في فعل ميشال وحُكمِهِ على رأي جورج وزوجه.

ورجل الدين الذي يؤدي عمله على أتم وجه يترك أثراً طيباً في نفوس الآخرين، لقد استيقظ الألم النائم في رأس نادر، رصاصة مجهولة تستقر في جمجمته منذ سنوات طويلة، يوم داهم العسكر بيتهم في الجزائر؛ بحثا عن المقاتلين، قتلوا أباه حينذاك، وأصيب نادر برأسه، وظن إصابته عرضية، لكن مقذوف الرصاصة استقر في رأسه دون علمه، وحمله معه سنوات طويلة، ولم ينتبه لها إلا يوم أظهرتها صورُ الأشعة في فرنسا، عندنا تقدم بطلب اللجوء، لم يكن الألم الذي تسببه الرصاصة ألما عاديا، لقد جعله الألمُ يضرب رأسه في الجدار، ثم ذهب

---

[235] سورة آل عمران،19/3.
[236] رضا، محمد، *أبو بكر الصديق*، دار الكتب العلمية، د ت، د ط، ص.44.
[237] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.26.
[238] سورة المائدة، 82/5.

مضطرا إلى باريس، قادما من مدينة (ليون) فوصل إلى بيت الشيخ (المختار)، الذي كان يقدم العلاج القرآني، ومنقوعَ الأعشاب للمحتاجين من أمثال نادر، كان الشيخ سخيا وكريما، فبيته مفتوح للجميع، وخدماته مجانية، رأى الشيخُ التعبَ والإرهاقَ باديَين على محيا نادر، فقرأ عليه، لقد كان للمسته وقراءته سحرٌ عجيب، ثم أعقبَ التلاوة بكأسٍ من منقوعِ الأعشاب، أو هكذا ظنَّه نادر، فجعل هذا المنقوعُ نادرا ينسى الألم، وينام في تفاؤل وانبساط، لم يكن شيخا عاديا "ابتسامته دواء للنفوس السقيمة" لقد شعر نادرٌ بشعور نادرٍ عندما دخل بيت الشيخ " لقائي بالشيخ المختار كان من اللحظات النورانية النادرة... أن تلقى شخصا يُضيء وجهه بكل تلك السماحة، وتنطوي نظراته على كل ذلك الحب والعطف تجاه البشرية، كان أمرا استثنائيا..." وبعد حق الضيافة والاستراحة قصَّ على أحد تلاميذ الشيخ الخبرَ، فتلقّى وعودا بأنه صار في مأمنه، وأن الشيخ لن يتوانى في تقديم كل ممكن له، لقد ذكره الشيخُ بالدكتور عمر الذي آواه في بيته! ولم يتوقف معروف الشيخ مع نادر عند العلاج والمأوى، بل سأله عما يُجيد من الأعمال، وهذا سؤال ليس جديدا على نادر، لقد سئل مرارا هذا السؤال، وكانت الخيارات المتاحة أمامه تجعله يبكي حرقة وألما، يعرضون عليه العمل في النشل (السرقة) أو البناء، وكانت شهادته الجامعية عديمة الفائدة ومنسية، لم يستطع نادر أن يروي قصة العصابة التي انتمى إليها يوما، لكنه عرض عليه قصة عمله في البناء، فجاءه سؤال مفاجئ، إذ سأله الشيخ عن معرفته باللغة العربية، فـهتف في لهفة: "أنا مجاز في اللغة العربية يا سيدي!"[239] أخيرا وجد لشهادته الجامعية دورها وعملها، كانت فرحة عارمة، فرجال الدين الصادقون ييسر الله على يديهم كل جميل.

لم يكن نادر أول مستفيد من الشيخ (المختار)، فهذا (علي) الشاب الذي أوكل إليه الشيخ مهمة الاهتمام بنادر، يحكي لنادر يوما قصة الشيخ معه ومع عشرات الشبان الذي انتشلهم الشيخ من مستنقعات الضلال، وقدم لهم خدمات وضمانات؛ ليعودوا إلى رشدهم، لقد كان علي لصَّاً مُحترِفا، جعله الشيخ يتعلم صناعة الأقفال التي كان يحترف كسرها،[240] وضمنه أمام الناس ليثقوا به، وهو الآن ذو مهنة وعمل وراتب، ويعمل أيضا مع الشيخ في خدمة الآخرين، كان عليٌّ غيورا جدا على الشيخ، يدافع عنه أمام من يهاجمه، أمثال أبي صالح بائع الفاكهة، كان الشيخ المختار يعالج أولئك الشباب العاطلين عن العمل، يوجههم إلى تعلم المهن، وفتح لهم ناديا رياضيا؛ لتَجِدَ طاقاتهم السلبية مخرجا إيجابيا، لقد كان لعمله هذا تأثير واضح خلال سنتين ، لقد " انخفض مستوى الجريمة في حيِّنا بشكل لا يصدق"[241]

لا يتحقق الكمال في إنسان، فللمختار فضائل كثيرة لا ينكرها أهلُ الحيِّ أبدا، مسلمُهم وغيرُ مسلمِهم، لكن أتباعه لا يتعاملون مع غير المسلمين، لقد تعرف نادر في أثناء إقامته عند الشيخ والعمل معه على امرأة فرنسية خمسينية، عندها بنت وحيدة مقعدة، تعاطف معهما كثيرا، بل قلبه صار عند ابنتها التي سحرته برقتها، لم يكن عليٌّ راضيا عن هذا الأمر، لقد حذره مرارا منها، لكن نادرا يقتنص الفرص ليراهما أو يزورهما، فدقات قلبه وقلب الفتاة تناغمت عشقا صامتا، كثرت الزيارات، وتعددت أكواب الشاي التي شربوها معا، وجاء دور الأم لتحذر نادرا

---

[239] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.153،154،158.
[240] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.162.
[241] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.163.

من الشيخ المختار، بعدما لَمَزَه أبو صالح بائع الفاكهة في لقائه الأول "أعلم جدا فضائله، أعاد الشباب المنحرف إلى الطريق المستقيم، وأعطى لكل منهم مهنة شريفة، لكنه جعلهم أيضا أشخاصا متعصبين ومنغلقين..."[242] هذه شهادة الأم بالشيخ المختار، إنها تتذكر بحزن الشابَّ (عليّاً) عندما كان صغيرا، كان يلعب مع ابنتها، كانت تُحسن إلى أمه، وتشتري لهم الهدايا والملابس في أعياد المسلمين، لكن عليا بعد أن انضم للشيخ المختار نعتها بالكافرة!!!

تفاعل الناس مع قضية عمر المتهم بالإرهاب، وكان الشيخ المختارُ مهتما جدا بقضية عمر، وثائرا ضد محاكمته، والناس منقسمون فيما بينهم، فيظهر الشيخ أبو صالح، الذي صحب معه نادرا إلى مسجد غيرِ المسجد الذي يصلي فيه الشيخ المختار، يختلف هذا المسجد عن مسجد الشيخ المختار كليا، لقد تحدث أبو صالح هناك مطولا عن أنواع الجهاد، وعن العهود والمواثيق، وعن دار الحرب ودار السلام، كان منهجه مختلفا عن منهج الشيخ المختار، يبكي حال ستة ملايين مسلم متفرقين على أنفسهم في فرنسا، ولو اجتمعوا على رجل واحد لوصل صوتهم إلى (البرلمان)، ومركز صنع القرار، لكن الشيخ أبا صالح ـ مع ما يملكه من سلامة المنطق ـ لم يسلم من الاعتراض، إذ انبرى له أحد اتباع الشيخ المختار، أسامة الذي وقف مهاجما أبا صالح، فاستوعبه الأخيرُ بحكمته وعلمه، وجرَّدَه من حججه التي بدت واهية أمام حجج الشيخ أبي صالح، لقد كانت كلمة الشيخ أبي صالح مشفوعة بالأدلة القرآنية، ولما انصرف الجَمعُ مشى نادر رفقة الشيخ أبي صالح ليحدثه عن أسامة "هذا الشاب المسكين مغرر به.. المختار غسل أدمغتهم! ما يحيرني هو المختار نفسه.. هل هو مقتنع بما يقول ويفعل، أم أن أحدهم غرّر به هو الآخر؟"[243] استنكر نادر على أبي صالح اتهام الشيخ المختار، لكن جواب أبي صالح كان ضحكة صفراء أطلقها قبل الانصراف!!!

لقد أدخلت كلماتُ أبي صالح عن الشيخ المختار الشكَّ في نفس نادر، فراح نادرٌ يقارن بين مسجدي الشيخ البشير والشيخ المختار، فرق شاسع، فما يجده عند المختار من الفخامة والمكان المميز لا يجده في مسجد الشيخ البشير الكائن في القبو المخفي، تم تحرك الشيخ المختار بقوة وعلنا؛ لمجابهة القرارات الفرنسية، وعندما تزوج نادرٌ ديانا المسيحية تلقى من الشيخ المختار ـ صاحبِ الحنان والعلاج والخدمات الكبيرة ـ صفعةً قويةً، جعلت الدماء تسيل من فم نادر، وصرخ الشيخ المختار بوجهه "فعلتها؟ فعلتها وتزوجت النصرانية؟!"[244] لم تكن هذه الحادثة من الشيخ المختار فحسب، بل إن العلاج السحري (منقوع الأعشاب) الذي كان يقدمه الشيخ المختار لنادر فتهدأ نفسه وينسى آلامه، حتى أدمنه وصار مرهونا للشيخ بسببه، لم يكن علاجا طبيعيا، بل كان موادَّ مخدرة[245] ممنوعة، لم يستطع نادر اكتشاف ذلك إلا يوم شارك بمظاهرة أمر بها الشيخ المختار؛ لمساندة الدكتور عمر المتهم بالإرهاب، يومها قُبض عليهم، وأثناء التحقيق تألم نادر كثيرا، فنقل إلى المستشفى، وهناك جرت الفحوص والتحاليل، وظهر كل شيء! لقد كان عند نادر ما جعل الشيخ المختار يهتم به، ويقدم له العلاج السحري

---

[242] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.173.
[243] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.182.
[244] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.246.
[245] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.259.

(المخدرات)؛ ليبقى نادر بأفضل حال، فإصابة نادر برصاصة ملاصقة للدماغ تجعله أحيانا يرى مالا يراه الآخرون، لقد عاش وَهْمَاً مدة طويلة، مع فتاة شيشانية بكماء، تتواصل معه بلغة الرسم، رثى لحالها واهتم بها، كانت تغيب وتحضر، سببت له المتاعب الجمة ، لكنها أخيرا كانت وهما لا حقيقة، كما قال الطبيب، إنها هلوسة وتهيؤات،[246] لكن الشيخ المختار كان ينظر إلى الأمر من زاوية مختلفة، فلم يرَ في تلك الفتاة الشيشانية (كارمن) إلا رسولا من عالم البرزخ، ثم جعلها جنيّة ترسل إليه إشارات من العالم الآخر، واستثمر ذلك على أتم وجه، إذ قصدته جموعٌ غفيرة من طالبي العلاج أو المشورات، كان أبطال تلك القصة الخرافية نادر المسكين، و(كارمن) الفتاة الخيالية، والمشرف العام هو الشيخ المختار.[247] لقد تغيرت نظرة نادر للشيخ المختار بعدما علم بأن علاجه كان موادَّ مخدرة، لقد رأى فيه بدايةً من الصفاتِ أجملَهَا، لكنه اليوم يقول "...عليه من الله ما هو أهل له"[248]

لم تترك الكاتبة مصير الشيخ المختار مجهولا، بل سارت الأحداث مسرعة، ليتم القبض على الشيخ المختار ومجموعته، وتودع السجون، التي قال عنها أحد الحاضرين: إنها ستُدَجِّنُ من يبقى حيا منهم؛ ليذهب إلى حيٍّ جديد، ويجنّد الناسَ من جديد، كان تفسير الرجل واضحا، فأمثال الشيخ المختار ليسوا طبيعيين أو عفويين، بل لهم مهام مرسومة ومحددة، يؤدونها بعمالتهم أو جهلهم" لا شك عندي في عمالته"[249] صريحة قالها أبو صالح، يضللون الشباب، ويصلون بهم إلى السجون، لقد احتفل الفرنسيون يوم القبض على الشيخ المختار المتزامن مع الحكم بالسجن عشرين سنة على المتهم البريء الدكتور عمر بالتفجير الارهابي، وصعد الشيخ البشير المنبر؛ ليبين للناس حقيقة ما يجري حولهم، ويبين لهم دور المسلم تجاه هذه الأحداث، كان كلامه تنويريا، يدعو المسلم إلى التفاعل مع المجتمع المحيط به، لم يسلم الشيخ البشير من اعتراض أحد الحاضرين، تقدمت مظاهرات مناهضة للمسلمين من المسجد، فطلب البشير من الحاضرين استقبالهم وإكرامهم، لكنهم تفاجؤوا بالشعارات العنصرية التي يحملونها، لقد كتبوا على لافتاتهم " الإسلام خارج فرنسا" و "لا مكان للمسلمين"[250] لكن الله ـ عز وجل ـ كفاهم شر هذه المظاهرة التي قوبلت بمظاهر فرنسية مضادة لها، تتهم نقيضتها بالفاشية والتعصب، لقد كانت الأحداث واضحة في وجوب التماشي مع الدولة التي يقيم فيها المسلمون، وعدم الصدام مع قوانينها، كما يرى الشيخ البشير الذي قام ليرحب بأصحاب المظاهرة المساندة لفكره، مقدما لهم الشاي والضيافة.

أما الحاضرون الآخرون فقد دخلوا في أحاديث جادة، تحدثوا عن الشيخ المختار، وعن دوره الذي قام به، وتناولوا كيفية معالجة الإرهاب... لم تكن الرؤى متوافقة، كلٌّ يرى من زاويته التي بدت متأثرة جدا بثقافته أو مهنته أو منطقته، فالدكتور مالك يرى علاج الإرهاب كعلاج نزلة البرد، بالعسل والليمون وزيت الزينون والثوم،[251] فيما راح أبو محمد يسخر من هذا

---

[246] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.261.
[247] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.261.
[248] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.261.
[249] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.273.
[250] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.271.
[251] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.276.

العلاج؛ وفقا لخلفتيه العسكرية، قائلا له: " أقنعْ قادة العالم بنظرية نزلة البرد هذه...ووَاسِ عائلات الضحايا بالثوم وزيت الزيتون والعسل!"[252] ثم أدلى أبو محمد الضابطُ السابقُ بدلوه في كيفية القضاء على الإرهاب، وبيَّنَ أنه لا سبيل إلى الخلاص من الإرهاب إلا بالاستئصال الكامل، أو بالعلاج الكيماوي، إنه مثل السرطان.[253]

ويرى الباحث أن الكاتبة تريد من هذا الطرح أن تبيّن أهمية ودور رجل الدين في المجتمع، فهو إن قام بعمله الموكل به على أتم وجه، كان عمله مفيدا، ودوره إيجابيا، كما فعل الشيخ البشير، وميشال، فيما كان دور الشيخ البشير الجميلُ ظاهريا، كان سلبيا، لقد عالج نادرا بالمواد المخدرة، وأمر أتباعه بمقاطعة غير المسلمين، وكان يُحرِّض على المظاهرات، وأعمال الشغب، وتحدي الشرطة؛ لتكون نهايته السجن.

2.4.3. شخصية الداعية إلى الإسلام

ليست الدعوة إلى الله محصورة برجال الدين أو العلماء فحسب، بل الدعوة إلى الله في الإسلام مهمة كل مسلم، تتفاوت هذه المهمة من شخص لآخر، فليس كل المسلمين علماء، لكن صفة الإسلام تكفي ليكون المسلم داعية إلى الله، بعلمه، أو سلوكه، أو أخلاقه، وقد تكون الدعوة بالفعل لا بالقول، بالانتماء لا بالادعاء، فهذه (ريما) الطفلة التي تربَّت في بيت (جاكوب) اليهودي، ورعاها منذ طفولتها المبكرة، كانت تناديه (بابا يعقوب) "كما ورد في القرآن"[254] وفي هذا انتماء شديد، وحب قويّ، فالمسلم يرى في ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه متعة وعبادة وانتماء، ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[255] ومن شدة حبها ليعقوب خافت عليه من النار إذا بقي على ديانته، فراحت ـ مع صغر سنها ـ تدعوه إلى الإسلام باكية، وعندما حاورها وَجَدَ عندها الردودَ المُقنعة، ذكّرها باتفاق قديم بينهما، نؤمن بإله واحد، ولكِ دينك ولي ديني، فقالت: لكن الدين عند الله الإسلام! فغضب يعقوب من الشيخ الذي علمها هذا، واقترح إيجاد شيخ آخر لتتعلم عنده، لكن ريما برَّأتِ الشيخ من اتهام يعقوب له بالتشدد والعصبية وقالت: " بل القرآن هو يقول ذلك"[256]

قد تبدو ريما في عصرنا هذا دون هذه المهمة، ودون تلك الجرأة والقناعة، لكن الأمر من الناحية الإسلامية ممكن، بل وارد في التاريخ، فكم من حافظ لكتاب الله من الأطفال! وكم من حافظ لآلاف الأحاديث بأسانيدها، وكم من مجاز في الفقه أو الأصول وهو ما يزال في سن الطفولة، فها هو الشافعي رحمه الله يحفظ كتاب الله وهو في سن التاسعة، ويحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنوات، وأفتى وهو ابن خمسة عشر عاما،[257] وغيره كثير، وهذا ما يريده الأديب المسلم كما ترى الواقعية الإسلامية، يريد أن يكون المجتمع بكل أفراده مرتبطا بالدين ومصادره وتشريعاته، عبادة ومعاملة وأخلاقا وعلما وحجة.

---

[252] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.277.
[253] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.274.
[254] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.17.
[255] سورة الإسراء، 9/17.
[256] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص018.
[257] www.feqhweb>com/vb/t12014.html 2018/10/22م سا 17:30

والداعية يجب أن يتصف بالأخلاق قبل العلم، وبالتطبيق قبل التنظير، وبسعة الصدر على كل حال، فكم من فِعلٍ دعا إلى الله أكثر من قول! فهذا أحمد المصاب، عندما دخلتْ عليه ندى لتقدمَ الفطور، راح يسألها عن دينها، فاستطردتْ معه مُبينة قصة عائلتها، واختلاف أديان أفرادها، كان يسمعها بإصغاء، ويسألها مستفهما عن بعض الأمور، بل تغيرت بعض معتقداته، لقد كان لهدوء حديثهما أثر كبير في انتقال ندى للإسلام لاحقا، لم يكن أحمد وحده سببا في ذلك، لكنه كان اللبنة الأولى، ولو كان متشددا أو رافضا للرأي الآخر لبقيت ندى على يهودية أمها المفروضة عليها.[258]

لقد اعتنت الكاتبة بصدق الإيمان في قلوب شخصياتها المسلمة، فريما الطفلة التي يلهو أقرانها بالألعاب، ويستميلهم اللهو، وتغير مواقفَهم الإغراءاتُ البسيطة؛ كالهدايا والنزه، نراها ـ مع صغر سنها ـ ترفض الذهابَ مع عائلة يعقوب للتنزه، إنها لا تريد الاختلاط مع الرجال دون حاجة، بل إنها لا تريد إحراج عائلة يهودية باصطحاب فتاة مسلمة محجبة، لقد ظهرت الأخلاق مع الالتزام على ريما منذ الصغر، فهي تحب يعقوب الذي رباها ورعاها، ولا تنسى له هذا الفضل، لكنها تلتزم بالحلال والحرام أيضا، وتدعو الله أن يثبتها على الحق "يا إلهي... أنت تعلم أنني لم أرد إلا رضاك... يا الله ثبتني على الحق وأنر بصيرتي...)[259]

وعندما فُرضَ النفي على ريما إلى لبنان، حيث تقيم أختُ يعقوب التي لم ترزق بولد، لم تتخلَّ ريما عن مهمة دعوة يعقوب إلى الإسلام، بل تركت له رسالة خطية مختصرة، بكلمات تحرك القلب، وتعمل في النفس الكثير، علما بأنّ ريما طُردت من البيت قسرا، ولم يكن لها الخيرة في الجهة التي طردت إليها، ولم يؤخذ رأيها في شيء، ومع هذا كله أكملت طريق دعوتها، لأنَّ المسلم الحق، يدعو إلى الله في السراء والضراء، في الأفراح والأحزان، حتى كلمات الوداع التي قالتها ريما ليعقوب كانت إسلامية، مع اعتذار واضح عن تسببها ببعض مشاكل العائلة، إذ رفضت زوجُ يعقوب وجود مسلمة في بيتها وبين طفليها "...أحبك كثيرا، وأدعو الله لك بالهداية كل يوم. إن لم يكتب لنا اللقاء مرة أخرى في الحياة الدنيا، فأسأل الله أن يجمعنا تحت ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله، بعد أن يكون قد منّ عليك بالإسلام، وهو على كل شيء قدير... ابنتك ريما"[260] كان لهذه الكلمات القصيرة أثر كبير في نفس يعقوب، وفي إسلامه لاحقا، فهو لا يؤمن بالحياة بعد الموت، لكنّ عذوبة هذا الكلام جعله يفكر مليًّا في الأمر. ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[261]

كذلك كانت أفعال ريما أمام ندى عندما انتقلت للسكن معهم في لبنان، وأصبحتا تنامان في سرير واحد، فبينما النوم يجافي ندى بسبب غضبها من أحمد الذي لم تره يوم زارتهم في بيتهم، لم تجد ريما جنبها، وراحت تطالع الغرفة المظلمة إلا من ضوء خافت يتسلل من أنوار الشارع، فرأت ريما تصلي، تذكرتْ وقتها الصلاة التي رأت أحمدَ وعائلته يؤدونها يوم دعَوها إلى المزرعة، كان لهذا المشهد أثران في نفس ندى، الأثر الأول القريب أنها تناست غضبها من

---

[258] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.34.
[259] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.56.
[260] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.73.
[261] سورة النحل، 125/16.

أحمد، أما الثاني فكان طلبها من ريما أن تعلمها الصلاة، مما جعلها تقترب خطوة جديدة ومهمة من الإسلام.[262]

أحمد المسلم المقاوم خطب ندى اليهودية، ثم التحق بالتدريب بعدما اندملت جراحه، وعندما وافق أهل ندى على الخطبة جاءته التبريكات من أصدقائه، وكان لمباركة قائده في المقاومة وقع خاص، إذ شُفِعت المباركة باللوم المبني على الحرص بالتمسك بالإسلام، والخوف من المستقبل إذا ما اقترن أحمد بامرأة يهودية "فكرْ جيدا في قراراتك، فإنها تبني مستقبلك... أمن قلة الفتيات المسلمات الملتزمات نشكو... ألا تريد أن تبني بيتا مسلما أساسه تقوى الله" لكن أحمد لا يجرؤ على الرد على قائده، بل كان رده في نفسه بعد انصرافه، إنه يريد إسلامها، ففي ذلك خير عظيم، إنه خير له من حُمرِ النَّعَم، كما وعد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ " سأنقذها من الضلالة إن شاء الله، وأعيدها إلى دين الحق، سَتَرَونَ حينها. سترون جميعا"[263]

والداعية إلى الله ـ كما سبق ـ لا يشترط فيه أن يكون متفرغا لهذا العمل، كما لا يشترط فيه حفظ النصوص والأدلة الكثيرة، بل يكفي أحيانا موقف أو خلق أو عمل صغير؛ ليجعل الآخر يتقدم خطوة نحن الإسلام، أيا كان صاحب هذا الموقف، فدعاء ريما ليعقوب بالهداية، وأملها بالاجتماع به في الجنة ـ إذا ما أسلم ـ جعل شيئا ما يتحرك في نفسه، وهذه إحدى العاملات في معمله، تتبرع ببعض الملابس للمسجد، فيغضب يعقوب ويثور، ويتطاول على الإسلام، فتغضب العاملة للإسلام لا لنفسها، وتطلب ترك العمل، ولا تبالي براتبها عن الشهر الماضي قائلة: "رزقي بيدي الله وحده... إن كنت قد أخطأت في حقك، فإن هذا لا يعطيك حق التطاول على الإسلام"[264] لكنه بعد أن هدأت ثائرته وتنفس الصعداء، تحرك شيء ما في داخله، كيف تغير سلوك العاملة عندما تكلم عن دينها، وكيف أصبح ردُّها شديدا، بعدما كانت تتلعثم بالجواب مدافعة عن نفسها، كيف قدمت دينها على لقمة أطفالها " أمر محير... أمر محير بالفعل..."[265] فإظهار عزة الإسلام، وشدة دفاع المسلم عن دينه، يجعل الآخر ـ أحيانا ـ يبحث عن سِرِّ هذا الأمر، مما قد يصل به إلى الطريق القويم.

وتظهر المشكلات لريما مجددا، لقد حاول زوجُ راشيل الاعتداء عليها، وضربَها، فانتقلت للسكن مع عائلة ندى على أن تدفع (راشيل) مصاريفَ إقامتها، لكن راشيل وزوجها غادرا لبنان إلى تونس، وانقطع الاتصال معهم، فوضعت سونيا ـ والدة ندى ـ ريما بين خيارين، الرحيل عن المنزل، أو القيام بأعمال البيت كاملة، التنظيف و الطبخ والغسيل وشراء الحاجات اليومية من السوق، قبلتْ ريما العرض مجبرة، فلا خيار أمامها، كان هذا العرض بُعيد نقاش دار بين ندى وريما، مفاده أن تنتسب ريما لإحدى المدارس الثانوية في لبنان، لكن ريما متعلقة بالعودة إلى تونس، ثم تقرر ريما أن البقاء في لبنان خير لها من العودة إلى تونس، لم تعرف ندى السبب، ولم تسأل، فعقلها عند أحمد، في صيدا حيث جامعته، لكن الأمر بعد قرارات سونيا ـ والدة ندى ـ قد تغير، لقد أفصحت ريما عن السبب الذي يشدها إلى البقاء في لبنان، إنه الشهادة

---

[262] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.127.
[263] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.74.
[264] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.115.
[265] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.115.

في سبيل الله، فلقد سمعت ريما كثيرا عن العمليات الفدائية، والشهداء، والمقاومة، غير أن قرارها هذا فاجأ ندى، فريما صغيرة، وتتحدث عن الموت، والشهادة في سبيل الله ـ تعالى ـ والجنة والخلود، وحب الله للشهيد، وندى لا تؤمن بالحياة بعد الموت أصلا، لقد سمعت أحمد يتحدث عن هذا الأمر قبلا، وهذه ريما تجدد الحديث عنه بحماس شديد، تسألها ندى: "ماذا؟ تريدين الموت في الحرب؟ هل جننت؟ ...إنها الشهادة يا عزيزتي...الشهادة! وما هي الشهادة؟ ... أن أموت في سبيل الله... فيحبني الله ويكرمني، فأدخل الجنة دون حساب أو عقاب....لكنك ما زلت صغيرة!... أريد أن اذهب إلى الله... أريد الجنة!"[266] تسألها ندى عن الأمر بإسهاب، تتسارع دقات قلبها، يصيبها الرعب، وتتذكر أحمد. لقد كثرت المواقف التي تجعل ندى تقترب من الإسلام، أو تتعمق في السؤال عنه، ومعرفة المزيد، كل هذا بالدعوة العملية لا القولية، لم تدعها ريما للإسلام صراحة، لكن أفعالها وأقوالها وتفكيرها ولباسها، كل هذا يجعل ندى تتفاجأ وتتساءل وتقترب من الإسلام، إنها الدعوة بالتطبيق.

والداعية إلى الله لا يتوقف عن عمله، ولا يتعب من تكرار المحاولة، لقد أُبعدت ريما عن يعقوب، وصارت أحوالها صعبة وحزينة، في البيت الأول حاول الرجل الاعتداء عليها، وضربها مرارا، وفي البيت الثاني أُجبرت على القيام بكل أعباء البيت، وهي ما تزال طفلة، لكنها ما تزال تكتب إلى يعقوب رسالة أسبوعيا تقريبا، تُختتم الرسالة بعبارة " أحبك بابا يعقوب" و تتضمن مقطعا يهتز له قلب يعقوب "لا زلت أدعو لك بالهداية في كل صلاة، وأنتظر اليوم الذي أجدك فيه مؤمنا حقا... أحبك جدا بابا يعقوب"[267]

والدعوة إلى الله تكون بالرفق واللين، وبالقول الحسن، كما تكون بتوظيف المواقف، فلابد للداعية أن يكون حكيما، فبينما ندى وصديقتها المسيحية تجوبان ساحة المسجد الكبير في باريس، شدَّهما لداخله صوتُ الأذان، فقوبلت الفتاتان بإشارة الخروج من قِبَلِ امرأة ما، ثم جاءهما نداء بالفرنسية: يا أهل الكتاب يا أهل الكتاب تعاليا! استجابت الفتاتان، فطلبت منهما صاحبةُ النداءِ خَلعَ الأحذية وهي تبتسم، ثم طلبت منهما الدخول والجلوس دون إصدار صوت، أو تخطي صفوف المصلين، أو لمس القرآن، وبعد الصلاة قدمت لها الشاي مشفوعاً بالترحيب والابتسامة، ثم شرعت صديقة ندى بالأسئلة المتنوعة، عن الإسلام والصلاة والصفوف، وكانت الأجوبة تأتي بسعة صدر، وبتوضيح جيد، مما جعل السائلة تقول: " حقيقة... الإسلام فيه كل شيء" لكن تعليقا من السائلة جعل ندى تنفجر بالضحك، لقد أعجبت صديقة ندى بتنظيم صفوف المصلين حتى قالت: لابد أن حياة المسلمين منتظمة كصفوف صلاتهم! هنا ضحكت ندى وتذكرت مقولة أحمد: "لا تجعلي المسلمين ينفرونك من الإسلام، فتطبيقهم لتعاليمه متفاوت... لكن انظري في خلق رسول الإسلام، وحده ضِمْنَ كل البشر خلقه القرآن"[268] ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، بالقول الطيب، بالفعل الحسن، هكذا فعلت تلك المرأة التي يبدو أنها من القيّمات على المسجد، ولو قامت بطردهما، أو استقبالهما استقبالا باردا، لما وجدت صديقة ندى الفرصة في التعرف على بعض تعاليم الإسلام، فيما يخص تنظيم الصلاة، وفي السيرة

---

[266] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.145.
[267] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.147.
[268] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.218.

النبوية ما يشابه ذلك، عندما بال الأعرابي في زاوية المسجد فقام إليه الصحابة الكرام، فقال لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (دعوه، وأريقوا على بوله سَجلا من الماء، أو ذنوبا من الماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)[269]

لم يترك أحمد فرصة لتقريب ندى من الإسلام إلا فعلها، وكان لأفعاله وأقواله معها أثر كبير، بقي نفعُه حتى بعد اختفاء أحمد، فعندما ذهبت ندى إلى باريس لإكمال الدراسة، وللخروج من جو الحزن الذي عاشته مؤخرا، كانت تراسل أحمد على عنوان بيت القرية، وتخبره بكل ما يحدث معها، ثم تسوء حالتها، وتعود مضطرة إلى لبنان، وتكتب له الرسالة الأكثر عمقا، تكتب له الرسالة التي سيطير بها فرحا لو كان حاضرا، الرسالة التي خطَّطَ لها كثيرا، وما يزال ينتظر نتاجها، تحدثت فيها عن مرضها، وعن دور القرآن في شفائها، وعن تلك الآيات التي كان لها وقع لم يتكرر، يوم قرأ عليها سورة الدخان وهي في المشفى بعد موت ريما، تحدثت فيها كثيرا، لكن روحَ الرسالة كان مكتنزا في قولها " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده و رسوله. ها أنا أنطق بالشهادتين للمرة الأولى، وأنت الشاهد الوحيد على إسلامي!..."[270] لم تكن خطوات أحمد لتذهب سدى، لقد اختارها بعناية، وزرعها في الأرض الخصبة، فأنبتت رياحين وورودا.

والدعوة إلى الله ليست مهنة لكسب المال أو الراتب، إنها عمل نابع من القلب، ومفعم بالحب والإخلاص، هدفه سعادة الناس، وإخراجهم من طريق الضلالة إلى طريق النور، والمسلم الحق يحزن على من يموت على غير الإسلام، فعندما تعرض جورج وميشال مع زوجه وولديه لحادث سير، أسرعت ندى إلى المستشفى، كانت ترتعد وتبكي، تخاف عليهم أن يموتوا على غير الإسلام، تعرف أنهم بحالة حرجة، فعيون من حضر هناك تبكي بحرقة، لكن أمرا آخر يشغل ندى، ويجعلها تحترق أكثر "يجب أن ألقِّنهم الشهادة. يجب أن أحدثهم عن الإسلام. لن ترحلوا هكذا!!!... فات الأوان"[271] كان حزنها عليهم مضاعفا، فجورج وميشال خير من وقف معها في المِحَنِ، ولكنهم رحلوا على غير الإسلام! فتضاعفت الجراح، ولكن الصبر والامتثال لأمر الله هو الحل، وهذا ما نجده في السيرة النبوية، عندما اجتهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أن ينطق عمه أبو طالب الشهادتين، كذلك نجده عندما حزن على وفاة اليهودي الذي قال عنه: أفلت مني إلى النار. لقد تأثرت ندى كثير لأن جورج وميشال رحلا قبل أن تدعوهما للإسلام، لكنها عندما ذهبت لتونس، وأقامت في بيت يعقوب بعد اعتذار والدها عن عدم استقبالها بسبب زوجته، قررت تعويض الفرصة، ستضع أثرا إيجابيا في نفس يعقوب الذي تحبه ريما، وتتمنى لقاءه في الجنة، ولن تدع ما حدث مع جورج وميشال يتكرر.[272] لكن سارا (ابنة يعقوب) اختصرت الطريق على ندى، وبادرتها باهتمامها بالإسلام، وطلبت منها أن تجيبها عن أسئلتها، وأن تحضر لها الكتب الدينية إلى البيت، لأن سارا لا تستطيع ذلك بسبب أمها، أما ندى فضيفة لا يسري عليها قانون المنع، لقد كانت بشارة خير.[273]

---

[269] النووي، يحيى بن شرف، *رياض الصالحين*، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د ت، د ط، ص.282.
[270] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.225.
[271] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.242.
[272] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.267.
[273] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.269.

لماذا ارتديت الحجاب الإسلامي؟ وقد كنتِ ترتدين الحجاب اليهودي! تسأل سارا ندى، فتشرع ندى لتبين لها أهمية الحجاب في كل الأديان، والفوارق بين الأديان من حيث نظرتها للمرأة، مبرزة نظرة الإسلام للمرأة، فالحجاب في الإسلام يفرض على المرأة كمرأة، وليس على طبقة دون أخرى كما هو الحال في المسيحية.[274]

لم تتوقف ندى منذ إسلامها عن دعوة الناس للإسلام، بفعلها وقولها، ولن تتوقف، فبعد خوضها معارك عاطفية بين أحمد وحسان، ووصولها أخيرا لقناعة الارتباط بأحمد، عادت لتكتب رسالتها الأخيرة، يوم زفافها، عبرت فيها عن مشاعرها، لكنها أردفت "أنا اليوم مسلمة، ومسؤولة عن صورة الإسلام في عيون غير معتنقيه، أنا اليوم مسؤولة مثل غيري من المسلمين، عن الاتهامات بالإرهاب والتخلف والفوضى والفساد... أتدري كم هي عظيمة هذه المسؤولية؟ "[275]

وعندما ذهبت ياسمين إلى فرنسا حلَّت ضيفة في بيت أبيها الذي انفصل عن أمها، وتزوج فرنسية ملحدة، له منها ولدان، سارة وريان، تتعجب سارة من حجاب أختها ـ من أبيها ـ ياسمين، وتشبهها بجدتها، إنها تسخر من ياسمين وجَدَّتها ومن الإسلام أيضا، لكن ياسمين تجيبها بنَفَسٍ دعوي جاد " أنت لم تعودي صغيرة، في سنك تصبح الفتاة مكلفة في الإسلام، ومسؤولة عن أفعالها"[276] لم تبالِ سارة بكلام أختها، بل حمدت الله على أنها ليست مسلمة، مما جعل ياسمين مستغربة من كلام أختها، وتوضح لها قائلة "ربما لأنك لم تتعرفي على الإسلام جيدا"[277] لكن ياسمين تتذكر أن أخويها يعيشان في حجر أمٍّ مُلحدة! وفي اليوم التالي بدأت ياسمين تدعو (إيلين) زوجة أبيها للإسلام أيضا. لم تكن الدعوة لدى ياسمين واضحة كالدعوة عند أحمد وندى، لكنها كانت لا تفوّت فرصة لاستثارة ما في النفس البشرية من فطرة ربانية، فقد ألمحت لأختها عن الإسلام، ولزوج أبيها، ولأبيها ذاته، وهي اليوم تُنَبِّهُ (رنيم) إلى حرمة ارتباط المسلمة بغير مسلم، لقد كان إعجابها بعمر مجردا من كل شيء مادّي، تبادل أفكار دون النظر، دون معرفة الاسم، أو الأصل، حتى اللغة التي تواصلت بها معه كانت اللغة الفرنسية، خاطبها عمر يوما باللغة العربية، فأجابته باللغة الفرنسية، لأنها تعتقد أن الحديث بلغة لا يعرفها الموجودون معهما يُعَدُّ نوعا من الخلوة، وهذه هي اليوم تشعر بضيق رنيم مما جرى معها مع ميشال، فتطرق باب غرفة نومها وتقول لها: "وضعت على المنضدة القريبة كتابا... اقرئي فيه كلما أحسست بالضيق... سيسري عنك... كان كتاب القران"[278]

وفي لقائه الأول مع محاميته الخاصة التي عينتها له المحكمة، تفاجأ عمر من لباس رنيم، وقال لها مستغربا: أنت مسلمة أليس كذلك؟ نعم، ثم راح يوجه لها الكلام القاسي عن لباسها وتبرجها وأفكارها، حيث لم تكن مقتنعة ببراءته، و راح يشرح لها تفكير الغرب تجاه المسلمين، فكل من يقول (الله أكبر) هو إرهابي في نظرهم، لم تستطع رنيم الرد على عمر، بل غادرت

---

[274] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.274.
[275] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.386.
[276] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.35.
[277] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.35.
[278] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.148.

صامتة بعد أن رفض دورها في الدفاع عنه، لكن الملفت للنظر أن الظروف العامة لعمر كانت عصيبة جدا، التهمة المنسوبة إليه كبيرة جدا، قد تصل عقوبتها إلى السجن المؤبد مع الأشغال الشاقة، وفي أحسن الأحوال سيسجن عشرين سنة، كما أخبره المحقق، والجروح البالغة تملأ جسده، والكسور تقلق مضجعه، وموت زملائه الذي كانت اختباراته سببا فيه أزعجته، مع هذا كله تراه مهتما بالإسلام وصورته، ودعوة الناس إليه، أو دعوة أبنائه للعودة إليه، هكذا تكون شخصية الداعية إلى الإسلام.[279]

والداعية إلى الله يتعامل مع مواقف الدعوة والتعليم تعاملا جديا ومسؤولا، فـ (لورا) أسلمت على يدي هيثم، وربما لأجل الارتباط بهيثم فحسب، ولم تطبق شيئا من الإسلام، اكتفت بالإعلان، تفاجأت بها ياسمين عندما رأتها، ووعدت هيثما بتعليمها الدين، وعندما زارتها في بيتها التي تشاركها به رنيم راحت الأخيرة ـ رنيم ـ تضحك وتتفوه بكلام ينبئ عن عدم اهتمامها بالإسلام "أنا مسلمة قديمة، قديمة جدا" أما ياسمين فكانت مهتمة بمستوى لورا الثقافي الإسلامي، أخبريني، ماذا تعلمت عن الإسلام إلى حد الآن؟ لقد أهداها هيثم كتبا ثلاثة، الفقه والسيرة والقرآن، لكنها لم تقرأها؛ لضخامتها وقلة وقتها، بل ربما لعدم اهتمامها، فبدأت نصائح ياسمين لها، يمكنك العودة إلى كتاب الفقه مثلا، ثم علمتها الصلاة والوضوء، وقارنت بين صلاة المسيحيين وصلاة المسلمين، لم تكن لورا متحمسة جدا، فقد اشتكت من ثقل الصلاة، ومن ضيقها من الملابس الإسلامية، أما رنيم فقد كانت تضحك لأنها رأت لورا لا تتفوه بجملة إلا وكلمة (هيثم) إحدى مفرداتها، هيثم علمني، هيثم أهداني، هيثم قال...،[280] وهذا ما نجده إسلاميا في الحديث النبوي (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله فهجرته إلى الله وإلى رسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[281]

وعندما ذهبت ياسمين للقاء المرأة الفرنسية التي حاولت الانتحار (روزلين) دار بينهما نقاش لا يخلو من القسوة، روزلين تجد في ياسمين امرأة ضيَّعت نضال المرأة الفرنسية، في تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة، وياسمين ترى فيها ضعف الاعتقاد فيما تعتقد، عندما اختارت الانتحار، ولم تستطع الصمود في سبيل تحقيق أهدافها، لقد بينت ياسمين لها أن المسلم يلجأ الى ربه الذي يؤمن به وقت الشدائد والمحن، فلماذا لم تعودي كذلك الى ما تعتقدين به؟![282]

3.4.3. شخصية المقاوم

نعيش اليوم في زمن الخصخصة الشاملة، التي تتضمن التخصص الوظيفي أو التخصص في العمل، وهذا بلا ريب مطلوب لإتقان العمل، لكن هناك أعمال واجبة على المسلم، ولا يضر الجمع بينها وبين العمل التخصصي، أو الوظيفي، لقد ذكر الباحث في الفصل السابق أن الدعوة إلى الله مهمة كل مسلم، كذلك الجهاد سابقا، أو مقاومة المحتل كما تُسمى الآن،

---

[279] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.151،154.
[280] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.215.
[281] السيوطي، جلال الدين، *سنن الترمذي*، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 58/1، رقم الحديث 75.
[282] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.215،217،222.

فالمقاومة واجب كل مستطيع، طالبا كان أم طبيبا أم غير ذلك، والمقاومة عمل شرعي إسلامي، له شروطه وأخلاقه ومعاييره، فهذان أحمد وحسان، جمعت بينهما المقاومة الإسلامية للمحتل الإسرائيلي جنوب لبنان، اشتركا في التدريب والعمليات العسكرية "وبسرعة تمَّ التآخي بينهما في الله"[283] وهذا التآخي مهم وضروري في الإسلام، ألم يبدأ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالإخاء بين المهاجرين والأنصار فور وصوله للمدينة المنورة؟! وكان ذلك من أساسيات بناء الدولة الإسلامية، حيث قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " تآخوا في الله اثنين اثنين"[284] وفي القرآن الكريم نجد الأخوة من صفات المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[285] ويستمر الصديقان في المقاومة، فيُصاب أحمد بلغم أرضي، ويسعفه حسان بسيارته مسرعا لأقرب مستشفى، الوقت متأخر، والمكان مجهول للسائق، والمشفى بعيد، والغروب بدأت ملامحه في الأفق، فينفجر إطار السيارة في هذا الموقف العصيب الذي يجعل الإنسان يخرج عن طبعه، ويتصرف بغضب، وقد يتلفظ بفاحش الكلام، لكن المقاوم المسلم الذي يفرض عليه دينه كريمَ الأخلاق، ويعلمه الصبر و التحمل لا يسعه إلا أن يقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله"[286] تسليم مطلق لله، وإيمان به، واتباع لسنة نبيه الذي قال: (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء)[287] ومع هذا القول الحميد، نجد حسان قد تمالك نفسه في إيقاف السيارة بهدوء كي لا تؤدي قوة الضغط على المكابح لانقلاب السيارة، وهذا يدل على الدُّربة والخبرة لدى السائق الذي أرادته الكاتبة خبيرا وحكيما و مسَلِّما الأمر لله.

وبعد تلقي أحمد العلاج من ميشال، أخلد إلى النوم، وأحضرت صاحبة الاستضافةِ الأغطيةَ والطعامَ، لكن حسان المرافق لأحمد وصاحبه في المقاومة لم يتخل في هذه الظروف الحالكة عن أخلاقه وتعاليمه الإسلامية، فصديقه مصاب، وسيارته معطلة، ويقيم في بيت لا يعرف عن أهله شيئا إلا أنهم يهود، وهو يقاوم المحتل اليهودي جنوب لبنان، ومع ذلك فهو يغض البصر عندما يتكلم مع ندى، ويتحدث معها باقتضاب، وبصوت خافت، وقد يكتفي بالإيماء بالرأس دون الكلام، فندى وحسان "اشتركا في لف جسد أحمد وتدثيره، والصمت يخيم عليهما... أومأ برأسه موافقا... فاستطرد وهو يغض بصره في حياء..."[288] كل هذا مأخوذ من الإسلام الذي لا يجيز النظر إلى المرأة لغير الحاجة، ولا يجيز الكلام معها إلا بقدر الحاجة ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...﴾[289]

والمقاوم الحقيقي الذي ينضم إلى لواء (المقاومة الإسلامية) يجد نفسه في مهمة الجهاد التي لا تعفيه من الالتزامات الدينية الأخرى، كالابتعاد عن الحرام، والتفكير بالدعوة إلى الله، وهذا من الإسلام، فقد كان المسلمون يدعون أعداءهم للدخول في الإسلام قبل الشروع في القتال، كما كانت كُتُبُ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للملوك تتضمن قوله: "أسلم تسلم"[290].

---

[283] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.18.
[284] غضبان، منير محمد، *فقه السيرة النبوية*، جامعة أم القرى، 1992، ط2، ص.358.
[285] سورة الحجرات، 10/49.
[286] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.20.
[287] النيسابوري، أبو عبدالله، *المستدرك على الصحيحين*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، د ط ، 57/1.
[288] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص027.
[289] سورة النور، 30/24.
[290] الخضري، محمد، *نور اليقين*، دار الإيمان، دمشق، 1988. ص.181.

وهذا أحمد المقاوم الذي نبض قلبه نبضا مختلفا بعدما رأى ندى، تلك الفتاة التي لم تغب عن باله لحظة، نراه ـ مع ما خلَّفته الإصابة من الجروح والآلام ـ دائم التفكير بها، لكنه تفكير مختلف عن تفكير العاشقين الذي نراه منتشرا في بقية الروايات، إن ما شدَّه إليها مختلف تماما، إنها الأفكارُ النيّرةُ، والحشمةُ، والحياءُ، إنها ـ أي ندى ـ أكثر حياء من بعض المسلمات، إنها تربة خصبة لزرع بذرة الإسلام، إنه "يشعر أن القدر أخذه إلى ذلك المنزل لأن مهمة ما تنتظره"[291] حتى استخدام كلمة "القدر" ليس عبثا، فالإسلام لا يقر الصدفة، بل ينص على مبدأ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[292] وعندما أراد أحمد التقرب من ندى جعل أخته سماح واسطة بينهما؛ لأنه لا يجوز شرعا اللقاء بينهما.

وعندما يُفرضُ الحصارُ على ندى من قِبَلِ أمها، وتمنعها من لقاء سماح أختِ أحمد، ومن الاتصال بها هاتفيا، يُطرق أحمد مفكرا، ثم يقرر تغيير الخطة، لم تكن خطته الجديدة لقاء سريا، ولا متابعة عن بعد، كما يفعل العاشقون، بل ذهب للقاء أبيها في المقهى؛ ليضرب معه موعدا لزيارتهم في بيتهم لخطبة ابنته (ابنة زوجه) بطريقة شرعية ترفع عنه وعنها الحرج والإثم الاجتماعي والديني، علما بأنه عرفها منذ أيام قليلة، و كان لقاؤهما الوحيد قصيرا، و في ظروف اضطرارية عصيبة، يوم نام في مستودع البيت مصابا.[293]

بعد الموافقة على طلب أحمد أقيمت مراسم الخطبة، وصار أحمد يزور ندى كثيرا استغلالا للعطلة الصيفية التي أوشكت على الانتهاء، فزياراته لها بعد بدء الدراسة ستكون قليلة، وكانا يستغلان وقت الزيارة لمناقشة الأمور الدينية، فكلاهما متمسك بدينه، يدافع عنه وينافح، ويحاول شد الآخر إليه، وهنا وضع أحمد قواعد للحوار، فلا يجيب إلا على أسئلة ندى، معتذرا عن عدم الإجابة على أسئلة الأخرين، فما يهمه الآن هو فكر ندى ورأيها، فهي زوجته المستقبلية، وخلال المناقشة تكون الغلبة دائما لأحمد الذي يعطي لكل سؤال جوابا مقنعا، مشفوعا بأدلته الشرعية والعقلية، لقد سُرَّ ميشال بأجوبة أحمد كثيرا، وكان أحمد لا يقبل أن يختلي بندى، فاشترط وجود طرف ثالث في اللقاء، وكان أحمد سعيدا بهذه النقاشات؛ لأنه يعتقد أنّ اجتماعا قام على طاعة الله تعالى سيكتب له الخلود في الدنيا والآخرة. [294]

نلاحظ هنا ثلاث نقاط نبعت من صلب الواقعية الإسلامية، فالاهتمام بالدين من الدين، ألم يقل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)[295] وندى ـ وإن كانت يهودية ـ ملتزمة بدينها وتعاليمه، واهتمام الخاطِبَينِ بالدين أمر حسن، إذ غالبا ما تكون فترة الخطوبة مكتظة بكلام العشق، وتبادل المشاعر العاطفية، والحديث عن تجهيزات البيت وحفلة الزواج وما يتعلق بهما، لكن أحمد وندى كانا منصرفين كُليًّا إلى الأحاديث الدينية. كذلك يظهر لنا حرص أحمد على وجود طرف ثالث في اللقاء، فلا يجوز للرجل الخلوة بالمرأة إسلاميا، وهذا كان من شروطه التي لا تنازل عنها.

---

[291] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.48.
[292] سورة القمر، 49/54.
[293] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.64.
[294] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.104.
[295] العسقلاني، ابن حجر، *فتح الباري*، 35/9، رقم الحديث 4902.

أما النقطة الثالثة فهي علم أحمد، فالمقاوم الحق لا ينصرف إلى السلاح فحسب، بل لا بد له من المعرفة الجيدة بالأمور الدينية، فكان يقدم الأدلة العقلية والتاريخية والقرآنية، جاعلا جميع الحضور مشدوهين لحديثه الطيب وأسلوبه الشائق.[296]

أما الهدية التي قدمها أحمد لندى ـ بعد غضبها عليه يوم زارت بيت أهله ولم تره لانشغاله برفيق المقاومة حسان ـ فكانت كتابَي القرآن الكريم والسيرة النبوية، وطلب منها أن تبدأ بقراءة الكتاب الثاني؛ لتتعرف على السيرة النبوية أولا، ولأنه أسهل عليها في الفهم، ولا سيما أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان خلقه القرآن. وهذه هدية ليست غريبة، لكنها ملفتة في فترة الخطوبة التي اعتاد الناس في عصرنا على أن تكون الهدية ذَهَبَاً أو لباسا أو ما شابههما، لكن أحمد قدَّم هديته مشفوعة بقوله: "بما أنك مهتمة بالإسلام ولا تعرفين الكثير عنه، فكرت في هدية مفيدة فيها إجابات شافية عن كثير من تساؤلاتك"[297] ونال أحمد جزاء هديته بقبول ندى لها، ففرح كثيرا، وكانت فرحته أكبر عندما علم أن ريما علَّمت ندى الوضوء والصلاة. في هذه الهدية تكمن روح الدعوة، فبعد أن ناقشها وشوَّقها للإسلام، أعطاها دفعة للأمام، لتخطو هي الخطوة التالية بالقراءة والاكتشاف، كل هذه الخطوات التي تأتي منه ومن ريما التي تشاركها غرفتها ستجعل ندى يوما تنطق بالشهادتين، لتعم فرحته، ويزول خوف أمه التي رفضت ارتباطه بندى بسبب ديانتها، وكان هذه المشهد مختوما بطلبِ ندى من أحمد أن يجد مُعلِّما لريما يعلمها الدروس الدينية، فعرض أحمد على ريما أن يعلمها بنفسه، فقبلت، فكان هذا أيضا بابا جديدا للقاء الخاطبين، واستمرار النقاش الديني بينهما، ما أجمل أن يكون الحب مشفوعا بالدرس الديني! وأن يكون الدرس الديني مفعما بالحب! هكذا تكون الإسلامية التي تُسخِّر كل فعل لإرضاء الله، ولخدمة دينه وعباده.

وعندما حضرت ندى الدرسَ الأول مع ريما، كان حضورها من باب الغيرة، لكنها استفادت منه علميا، وبعد الدرس طلب أحمد منها طلبا غريبا، طلبا جعلها تخاف عليه وتتوتر "عديني... إن حصل لي مكروه ما... أن تقرئي كل يوم ربع ساعة من القرآن ... من أجلي..."[298] أسلوب تربوي جميل، يجمع الحب والعلم والدعوة، فقلب ندى تعلق بأحمد منذ اللقاء الأول، وازداد حبا وعشقا بعد الخطبة الرسمية، ولا شك أن الحبيب يُلبي طلب الحبيب، وندى تهتم بالإسلام، لكنها شديدة التمسك بيهوديتها، وأحمد حريص على إسلامها، فاختار الهدية بعناية، وطلب منها أن تقرأ القرآن لأجله، بعدما عرفت أنه يمر بمرحلة نفسية صعبة، لا شك أن هذا الأمر سيجعلها تهتم بالقرآن الذي نبهها أحمد إلى دوره في تفريج الكرب، وبيّن لها عظيم ثوابه. لقد كان لهذه الهدية دور آخر، حيث صاحبَ القرآنُ الكريم ندى حين سافرت إلى باريس، لم تقصد إحضاره معها، لكنها وجدته في حقيبتها، فتذكرت الوعد الذي أعطته لأحمد ونسيته فيما بعد، فقرأت وقتها ـ بعد الوضوء ـ أكثر من ربع ساعة، وعندما زارت ندى متحف (اللوفر)

---

[296] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.104.
[297] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.128،130.
[298] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.130.

ووصلت إلى مومياء محنطة تذكرت ما قرأته في أحد الكتب عن الإعجاز العلمي، وعادت بعدها لتقرأ قصة فرعون في القرآن الكريم، فتقدمت نحو الإسلام خطوة، بل خطوات.[299]

وكان لأسلوب أحمد البديع أثره الفعال على ندى، فهو متمكن علميا وتربويا، يخطط وينفذ، ومازال ينجح في ذلك، لقد جعلها تتعرف على السيرة النبوية، وعلى خصال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحميدة، فتعلقت به، وأحبته، ورأت فيه إنسانا عظيما، وكان أحمد قد أخبرها سابقا بأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوته،[300] ويريد أن يسير على خطاه، ولابد لها من تحديد قدوة لها، ونبهها إلى أن الزوج يمكن أن يكون قدوة لزوجه إذا ما كان ذا خلق ودين، فلما رأت من أخلاق النبي ما أعجبها اطمأن قلبها إلى أن زوج المستقبل سيكون على خلق عظيم، وسيكون ذا معاملة طيبة رحيمة، ولم تُخفِ ندى إعجابها بشدة حُبِّ المسلمين لنبيهم.

المقاومة... هل هي حكر على طبقة دون غيرها؟ أو ترتبط بدين دون غيره؟ اسمها المقاومة الإسلامية، ويفترض أن يكون أفرادها مسلمين، لكن استعانة المسلمين بغير المسلمين في أمر لصالحهم جائز شرعا، وارد في السيرة، لقد دخل النبي ـ عليه السلام ـ مكة عائدا من الطائف في جوار المطعم بن عدي وهو غير مسلم، واتخذ دليل الهجرة رجلا غير مسلم، هو عبدالله بن أريقط ،[301] وهذا أحمد يجعل ندى تشاركه في المقاومة، فهي الفتاة اليهودية التي تتكلم العبرية، وتلتزم بالزي اليهودي التقليدي، وتدعي بأنها تاجرة ألبسة، لقد أصبح عبور الحواجز اليهودية سهلا على أحمد، وأصبح تمرير السلاح الخفيف كذلك، فندى مقتنعة ـ مع يهوديتها ـ بشرعية المقاومة، وبوجوب دفع ظلم الاحتلال، وما كانت هذه القناعة لتذهب سدى لدى أحمد، إنه المقاوم الذكي الذي يستعين بكل ممكن لتحقيق هدفه، فكيف إذا اجتمع الحب والمقاومة والدعوة في هدف واحد! لقد "كانا يتواصلان بخصوص الدنيا والدين"[302] وكانت سعادتهما أكبر عندما حقق أحمد حلمه وأخبر ندى بذلك، ففتاة أحلامه تكون "امرأة بقلب رجل".

ولأننا نتحدث عن الواقعية، فإننا لا ننكر حدوث أمور سلبية في الواقع الحياتي للمسلم، فعندما عادت ذاكرة أحمد، وعرف بخطبة صديقه حسان لخطيبته ندى، وتذكر وجود صورتها مع أحد المساجين يوم التحرير، راح أحمد يبحث عن حسان حتى وجده، وانهال عليه ضربا وشتما، ولم يقبل بداية أي عذر منه، حتى إذا هدأ روعه، وسكنت جوارحه، شرع حسان بشرح الموقف بالتفصيل؛ ليدفع عن نفسه تهمة الخيانة، وتعود الحميمية بينهما، فيتلو ذلك انسحاب حسان من خطبة ندى، ليُتَوَّجَ الأمر باللقاء القديم الجديد، ويتزوج أحمد ندى.[303]

4.4.3. شخصية الأم

الأم هي الأم، يهودية كانت أم مسلمة، فهي مصدر العطف والحنان، وبيت الدفء والأمان، لكنّ صفات مختلفة تمتاز بها كل أمٍّ من غيرها، وقد تكون هذه الصفات الفارقة مكتسبة

---

[299] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.128،135،220.
[300] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.137.
[301] الخضري، محمد، *نور اليقين*، ص.67،79.
[302] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.195.
[303] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.372.

من الدين وتعليماته، فوالدة ندى اليهوديةُ كانت شديدة الالتزام بدينها، وتحاول ما استطاعت تطبيقَ تعليماته على نفسها وعلى أولادها، لقد غادرت تونس لأن الله كتب الشتات على اليهود كما تزعم، والشتات ـ عندهم ـ سبب لتكفير الذنوب، وهي ترضخ لذلك ولو كان قاسيا، فوالدة ندى مع رقة مظهرها "تغدو طاغية بلا رحمة"[304]، وقسوة الأم اليهودية التي تدعي تطبيق الشريعة اليهودية يُظهر لنا مدى رحمة الإسلام، وفطرته التي تتوافق مع الطبيعة البشرية، لقد هاجرت بأطفالها لأن الهجرة مكتوبة، ولأنها كفارة للخطايا، أما الإسلام فقد جعل التوبة من الذنوب متاحة في كل زمان ومكان.

لم تكن خطبة أحمد لندى سهلة على أمه، إذ كيف سيرتبط ابنها بفتاة يهودية، فشرعت بالبكاء، تلطم على فخذها وعلى صدرها، وعيناها لا تتوقفان عن البكاء، فتقوم ابنتها سماح بتصبيرها، وطمأنتها بأن ندى ستدخل الإسلام، وسيكون ذلك خيرا للجميع؛ لأن بقاءها على دينها سيجعل الخلافات بينها وبين أحمد كبيرة، وبالتالي يكون الارتباط مستحيلا، بهذا طمأنت سماح أمها قبيل أن يدخل أحمد حاملا خبرَ موافقةِ أهلِ ندى على طلبِهِ، تلك الموافقة التي قوبلت بمباركة خجولة من أمِّه، لم تكن أمُّ أحمد قاسية، ولا عديمة الرحمة، بل موقفها هذا صَدَرَ عن قلبٍ مُحب غيور، لا يرضى للابن أن يرتبط بصاحبة دين آخر، ولا سيما اليهود الذي يحتلون جنوب لبنان، ولم يتوقفوا عن المجازر بحق العرب، لم يكن فعلها متوافقا مع تعاليم الإسلام الذي حرم اللطم، لكنها توقفت عنه عندما حاورتها ابنتها سماح، وهذا الأمر واردٌ في معايير الواقعية الإسلامية التي لم تنكر ضعف الإنسان ووقوعه في الخطأ، لكنها أنكرت عليه استسلامه للخطأ، والانصياع له، وجعلت النهوض منه ممكنا، بل واجبا، وهذا ما قامت به ابنتها سماح عندما وعدتها بألا يفعل أحمد ـ البار بها ـ ما يغضبها، فهو يمر بظروف عاطفية وسيعود لعقله لاحقا.[305]

وتمر الشهور سريعة، لتُطرد ندى من بيت أمِّها بعد إسلامها، فيموت جورج وميشال مع عائلته، وتعود ندى إلى بيت أمِّها لتحضر العزاء، وبعد انتهاء العزاء، شرعت ندى كعادتها في كتابة كلِّ جديد لأحمد، فتدخل أمُّها غاضبة وتقول: "ما زلتِ هنا؟ ... أيام الحداد انقضت. لذا لا أريد أن أراكِ مرة أخرى في بيتي!"[306] كانت قبل العزاء في بيت ميشال، وميشال قد رحل، فتوجهت بحالتها الرَّثَّة إلى بيت سعاد، حيث غرفة أحمد وذكرياته، فوجدت عندهم حُسنَ الاستقبال، وطِيبَ الإكرام، كانت ندى تستشعر الثقلَ في إقامتها في بيت أهل أحمد، لكن كلمات طيبة تفوهت بها سعاد جعلتها في قمة السعادة "... أنت ابنتي الثانية، وستبقين كذلك"[307] سبحان الله! الأمُّ الحقيقية تطردها، وتلك الأمُّ التي رفضتها خطيبة لابنها تستقبلها حسن استقبال، وتجعلها كابنتها، إنها الرحمة الإسلامية، فتأمينُ الخائفِ، وإغاثةُ الملهوفِ، وإكرامُ الضيفِ، من صُلبِ الأخلاق الإسلامية وتعاليمها، وإن كان الضيفُ أو الخائف أو الملهوف على دين آخر، بهذا ترتقي الأمم وترتفع في مراقي الحضارة.

---

[304] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.33.
[305] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.80.
[306] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.243.
[307] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.244.

والأم لا تغيب وإن ابتعدت، فهي التي أوصى بها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثا عندما سأله رجل قائلا: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أبوك[308]، وهي التي جُعلتِ الجنةُ عندَ قدميها، وهي التي لا تستطيع النوم دون الاطمئنان على ولدها، فوالدة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ أمرت أخته بالبحث عنه ﴿وقالت لأخته قصيه﴾[309]

لقد تناثر ركابُ المركبِ المتهالكِ في الفضاء، وراحت الأمواج تبتلعهم واحدا تلو الآخر بلا رحمة، ذلك المركبُ المتهالكُ كان ينقل (نادرا) ورفاقه من جنوب البحر المتوسط حيث الوطن الحزين، إلى شمال البحر المتوسط حيث النعيم المنتظر، حاول نادر أن يتذكر عملا صالحا يدعو الله ـ تعالى ـ به، كما دعاه بعملهم الصالحِ الرجالُ الثلاثة من بني إسرائيل الذين دخلوا الغار وسُدَّ عليهم الباب، فراح كل واحد يدعو الله بصالح عمله حتى انزاحت الصخرة عن الباب وخرجوا،[310] لكنَّ ذاكرته لم تسعفه، فهو لم يكن مواظبا على عبادته كما ينبغي، بل كما كانت تريد أمه، فلم يجد من أبواب الاستجابة إلا أن يرحمه الله ـ تعالى ـ بأمِّه، ولأجلِ أمِّهِ " فألهمني الله دعاء أخيرا: اللهم ارحمني من أجلها"[311]

ومن واقعية الحياة التي نعيشها، أن نرى أمًّا تتخلى عن دورها النبيل في تنشئة أبنائها تنشئة صحيحة؛ بسبب انشغالها بالملذات والأهواء الشخصية، وهذا الأمر وإن كان خلاف غريزة الأمومة، غير أنه حاصل في المجتمع وواقع، والواقعية ـ كما سلف ـ هي تصوير الواقع كما هو، فوالدة ليلى (نجاة) انفصلت عن والدها، وأخذت معها إحدى ابنتيها التوءم، وعاشت في بيت أخيها الثري، وانصرفت نجاة بعدها إلى حياة اللهو والفجور، كانت سيئة المعاملة مع الآخرين، ولاسيما الخدم، لا يحبها أحد، تركت ابنتها تعيش حياة مفتوحة، بلا رقيب أو مرشد، تفعل كلَّ ما يحلو لها، ولم تجعل الكاتبة لها نصيبا في التوبة والعودة إلى الصواب، لكنها جعلتها تدفع ثمن استهتارها ومجونها، مرضت نجاةٌ مرضا خبيثا، لا علاج له، إنه مرض فقد المناعة، الذي تسببه العلاقاتُ الجنسية غيرُ الشرعية، وماتت بعد معاناة مع المرض، أما ابنتُها حنان فحملت من الزنا وهي دون الثامنة عشرة، واضطرت للزواج من ابن خالها مداراة لفضيحتها، فوقعت من حيث لا تدري في طمع خالها بها، فهي صاحبة إرث كبير، فقتلها بطريقة توحي بأنها انتحرت! لقد تأثرت ليلى كثيرا بموت أمها وأختها بهذه الطريقة، وعلى هذه الحالة غير الأخلاقية، لكنها الحكمة الإلهية، فلا بد للمذنب من دفع الثمن، لقد كان الثمن الذي دفعته نجاة وابنتها حنان غاليا جدا، إنه الموت على المعصية.[312]

---

[308] النووي، يحيى بن شرف، *رياض الصالحين*، ص.154.
[309] سورة القصص، 11/28.
[310] العسقلاني، ابن حجر، *فتح الباري*، 418/10، رقم الحديث 5761.
[311] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.32.
[312] حمدي، خولة، *أين المفر*، ص.235،241.

5.4.3. شخصية المغترب

يتعرض المغترب لمشكلات كثيرة، تختلفُ عما يعانيه في بلده الأمِّ، ولاسيما اغتراب المسلم في البلاد الأوربية، حيث تختلف الطبائع والعلاقات والعادات الاجتماعية، فهذه ياسمين التونسية ذهبت إلى بيت أبيها في فرنسا، فوجدت ما لا يَسُرُّها، لقد كانت زوجة أبيها ـ الثانية ـ ملحدة لا تبالي بمسألة اللحوم، لكنها اشترت اللحم الحلال من أجل الضيفةِ ياسمين، وقضية اللحوم في أوربا قضية شائكة عويصة لدى المسلمين هناك، إذ ينصرف اهتمام الحكومات إلى غير ما يهتم به المسلمون، مما يجعل قضية اللحوم مخيفة لديهم. شكرت ياسمين زوجة أبيها على هذه العناية، ولكن قلبها انكسر! فأخواها يأكلان لحما ليس حلالا!

والحجاب أيضا من الأمور التي تعاني منها المغتربة المسلمة، فياسمين فتاة متعلمة متفوقة، ملفها العلمي ممتاز، ولغتها الفرنسية سلسة، مما يعني أنها لن تعاني مما يعاني منه غيرُها، من حيث ضعف اللغة، لكن الحجاب بقي عائقا أمامها، لقد صارحتها المسؤولة الفرنسية بأنَّ ملفها ممتاز، وبأنَّها ستدعمه، لكن رأي اللجنة مجتمعةً لابد منه لقبولها، فياسمين أمام خيارين، إما الحجاب أو العمل لتمويل البحث العلمي الذي سافرت من أجله، وهنا تبرز شخصية المسلم الحق، فالحجاب للمسلمة غير قابل للنقاش "...سألتزم بلباس رسمي يحترم ما أمكن قوانين الشركة، لكن دون التنازل عن الحجاب" علما بأن ياسمين لم تُعانِ من الحجاب في فرنسا فحسب، بل خاضت حروبا في تونس عندما ارتدت الحجاب، لكنها كانت تظُنُّ أنَّها لن تعاني من حجابها في بلد الحريات (فرنسا).[313]

تمثل بلاد الاغتراب الأوربية فتنة للمسلمين عادة، وهذا لا يعني ـ ألبتة ـ أن جميع المغتربين يقعون في مصيدة هذه الفتنة، فالدكتور عمر الرشيدي مغترب مسلم من المغرب العربي، يتابع بحوثه وتجاربَه الكيميائية في فرنسا في مدينة (ليون)، كانت أبحاثه ترنو إلى الحصول على الطاقة النظيفة التي تُعد ضربا من الخيال العلمي، تتقرب منه فتاة فاتنة اسمها (كارولين) تحاول إغواءه وصداقته، لكنه يبادلها المشاعر الحارَّة بمشاعر باردة، لا يلتفت إليها، ولا يتكلم معها إلا بما يفي أسئلتها الكثيرة، بل لا يجيبها أحيانا؛ لأنه "يعلم أن ليس هناك على الأرض فتنة للرجال أقوى من النساء، وهي كانت من النوع الجذاب... وهو كان يعيش وحيدا"[314] ولم تقتصر هذه العلاقة الباردة على الفتيات فحسب، بل كانت سبيل عمر مع كل مَن تتسبب صحبتُهم بالمعصية، فلم يخالط عمرُ زملاءه بالعمل إلا للضرورة؛ لأنهم يشربون المشروبات المحرمة، بنى بينه وبينهم أسوارا منيعة، مما جعلهم يكيدون له ليلَ نهار، لكنه لا يهتم للآخرين كثيرا، إنه يريد أن يكون ناجحا، ويحفظ نفسَه من الفتن، ولأنّ الأخرين لم يتركوه وشأنه، راح وليد الراجحي ـ الجزائري الأصل ـ يُحَذِّرُهُ منهم، ومن خططهم ضده، وتبرز هنا غَيرةُ المغترب على المغترب، فيكون له عونا وسندا، ولا يتآمر مع الآخرين ضده، بل يحذره منهم "هناك أمور تحاك في الظلام... ليست بشرى خير... كان الله في عونك!"[315] قابل عمر

---

[313] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.36،40،41.
[314] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.48.
[315] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.51.

هذه الأخبار ببرودة أعصاب حسده عليها وليد: لا يهمني أمرهم، ولا أريد مجالستهم، بهذه الصَّرَامَة كان جوابُه، وما إن انتهى حديثهما حتى حضرت كارولين يسبقها عطرُها، تذكر وقتها فتاة رآها في القطار ـ هي ياسمين ـ ولم يعرف اسمها، ولا أصلها، لكنها مسلمة محتشمة، قارن بينها وبين كارولين، بَوْنٌ شاسع بين الفتاتين، من حيث الحشمة والحياة "حفظ الله بنات المسلمين"[316] وهكذا نجد أنَّ تَمَسُّكَ المسلم المغترب بدينه وأخلاقه في بلاد الغرب يجعله عامل قوة للمغتربين للآخرين، وسندا لهم، يقوون برؤيته، ويقتدون به، فهذه ياسمين التي تخلفت عن ركوب القطار ذاتَ يومٍ بسبب مرافقتها لوالدها، ولم ترَ عمر في ذلك اليوم ولم يرَها، هذه هي تعترف بهذا الشعور، إنها "... كانت في حاجة إلى نفس مسلمة تبدد الوحشة التي تحيط بها"[317] وكان هذا الشعور متبادلا مع عمر الذي لا يعرف اسم ياسمين ولا أصلها، لا يعرف عنها إلا أنها مسلمة، لقد "أصبحت الدقائق اليسيرة التي يقضيها برفقتها محطة يومية مميزة، تعطي يومه شحنة من الطاقة الإيجابية، واليوم لم تكن هناك، لا عجب أن نهارَ عملِه لم ينقضِ بصفة عادية. لازَمَهُ ضِيقٌ غريب..."[318] وهذا أمر تعرفه والدة ياسمين جيدا، لذا أوصت ابنتها أن تزور قريبتها الخالةَ (زهور)، فياسمين وإن كانت ستقيم بمنزل والدها، غير أن ذاك البيت لا يحمل الجوانب الإسلامية، فهي تريد لابنتها أن تطمئن بـ " أنها ليست المسلمة الوحيدة على الأراضي الفرنسية"[319]

لقد حرصت الكاتبة على إعطاء صورة مختلفة عن المغترب الملتزم بدينه، فهذه هي ياسمين، تصادف عمر مرة ثانية، وكلاهما يواظب على عادته اليومية، فالدكتور عمر يستمع للقرآن الكريم بصوت القارئ (العفاسي)، وهي تقرأ كتابا، يتفاجأ عمر الذي لا يعرف اسم ياسمين وأصلها، إذ كل ما يعرفها عنها أنها عربية مسلمة، يتفاجأ بعنوان الكتاب الذي تقرؤه، إنه عن الإمام الخميني، هي شيعية إذن! يتفوه بهذه الجملة بلسان عربي مبين يخترق أذنيها دون قصد منه، فيندم على فعلته، لكن الكلمة خرجت من فِيهِ ودخلت أُذُنَها، فتجيبه ياسمين بلسان فرنسي قائلة: لا، أبدا. تحاشت ياسمين الإجابة باللسان العربي؛ لأنَّ إجابتها ستكون شبيهة بالخلوة "وهي لم تكن تسمح لنفسها بذلك"[320] فالآخرون لن يفهموا حديثهما بالعربية، فكلاهما عربي في قطار كلُّ ركابِهِ أو جُلُّهم من الفرنسيين.

قد تجتمع بالإنسان صفات إيجابية عدة، فهذا عمر، باحث مجتهد خلوق، زاهد في السهر والسمر، مُعرِضٌ عن الفتيات وإغراءاتهن، يشاهد في القطار لِصّاً يحاول سرقة حقيبة عجوز فرنسية، تصرخ العجوز، تستنجد، الكل يلتزم الصمت، كل راكب مشغول بنفسه، همُّه أن يصل إلى بيته بالسلامة، لكن الشهامة تأبى على عمر الصمت والركون كغيره من الركاب، يقفز ليلحق باللص، يعيد المحفظة لصاحبتها بعد تخليصها من اللص، ويوصي العجوزَ بالحذر مستقبلا، ويقبض على اللص ليسلمه للشرطة، لقد كان قاسيا جدا عليه، وهل يمكن التعامل مع اللصوص باللين؟! ينفجر اللص باكيا، ويرجو عمر ـ بلسان عربي مبين ـ أن يتفهم أمرَه، فيزداد

[316] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.53.
[317] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.69.
[318] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.84.
[319] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.103.
[320] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.64.

عمر غضبا عندما عرف أنه عربي، فأمثال هذا اللص يعطون صورة سيئة عن المغتربين العربِ والمسلمين، لكن قصة اللص كانت حزينة، وأحسَّ عمر بصدقه، فأخذ منه وعْدا بألا يعود إلى السرقة ثانية، وراح يفكر بمساعدته في إيجادِ مأوى له وعمل كي لا يعود إلى السرقة مجددا[321]، فقساوة عمر عليه ليست نابعة من القسوة والغلاظة، بل من الدفاع عن الحق، إنه عمر الذي شهد حارس الشركة الليلي له بالخير" إنه إنسان جدي يستحق الاحترام"[322]

قد يكون الطموح سببَ التغيير في نفس المغترب؛ كما كان حال (كمال عبدالقادر) لكن أسبابا مختلفة قد تكون سبب التغيير، فـ (نادر) تعب كثيرا، وعانى كثيرا من البحث عن العمل، كما عانى في سبيل الحصول على إقامة رسمية، تشرَّدَ وضاعَ وشَاركَ العصاباتِ، أخيرا لجأ للسرقة؛ كي لا يموت على قارعة الطريق.[323] لقد عاش نادر حياةً مُرَّةً، بكلِّ ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ، لقد نجا من الغرق بقدرة الله العظيمة، ثم فرَّ من مركز الشرطة ليعيش أياما من التشرد الحقيقي، مأواه الشارع، ومأكله مما يستطيع اختلاسه من المتاجر الكبيرة، أما النظافة فلم يكن لملابسه وبدنه نصيب منها في تلك الفترة، وأخيرا يستقل القطار خلسة بلا تذكرة، ودون أن يعرف الوجهة الحقيقية للقطار، ومع ذلك نجا يومها من مفتش التذاكر إذ رمى نفسه من القطار ليفلت منه،[324] ولم تنته مأساة نادر هنا، ولم تكن تلك الفترة العصيبة مقتصرة على الطعام والشراب والمنامة والنظافة، بل كان نادر يحاول إيجاد عملٍ لنفسه، لكنه يُرفَض، ولم يقبل به إلا مروجو المخدرات والممنوعات، وهذه صورة مفصلة عما يعانيه بعض المغتربين المسلمين في تلك البلاد، معاناة لا يشعر بها إلا من عاشها أو شاهدها، لأنها تبدو للقارئ ضربا من الخيال أو الترفيه التراجيدي، لكنها عين الحقيقة وإن لم تنطبق على الجميع، كانت أيام ذوات عدد تمر على نادر دون طعام، حتى استجاب لدعوة أحدهم على بقايا المطاعم، سَالَ لُعَابُه على تلك الفضلات التي ترميها المطاعم، مما جعله يتقبلها بِنَهَمٍ قائلا لابنه الذي يكتب له رسائله: " الجوع كافر يا ولدي، ما من آفة تورث الإنسان ذُلَّاً وهَوَانَاً أشدَّ منه..."[325] كان نادر مجازا في اللغة العربية، ويجيد الفرنسية، حاول الاستفادة من هاتين الموهبتين، لكن صاحب الدعوة خيَّره بين العمل في النشل، أو التسوّل (الشحادة)!!!

الواقعية الإسلامية لا تنكر وقوع المسلم في الخطأ والمعصية، ولا تجعله معصوما أبدا، لكنها تنطلق من الخطأ لتعود إلى الصواب، وتجعل من المعصية بابا للتوبة، لم يكن نادر راضيا عن حاله وأفعاله، لكن الحاجة ألجأته إلى ذلك، فبعد فشله في جمع القمامة الموضوعة خلف المطاعم الراقية صرفوه إلى عمل آخر! إنه النشل، كان نادر يحترق من داخله، فهو ابن العائلة العريقة، أسموه نادرا لأنه الذكر الوحيد في عائلة كل أولادها من الإناث، أرادوه حاملا لعراقتها وأصالتها، فكيف له أن يقوم بأفعال تجعلُ والدَه وعمَّه يتألمان في قبريهما؟! فقلب نادر ما زال ينبض أصالة وشهامة، مع ما يعانيه من سوء العيش، كانت محاولة النشل الأولى فاشلة، أفشلها عمر الذي قبض عليه، وأشبعه ضربا وتوبيخا يومها، وتعهد بتسليمه للشرطة، لكن صِدقَ

---

[321] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.86.
[322] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.117.
[323] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.86.
[324] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.60.
[325] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.70.

نادرٍ وندمَه وشَرْحَه لحاله جعل عمرَ يتعاطفُ معه، طالبا منه تعهدا بعدم العودة،[326] لم يكن نادر غاضبا من عمر ألبتة، بل رآه رحمة مهداة إليه من الله ـ تعالى ـ خلَّصه من عمل لم يقتنع به يوما، ولم يَرضَ عنه "لعل الدكتور عمر كان مسخرا من الله تعالى ليُبعدني عن الطريق الخطأ، قبل أن أتمادى وأنجرف مع التيار..."[327] تلك هي المشاعر الصادقة للمغترب المسلم، يقدم العون ما استطاع إليه سبيلا، وينصرف عن الخطأ إذا ما جاءه التحذير والتنبيه، لقد كانت المحبةُ بارزة في معاملة عمر مع الآخرين، بدت في محياه وفي أفعاله، لقد دافع عن المرأة العجوز التي تعرضت للسلب، ووقف معها ضد ابن عِرقه (نادر)، إنه حب الخير الذي يقف مع الحق ضد الباطل، دون النظر إلى العرق واللون والدين، كما تنص الشمولية في الواقعية الإسلامية، فالعدالة في الإسلام تكون لمجرد العدالة، لكنه عندما عرف الحقيقة تعاطف مع المظلوم، الذي كان ظالما منذ قليل، لقد جعلت أخلاق عمرَ نادرا يسير وراءه دون تفكير، وهو الذي كان سيسلمه للشرطة منذ قليل، لأن عمر كان شخصا مختلفا، كانت "نظرة واحدة إلى محياه تورث بداخلك ارتياحا عميقا. ينتمي إلى ذلك النوع النادر من الأشخاص الذين يحملون هموم الآخرين في الغربة..."[328]

والغربة ليست كلمة سهلة، أو حالة طبيعية، بل هي انتقال الجسد من مكان إلى آخر، لتبقى الروح منقسمة بين جسد يطلبها لتكون معه، وأحباب تشتاق إليهم، يعيش المغترب بسبب هذا الانقسام آلاما لا يعرفها إلا من جربها، يشعر حينها بالملل أو اليأس، وقد يفعل ما لا يقتنع به، ويقع في الندم، لقد اجتهد نادر كثيرا ليصلَ إلى حلمه، الجنة الأوربية، لقد أَنِفَ من العمل في مهنة ليست مهنته؛ لأنه يحمل شهادة جامعية، لكنه بعد أن خاض غمار الموت، واحترف الهروب من مراكز الشرطة ودورياتها، وكاد أن يعمل بالنشل والسرقة بعد أن عافت نفسه الأكل من فضلات المطاعم، راح يستجدي مشرفي ورشات البناء ليعمل حمَّالا عندهم بأجر بسيط ، تدور في نفسه أفكار كثيرة، لماذا لم يعمل هذا العمل في بلده، بين أهله وأحبائه، لماذا أنف منه هناك ويستجديه هنا، بل ويفرح به؟! أسئلة لا جواب لها سوى البحث عن الحلم المستحيل، عن جنة الدنيا المفقودة![329]

لقد وجد نادر في عمر روحا طيبة، ونفسا مفعمة بالحب للآخرين، آواه وانتشله ـ قدرا ـ من السقوط في هوة النشالين، ودارت الأيام لتمتد إليه يدٌ جديدة ، إنه جابر الذي يشاركُ خمسةَ أفراد قبوا رطبا، كان ذلك القبو يفتقد كل مقومات الحياة، لم يكن جابر كعمر أبدا، لقد آوى نادرا مصلحة لا غير، فمشاركته سكنَهم يخففُ عنهم بعضَ عبئه المادي، فجابر مهاجر قديم، ذو خبرة في حياة المهاجرين، لذا صبر على نادر أسابيع ذوات عدد دون تذمر، حتى تعالجَ واستقامتْ حاله، ثم بدأ مسيرة البحث عن العمل حتى نجح، ليبدأ مسيرةَ ردِّ الديون التي تراكمت عليه، من أجرة المسكن والمطعم، لم يجد نادر في شركاء السكن الإلفة التي كان يتخيلها، أو يرجوها،

---

[326] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.89.
[327] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.88.
[328] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.91.
[329] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.125.

فالقانون الساري"كُلٌّ لنفسه"[330] والكل يتمنى للآخر ما يعيشه من ألم وعذاب، ولا يألو جهدا في التعدي على حق الآخر، حتى في مكان النوم الذي يشبه مقاس القبر.

والمغترب مضطر ـ غالبا ـ للعمل في مهنة ليست له، يعرف عنها قليلا، أو يتعلمها في غربته، أو هي لا تحتاج لخبرة أصلا؛ كالحمّال مثلا، وهذا ما قام به نادر المجاز في اللغة العربية، ثم دارت به الأيام وذهب مضطرا إلى شيخٍ ليعالجه، فعرض عليه تدريس اللغة العربية، لقد كانت فرحته عارمة، وسعادته لا توصف، فبعد خوض غمار النَّشْلِ، والعمل في تحميل مواد البناء، وبعد اليأس والتشرد، هذه هي شهادته ودراسته تظهر وتزهر من جديد، لتضعه في مكانه المناسب، في عمله المعشوق، في مهنته التي اختارها عندما كان في السِّن الذي يختار فيه الشباب سبيلَ حياتهم، لقد كان يتلقى الشكر من طلابه الكبار الذين كان يشعر بالامتنان لهم أكثر من حاجته لامتنانهم[331]، فهم سبب عودته إلى عمله الأصلي، وهم سبب نفض الغبار عن شهادته الجامعية التي تراكم فوقها غبار الزمن، ولوثتها الأعمال التي اضطر إليها غيرَ مرة.

ومن الأمور التي يعاني منها المغترب الانقسامُ بين رأيين أو موقفين، فالمغترب أو اللاجئ وجد في الغرب ملاذا آمنا، وحياة كريمة، إن أغفلنا الجانب العاطفي الروحي، لكنه يعلم أن الغرب ذاته هو سبب المآسي التي تعرض لها المغتربُ ذاتُه، فالغرب هو الذي نصب الحكام العرب، وأمدهم بأسباب القوة والقمع التي كانت سبب اللجوء أو الاغتراب، فإذا ألمت مُلِمَّةٌ بتلك البلاد، انقسم المغتربون هناك بين مؤيد لها مُتشَفٍّ من خلالها، لأنه يرى في تلك البلاد بلادا ظالمة عنصرية، وبين معارض لها، مدافع عن تلك البلاد التي حققت له بعضا من كرامة الإنسان التي افتقدها في بلادها الأصلية! هذا ما حدث بين المصلين ذات جُمُعَةٍ، عندما خطب الشيخ (المختار) عن حادثة الانفجار التي تعرضت لها الشركة التي يعمل فيها الدكتور عمر الذي أُتهِم بأنه منفذُ الهجوم الارهابي![332]

والمغترب يخالطه الشوق إلى العودة دائما إلا من نسي أصله، أو أجبر على ذلك، لقد اغتربت ندى في باريس بداعي الدراسة، لكن حالتها الصحية ساءت، فكان الحل بالعودة إلى لبنان، وعندما عانت ياسمين من صعوبة العمل، ومن الحالة الاجتماعية الصعبة التي يعيشها والدها مع زوجته، تعهدت بالعودة إلى تونس عندما تنتهي أزمة زوجة أبيها التي حاولت الانتحار،[333] كذلك رنيم المحامية الصُلبة التي لم تعان من الاندماج بالمجتمع الفرنسي، إلا أنها استجابت لرغبة والدها في العودة إلى مصر، وهذا نادر، بعدما تزوج واستقر عاطفيا، وصار له ولد (خليل) ولديه عمل وبيت مستأجر، بعد هذا كله أخبره الطبيب بمرضه الذي يُنذِر بقرب المنيّة، فعزم على العودة إلى الجزائر؛ لأنه لا يريد أن يموت غريبا، ترك زوجته نائمة بعدما اشترى تذاكر السفر خِلسة، وسحب طفله الرضيع من سريره، وغادر مسرعا باكيا، باكيا ديانا التي ستستيقظ على فاجعة سفر الزوج والولد الوحيد "ثلاث إناث شكلن خارطة الوجع في

[330] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.126.
[331] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.160.
[332] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.175.
[333] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.335،404.

غربتي، أمي التي ما جف الدمع على خدها منذ رحيلي، ديانا التي وثقتْ بي فسرقتُ بسمتها، ووأدتُ فرحتها، و(كارمن) الصغيرة التي نسيتها، والنسيان في حقها جريمة لا تغتفر"[334]

نجيب كامل، السفير ورجل الأعمال المشهور، انفصل عن زوجته نجاة، وتقاسما بنتيهما التوءم، حنان وليلى، كانت ليلى ـ صاحبة الحظ الأوفر ـ من قسمة أبيها، بينما كانت حنان من نصيب أمها التي استهترت بها وبنفسها، وكانت نهايتهما المعاصي والفجور. عاشت ليلى حياةً باريسيةً فاخرة، فالمكان باريس، والأب سفير، ثم رجل أعمال، وليلى وحيدته، فأعطاها كل حياته، ومع هذا نجدها محافظة على صلاتها وحجابها وقرآنها، تصعب أمامها الحياة فتلجأ للقرآن الكريم، لا تفوّت فرض صلاة، علما بأنها نشأت في باريس، وفي هذا ما يدل على أن التطبيق الصحيح للدين ممكن في كل مكان، وإن كانت البيئة الأخرى أشد صعوبة.[335]

6.4.3. شخصية الطالب

تحتل شخصيةُ الطالب مساحة كبيرة في روايات حمدي، وهذا النوع من الشخصيات يحمل كثيرا من الخصائص التي يتفرد بها، فالطلاب عادة يكونون من الشباب أصحاب القوة والهمة العالية، وهم في طور البناء النفسي، إذ يبدأ الإنسانُ في هذه المرحلة بتكوين انطباعاته، وتظهر ميوله وشخصيته، وفي هذه الفترة تتوضح مسيرة حياته غالبا، ومرحلة الشباب المبكرة أكثر أهمية، إذ يدخل الإنسان المسلم فيها مرحلة التكليف الشرعي، لينتقل من الطفولة إلى البلوغ، فيصبح مكلفا شرعا، ويُحاسب على الحلال والحرام، وتُفرض عليه الصلاة والصيام. في هذه المرحلة الخطيرة من الحياة كانت تعيش (ريما) ابنة الخمسة عشر عاما التي كفلتها أسرة يهودية بعد وفاة والديها، فكانت تلعب وتمرح مع يعقوب الذي يكبرها بسبعة عشر عاما، إلا أنها عندما وصلت سن البلوغ، ودخلت عامها الخامس عشر، تغيرت معاملتها مع يعقوب الذي رباها وصحبها سنوات طويلة في اللعب والنزهة والمرح، وصار كلامها معه مقتضبا بصوت خافت ومتردد، سألها يوما: كيف كان الدرس اليوم؟ فقالت: جيدا! ولم تعقب، مما جعل يعقوب يستغرب من جوابها، فهي التي "تحدثه عن كلام الشيخ في الدرس بالتفصيل، وتسرد على مسامعه كل ما تحفظه من دروسها، لكنها اليوم بدت ساهمة..."[336] وهذا ليس غريبا عندما ندرس الرواية من الناحية الإسلامية، فالإسلام لا يجيز للرجل أن يختلي بالمرأة، ولا أن يكلمها دون حاجة، ولا أن يلمسها. هذا ما تعلمته ريما في المسجد، وهذا ما أرادت تطبيقه، فالمرأة أكبر فتنة للرجل، يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"[337]

تسافر ندى إلى تونس بعد اختفاء أحمد يوم تحرير جنوب لبنان، تلتحق بالجامعة هناك، يتغير كل شيء في حياتها، فتعيش ألما دائما، فذكريات ريما، وذكريات أحمد، وذكريات العمل مع المقاومة، كلها حاضرة معها دائما، وتعيش آلامها، تبوء محاولات الأمِّ في الترفيه عنها بالفشل، لكن اتصالا مفاجئا يأتيها من أحد أساتذتها في الجامعة، مبشرا بقبولها في المنحة

---

[334] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.308.
[335] حمدي، خولة، *أين المفر*، ص.20،238،261.
[336] حمدي، خولة، في قلبي أنثى عبرية، ص13.
[337] العسقلاني، ابن حجر، *فتح الباري*، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2001، ط1، 41/9.

الدراسية في فرنسا، لعلها فرصة التغيير والخروج من هذا الواقع المؤلم، ستسافر ندى لتدرس هناك وترتاح من هذا الألم، فـ "كل أنبياء الله هاجروا حين ضاقت بهم السبل، هي لن تهاجر بدينها، لكنها سترحل بحثا عن سلامها الداخلي"[338] فالهجرة من فعل الأنبياء، لكن هجرة أمها من تونس إلى لبنان كانت لسبب آخر، كانت لتكفير الذنوب، ولأن اليهود قد كُتب عليهم ذلك، وشتان بين الأمرين، فالهجرة هي الهجرة، لكن النية مختلفة، والأعمال في الإسلام بالنيات "إنما الأعمال بالنيات ..."[339] صحيح أن ندى لم تدخل الإسلام، لكنها الآن أقرب إليه من اليهودية، فهي منذ تعرُّفِها على أحمد وربما تعرفتْ على كثير من أخلاق الإسلام، وتعاليمه وألفاظه وتاريخه، فهي ما تزال يهودية لكنها تتصرف كمسلمة.

والطالب المسلم يعطي الدرس والبحث حقه، فيصرف وقته واهتمامه عليه، ولا ينظر للمغريات والعواطف الأخرى، فهذا عمر الرشيدي، دكتور مسلم مغربي يتابع أبحاثه في فرنسا، في مدينة (ليون) تحديدا، تراه في مخبره الكيميائي جُلَّ وقته، يبقى فيه ساعات طويلة، حتى بعد انتهاء ساعات العمل الرسمية، ينكبُّ على مجهره، يجرب ويحلل ويضيف ويغير، ويسجل في النهاية نتيجة كل تجربة؛ ليباشر في اليوم التالي عمله من حيث انتهى، بحيث لا ينسى شيئا مما توصل إليه في اليوم السابق، تراه مُعرضا عن إغراءات (كارولين) التي لا تتوقف، ولا تفتر.[340] لقد عانى كثيرا منها ومن إغراءاتها، ليس منها فحسب، بل من الفتن تحيط به من كل جانب، فالدعايات والأماكن العامّة مليئة بالفتن، لكنه صامد في وجهها، حتى إنه "حكم على نفسه بالعزلة في سجنه الاختياري، وولى للعالم الخارجي ظهره، إلا عن اضطرار"[341] حضر عمر احتفالا لزملاء العمل في الشركة، وعندما فتحت زجاجة (الشامبانيا) تسلل من الاجتماع دون أن يلحظه أحد، خرج مضطربا كعادته كلما ارتكبت معصية أمامه،[342] وعندما انضم عمر إلى (مهندسين بلا حدود) أعطى عمرُ تلك الهيئةَ حيوتها بعدما خَبَتَ أداؤها، وصارت ملاذا للفاشلين.

محمد طالب من أصول عربية، تحمل أسرتُه الفقيرةُ الجنسيةَ الفرنسية فحسب، يسكنون في حي مهدد بالإزالة، مانَعَ محمدٌ الشرطةَ التي جاءت لتشرف على إخلاء البيوت من سكانها الفقراء، فأدخل السجن، استنجدت أخته مريم بالمحامين واستجدتهم ليدافعوا عن قضيتهم، لكنها لم تجد آذانا صاغية، اجتمعت المصائب على ذلك الطالب المتفوق المسكين، توفيت أمه، وأصيب أبوه في أثناء العمل، ففقد عمله وبصره، فاضطر محمد إلى ترك دراسته ليعمل، لعله يكفي أباه وأخته مؤونة الحياة، فجاء قرارُ هدمِ البيت الذي مانَعَه ودخل السجن بسببه، والمحامون لا يوافقون على تبنِّي قضيتهم والدفاع عنها أمام المحاكم؛ بسبب أصولهم العربية، ولم تشفع لهم جنسيتهم الفرنسية، أخيرا ولظروف غير إنسانية قبل خليل المحامي ـ الذي يشارك عائلة محمد أصلها العربي ـ أن يدافع عن قضيتهم في المحكمة، فزارَ محمداً في السجن، ووجد

---

[338] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.206.
[339] السيوطي، جلال الدين، *سنن الترمذي*، 58/1، رقم الحديث 75.
[340] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص..48.
[341] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.49.
[342] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.9.

الكتابة قد ملأت يديه، إنه يكتب المسائل الحسابية على يديه إذ لا يجد في السجن الورقَ اللازم لذلك! إنها الهمة العالية التي لا تتوقف مهما صعبت الظروف، وتعددت العوائق.[343]

5.3. في رحاب الأسماء الروائية

اختيارُ الكاتبِ لأسماء الشخصيات الروائية ليس اعتباطيا غالبا، فللاسم ومعناه دور في طبيعية الشخصية، وهذا أمر يسير عليه روائيون كثر، ومنهم الروائية خولة حمدي، إذ كانت رواياتها حافلة بالأسماء التي تدل على طبيعة الشخصية غالبا، وسيتناول الباحث أسماء الشخصيات المسلمة فحسب، وهذه الأسماء قسمان، قسم يحمل طابعا إسلاميا، كأسماء الأنبياء والصحابة، وقسم يحمل معاني لغوية تتطابق ـ غالبا ـ مع مكنون الشخصية، وهذا يعني وجود أسماء حملت صفات مضادة لما تحمله من معان.

1.5.3. الأسماء ذات البعد الديني

أحمد، ورد هذا الاسم في روايتين اثنتين، وهما (في قلبي أنثى عبرية) و (أين المفر) وكانت شخصية أحمد في الرواية الأولى شخصية رئيسة، تتقاسم البطولة مع (ندى) و(ريما)، هذه الأسماء الثلاثة التي صرّحت الكاتبة بتقاسمها بطولة الرواية عندما دوَّنت ذلك في الإهداء الذي تصدر الرواية، معترفة بدور هذه الشخصيات في تغيير حياة الكاتبة. أما شخصية (أحمد) في رواية (أين المفر) فكانت شخصية ثانوية .

أحمد من أسماء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ[344]، وقد ورد صريحا في القرآن الكريم على لسان نبي الله عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾[345] وفي القاموس المحيط "أحمد: صار أمره إلى الحمد، أو فعل ما يُحمَد عليه"[346]، وأحمد "كثير المحامد، أصبح محمودا"[347] والمتتبع لسيرة أحمد في رواية (في قلبي أنثى عبرية) يجد تطابقا مطلقا بين شخصية أحمد وما يحمله اسمُه من صفات، لقد جعل أحمدُ النبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوتَه ومَثَلَهُ الأعلى، بهذا أخبر ندى غير مرة، كان أحمدُ طالبا في كلية الهندسة عندما انضم إلى المقاومة اللبنانية؛ لتحرير الجنوب اللبناني من الإسرائيليين، فجمع بين الدراسة والجهاد، وعندما ساقه القدر إلى بيت ندى يوم تعطلت السيارة التي كانت تسعفه أمام بيتها، لم يغادر خاليا، بل تعلق قلبه بـ ندى تلك الفتاة اليهودية الملتزمة بدينها وأدبها وإنسانيتها، وعاد أحمد بعد أيام إلى الكنيسة التي يخدمها (ميشال) الذي استدعته ندى لإسعاف أحمد؛ ليشكره ويشكر ندى على حسن فِعالهم معه، ثم أرسل أخته (سماح) لتزور ندى وتشكرها، وعندما حاصرت الوالدةُ ابنتها ندى ومنعتها من الالتقاء بالمسلمين، جاء أحمد إلى والد ندى (كفالةً) ليخطبها لنفسه، وقُبِل طلبه! لقد أصر أحمدُ على خطبة ندى ودعوتها إلى الإسلام بصدق، لقد جعلها تحب الإسلام بطريقة علمية تربوية أخلاقية، فهو الشاب الصادق العفيف، الذي لا يعرف

---

[343] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.15،80.

[344] ابن منظور، جمال الدين، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، مادة (حمد).

[345] سورة الصف، 6/61.

[346] الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، *القاموس المحيط*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ط8، مادة (حمد)

[347] الحتّي، حنا نصر، *قاموس الأسماء العربية والمعربة*، دار الكتب العلمية، بيروت،2003، ط3، ص.27.

التعب، وهو جاد في حياته، مخلص في عمله، متقن له، يعرف كيف يعرض أفكاره، وكيف يقنع جليسه.

عندما بدأ بتعليم ندى الدينَ وضعَ خطة تربوية مُحددة الشروط، بحيث لا يدع الوقت يذهب سدى، ولا الدرس يسير سيرا عشوائيا، فلا أحد يطرح الأسئلة إلا ندى، ولا يختلي بـندى أبدا، إذ لابد من وجود طرف ثالث دائما. أما عمله مع المقاومة فيؤديه على أتم شكل، لقد حزن يوم إصابته؛ خوفا من أن يكون العدو قد انتبه إليه، وأفشل خطته باكتشاف أجهزة التنصت التي وضعها مع زملائه، وهو في مرة أخرى يجافيه النوم خوفا من وقوع خطأ ما في عمله الجهادي ذاك اليوم، وخوفا على أصدقائه من الوقوع في الأسر، تهمُّه كثيرا عودتُهم سالمين. بعد خطبته ندى قدم لها هدية معتذرا عن تقصيره معها؛ لأنها لم تره يوم زارتهم في بيتهم؛ لانشغاله بصديقه (حسان) الذي وقع أسيرا، كانت تلك الهدية منتقاة بعناية، كانت نسخة من القران الكريم، وكتابا مبسطا في السيرة النبوية، ووجَّه يومها ندى لتبدأ بقراءة السيرة النبوية قبل القرآن الكريم، لتفهم الدين من خلال سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولأن لغة كتاب السيرة بسيطة يسهل فهمها، وعندما طلبت منه ندى معلما دينيا لـ (ريما) تبرع بنفسه ليعلمها، ولم يبخل، مع انشغاله بالدراسة والمقاومة، إنه يريد أن يحصل على أكبر قدر ممكن من الفوائد، يعلّم ريما ويكون قريبا من ندى. كان أحمد طيبا وحنونا، حتى راحت ريما تغبط ندى عليه، أنت محظوظة يا ندى! أنت محظوظة بأحمد! كم هو طيب وحنون...، حتى كادت ندى تغار عليه من ريما، فهو ـ كما تصفه ندى ـ واسع الصدر، يتسم بالصبر والأناة، و لديه أسلوب جميل في الشرح وإيصال المعلومة، يتمالك نفسه، ويردُّ بهدوء وعن دراية وتمكّن، عيونه حانية، وابتسامته وديعة لا تفارق شفتيه، ويتكلم بهدوء ورفق.

وعندما مرضت ندى وغاب وعيُها حزنا على ريما التي ماتت بصاروخ إسرائيلي، راح أحمد يقرأ القران عند رأسها باستمرار؛ حتى تستعيد عافيتها، وعندما استفاقت ندى وعلمت بموت ريما أخذ يصبرها ويصف ريما بالشهيدة الحيّة عند ربها؛ للتخفيف عن ندى.

هذه هي الصفات التي تحلى بها أحمد في سيرته ضمن الرواية، ولم يشذ عنها أبدا، كان طيبا مع والديه، ومع أخته سماح التي تحبه كثيرا، أما أمه التي حزنت بسبب ارتباطه بفتاة يهودية فلم يتركها، وبقي يلاطفها ويحسن إليها حتى رضيت، غير أن أحمد يوم تحرير الجنوب أُصيب برأسه، وفَقَدَ ذاكرته، واعتنق ـ بلا وعي ـ المسيحية، لكنه ما إن عادت إليه ذاكرته ـ بعد عناء ـ حتى رجع إلى صوابه وإسلامه، وارتبط بندى، لتنتهي الرواية يوم الزفاف.[348]

أما الشخصية الثانية التي تحمل اسم (أحمد) فكانت في رواية (أين المفر)، وكانت شخصية ثانوية، لكنها إيجابية، استقبل أحمدُ (ليلى) التي كانت تُحاك ضدها المؤامرات من قِبَلِ خالها، وكان يترك بيته في المساء؛ ليترك لها حرية العيش في بيته مع زوجته.[349]

[348] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.44،48،104،105،117،128،130،133،137،386.
[349] حمدي، خولة، *أين المفر*، ص.343.

يعقوب، ورد هذا الاسم مرة واحدة في روايات خولة حمدي، وفي روايتها (في قلبي أنثى عبرية) تحديدا، ويعقوب في الرواية شخصية يهودية إنسانية، واسم هذه الشخصية مستوحى من اسم نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ، ويعقوب في اللغة من له عَقب أو ولد،[350] وقصة يعقوب مع أبنائه الذين أَبعَدُوا أخاهم يوسفَ ـ عليه السلام ـ عن أبيه بالمكر والخداع مشهورة، وهذه القصة نجد لها ظلا جرى مع يعقوب الذي أبعدَ عنه ريما مرغما.

يعقوب (جاكوب) هو كفيل ريما، لقد كانت والدة ريما تعمل مدبرة منزل في بيت عائلة يعقوب، أوصته بابنتها الوحيدة ريما وماتت أمها وهي ـ ريما ـ في التاسعة من عمرها، لقد أحسن يعقوبُ تربيتها كما أوصته أمها، وقدم لها كل ما تحتاجه، لقد كان أبا حقيقيا لها، لكنه أصيب بما أصيب به نبي الله يعقوب عليه السلام، لقد كان يوسف عليه السلام أحبَّ إخوته إلى أبيه، كذلك كانت ريما، فهي أحبُّ إلى قلب يعقوب من أبنائه الصُلبيين " كم يحب أن تناديه بابا يعقوب"، كان ليعقوب والدان من صلبه، لكنَّ أمهما جعلتهما ينصرفان إلى الدراسة، فلم يشعر يعقوب بحاجتهما إليه "ولم يكن هناك سوى ريما، هي وحدها تُشعره بحاجتها إليه وإلى رعايته... لا تزال تستحوذ على القسم الأكبر من اهتمامه، لأنها تبقى في نظره الشخص الأقرب إلى قلبه ومحرك مشاعره..."

وعندما وصلت ريما سن البلوغ، وارتدت الحجاب الإسلامي، وأصبحت تتجنب مصاحبة العائلة في النزه، غضبت زوجة يعقوب جدا، وتركت البيت مع ولديها، مشترطة طرد ريما من البيت مقابل العودة! رضخ يعقوب لشروطها مكرها، وأرسل ريما إلى أخته في لبنان، وحزن عليها حزنا شديدا، فإن كان يعقوب ـ عليه السلام ـ قد ابيضّت عيناه من الحزن على يوسف ـ عليه السلام ـ فإن يعقوب (جاكوب) قد بكى ريما التي ماتت بعيدة عنه وحيدة في غربتها، لقد بكاها حتى جفت مآقيه، وسافر فور موتها إلى لبنان؛ ليُحضرَ أشلاءها إلى تونس، ويدفنها قرب قبر أمها؛ ليقدم إليها بهذا العمل الخدمة الأخيرة.

كان دعاء ريما الدائم ليعقوب بالهداية، وإقامة ندى المسلمة في بيته شهورا، وإسلام ابنته (سارا) على يد ندى، كان ذلك كله دافعا ليعقوب ليفكر، ثمَّ يفكر، ويدعو الله لنفسه بالهداية ومعرفة الصواب، حتى أزهرت تلك الأسباب مجتمعة، وأعلن يعقوب إسلامه أخيرا.[351]

عمر، حمل هذا الاسمَ شخصيتان في روايتين مختلفتين، الدكتور عمر في رواية (غربة الياسمين) والدكتور عمر ـ أيضاً ـ في رواية (أين المفر). كان الشخصية الأولى رئيسية، فيما كانت الثانية ثانوية. و(عمر) اسم الخليفة الراشدي الثاني، كان معروفا بالحزم والشدة، وبالاجتهاد والهمة العالية، وبالعدل، لكنَّه ـ مع عدله ـ قتل مطعونا على يد أبي لولوة المجوسي، كذلك كان العمران، فالدكتور عمر في (غربة الياسمين) باحث مسلم، من مراكش المغربية، يقيم في مدينة (ليون) الفرنسية حيث عمله، يحمل من الصفات ما يجعله مكانَ إعجاب شديد لدى المنصفين الموضوعيين، ومصدرَ حقدٍ وكُرهٍ لدى المبغضين الحاقدين، كان عمر شديد الالتزام

[350] ابن منظور، جمال الدين، *لسان العرب*، مادة (عقب).
[351] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.12،15،16،17،18،31،70،167،283،306.

بدينه، فهو لا يجتمع مع زملائه في العمل إلا للضرورة؛ كي لا يعتاد على المعاصي، ولا يشهد شرب الخمر أو أخواتها، يخرج من اجتماعاتهم إذا ما فتحت زجاجات الخمر، كان مكان عمله محاطا بالبحيرات والكهوف والغابات، تطل عليه جبال (الألب)، ومع ذلك كله لم يخرج للتنزه في سنواته الخمسة التي قضاها هناك سوى مرات قليلة لم تبلغ عدد أصابع اليد الواحدة! كانت نفسه تضيق بما يراه من مغريات في الشوارع، وفي الأماكن العامة، وعلى واجهة الصحف والمجلات، من الصور المثيرة، كان يُشغل نفسه في رحلته اليومية بقطار الأنفاق بالاستماع إلى القرآن الكريم، كان حريصا على صنع عالمه الخاص، وعندما واجهته مشكلة إعفاء لحيته كان عليه أن يُثبت براءته من الانتماء إلى جماعات إسلامية متشددة، فانتسب إلى (مهندسون بلا حدود) التي كانت ملاذا مثاليا للطلاب الكسالى، لكن عمر بحيوته وجديته أعاد لها روحها ونشاطها، فكانت المنظمة ـ في الوقت الذي عمل فيها عمر ـ أكثرَ عطاءً وفائدة!

وعمر شديد الاهتمام بعمله، تراه دائما في مختبره مُنكَبّاً على مجهره، يجرب ويعدل ويسجل نتيجة كل تجربة، لكنه كان يتعرض لإغراءات كثيرة من (كارولين) التي وظفها الزملاءُ الحاقدون لمراقبته، وكان عمر يصمد ـ مع ما كان يشعر به من الوحدة وانعدام الحياة العاطفية ـ أمام إغراءاتها الكثيرة التي لا تتوقف، كان اجتهاده وانهماكه في العمل سببَ حقدِ الآخرين عليه، هكذا أخبره زميله وليد الراجحي "إنهم يكيدون له"! كان عمر شهما مقداما، يشهد يوما حادثة سلب وسرقة في القطار، صَمَتَ جميعُ الركاب في ذاك الموقف، وتركوا الضحية (المرأة العجوز) تصارع اللص (نادر) وحدها، إنهم لا يريدون التدخل؛ كي لا ينالهم أذىً ما، لكن عمر هبَّ لإنقاذ المرأة العجوز، وأمسكَ باللص العربي (نادر)، كان عمر شديدا معه، ضربه وقرر تسليمه للشرطة، لكن دموع نادر وقصته التي حكاها لعمر جعلته يتراجع عن عزمه بعدما استشعر صدقه، وأخذ منه عهدا بالتوبة، أخذه وأطعمه وسعى في إيجاد مأوى له ليبيت فيه، فلمَّا فشل في إقناع إمام المسجد بإيوائه، قرر إيواءه في بيته.

وأخيرا نفَّذَ المبغضون مُخططَهم، ونفذوا التفجير على يد عمر دون علمه، كان ذلك بإضافة موادَّ كيميائية جديدة على مواد تجربته، كان عمر حزينا على ما جرى، إذ توفي ثمانية من زملائه وهم في حالة لَهْو، كما كان صادقا في أجوبته عن أسئلة المحقق الذي اتهمه بالكذب والتلفيق، وعندما زارته محاميته المسلمة (رنيم) كان شديدا معها؛ فهي لم تُبدِ قناعتها ببراءته بداية، كما كان للباسها الغربي ومظهرها التحرري دورٌ بارزٌ في قسوته معها، حتى كاد أن يطردها من غرفته، لكن هذه الصرامة كانت مفيدة؛ لأنها كانت سببا في تغير رنيم تدريجيا، لقد زارته في المرة الثانية بلباس محتشم وحاربت في الدفاع عنه.[352] لقد كانت نهاية الدكتور عمر السجن ظلما، كما انتهت حياة سيدنا عمر بن الخطاب بالقتل ظلما وغدرا.

أما الدكتور عمر في رواية (أين المفر) فقد كان أستاذا جامعيا، أحبَّ طالبتَه ليلى، وسافر من فرنسا إلى البلد العربي الذي انتقلت إليها ليلى؛ للقاء أبيها هناك، وخطبة ابنته منه، حسب الأصول الإسلامية، لكنّ مَرَضَ الأبِ ووفاتَه المفاجئة، وتشعُّبَ القضايا التي فتحت أمام

[352] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.9،10،11،47،50،58،60،82،88،91،150،154،168.

ليلى جعلتْ مهمته تصطدم بجدران منيعة، فاكتفى بتقديم طاقة الورد للمريض، وعاد خائبا، خالي الوفاض.

2.5.3. الأسماء ذات البعد اللغوي

ندى، البطلة الثانية في رواية (في قلبي أنثى عبرية) بعد أحمد، بل هي الأنثى العبرية المقصودة في عنوان الرواية، واسم ندى يعني العطاءَ والكرم،[353] والندى ما أصابك من البلل، وندى الخير هو: المعروف.[354] لقد كانت هذه الشخصية تحمل من الصفات ما يحمله اسمها من المعاني، بدأ دورها في الرواية عندما تعطلت سيارة أحمد وحسان أمام بيتها، قدمت لهما الإسعافات الأولية بمساعدة أخيها ميشال، واستضافتهما في مستودع البيت، حيث يتعذر استقبالهما في البيت، أحضرت لهما ـ بعد تضميد الجرح ـ العَشَاء، ثم الأغطية السميكة لأن الليل بارد، وفي الصباح قدمت لهما الحليبَ مع بعض المعجنات المصنوعة في البيت، قبل أن يغادرا البيت، صمدت ندى أمام عتاب أخيها ميشال لها على استقبال الغرباء، وكذبتْ مضطرة لتُبعد عيونَ أختها (دانا) ـ المختلفةِ عنها في الرأي ـ عن النزلاء، لقد كان استقبالها لهما مغامرة حقيقية، فلو علمتْ أمُّها بما فعلتْه لما مَرَّ الأمرُ على خير، كل ذلك فعلته بدافع إنساني خالص، قالت ذلك لأحمد صراحة عندما سألها عن سبب مساعدتها لهما مع اختلاف الدين، فهي يهودية وهو مسلم! قالت" وما شأن ديانتي بالعمل الإنساني؟".

وعندما حلَّت ريما ضيفة في بيت ندى، كانت ندى أول المرحبين بها، بل كانت الشخصَ الوحيدَ الذي ترتاح له ريما وتشعر بالأمان معه، قاسمتها غرفتها وسريرها وخزانتها، وعندما أرادت أمُّ ندى (سونيا) طَردَ ريما من البيت بادرتْها ندى قبل أن تنطق بالحكم "لا... أرجوك لا تفعلي هذا، ريما ستظل عندنا!" وبعد أن انتقلت سونيا للخيار الثاني، وهو الإقامة مقابل خدمة البيت خدمةً كاملة، لم تستطع ندى الدفاعَ عن ريما أمامَ صرامة أمها الشديدة، فما إن خرجت أمها من الغرفة حتى عانقتْ ندى ريما، واحتضنتها، وأخذتا بالبكاء، ريما تبكي من القهر والمذلة، وندى تبكي قلة حيلتها، وعجزها في الدفاع عن صديقتها أمام ظلم والدتها! وعندما خرجت ندى للتسوق وتأخرتْ في العودة وصفتها (سونيا) بالكسل، بينما خرجت ندى للبحث عنها، لكن ريما رحلتْ إلى العالم الآخر، فدخلتْ ندى في غيبوبة حزنا عليها، وعندما استفاقت وعلمت بموتها تألمت، وبكت، ونادتها نداء الروح للروح "ريما، لا تذهبي أرجوك...لا تتركيني... سأحميك من كل شر، سأكون معك دائما... فقط عودي!"

وعندما سافرت ندى إلى تونس؛ لتقيم عند أبيها الذي اعتذر عن استقبالها في بيته خوفا من زوجته، أقامت في بيت يعقوب (كفيل ريما)، وراح يعقوب يسأل ندى عن ريما وحياتها في لبنان، هل كانت سعيدة هناك أم لا؟ لم تتكلم ندى وقتها عن عذابات ريما في لبنان؛ كي لا تزيد الجراح في قلب يعقوب، بل اكتفت بقولها : ريما كانت تحتفظ بصورة جميلة عنك، كانت تذكرك بكل خير. لقد وجدت ندى في سارا ابنة يعقوب صديقة جديدة، فمَعَ صِغَرِ سنِّها كانت سارا نابغة

---

[353] الحتّي، حنا نصر، *قاموس الأسماء العربية والمعربة*، ص.102.
[354] ابن منظور، جمال الدين، *لسان العرب*، مادة (ندي).

في الذكاء، فراحت ندى تشرح لها كلَّ ما أشكل عليها في الإسلام، من حِكمة الحجاب، وكيفية زواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهي في سن التاسعة، وراحت تدافع عن الإسلام المتهم بالإرهاب، وبكُرْهِ اليهود، ثم شرحت للعائلة جمعاء كيفية انتشار الإسلام، وصححت المفهوم الذي ينص على أن الاسلام انتشر بالسيف!! وعندما شكا لها يعقوبُ الموظفةَ التي تبرعت بالألبسة عن طريق إمام المسجد، راحت ندى تشرح ليعقوب الأخطاء التي وقعت فيها العاملة، فهي ـ أي العاملة ـ أخطأت التصرف، وأخطأت بنشر الخبر، وأخطأت إذ رفضت الاعتذار، وبينت له أنها تتحمل الخطأ وحدها، وأن الإسلام لا يتحمل خطأ الأفراد وإن كانوا مسلمين، لقد قررت ندى ألا تخرج من بيت يعقوب دون تركِ أثر، وقد فعلت، لقد أسلمت سارا ابنة يعقوب على يديها، و جعلت يعقوب يتقدم خطوة نحو الإسلام، ليعلن إسلامه فيما بعد.

أما في سفرها القصير إلى فرنسا فقد تركت صورة طيبة عنها وعن الإسلام، فهي عندما كانت في فرنسا كانت ماتزال تدين باليهودية، لكنها راحت تشرح لزميلتها الإيطاليةِ عن الإسلام. أما أم أحمد (سعاد) وأخته (سماح) فقد وجدتا في ندى ما جعل أمَّ أحمد تقتنع بها زوجة لابنها بعد رفضها الشديد لها؛ بسبب اختلاف الديانة، وعندما أسلمت ندى ضربتها أمها، وطردتها من البيت، ومع ذلك فقد عادت إليها ندى لتخدمها، وترعاها صحيا، وكانت عطوفا عليها أكثر من أختها دانا التي لم تُعانِ ما عانته ندى من أمها. لقد حزنت ندى كثيرا على غياب أحمد، واستمر حزنها بعد عودته فاقدا للذاكرة، لكنها بدأت حربا نفسية جديدة وشديدة بعد عودة الذاكرة إليه، احتار قلبها بين أحمد وحسان، بين خاطبها الأول والثاني، لكن انسحاب حسان من السباق جعل الطريق أمام الحُبِّ القديمِ الجديدِ سالكا.

لم يكن غياب أحمد سهلا على أحد، فأمُّه أقعدها الحزنُ عليه، وأبوه أتعبه البحثُ عنه، وندى أضناها غيابُه، لكنها ـ مع ذلك ـ كانت تكتب له كل شيء عنها، وتكتب له عما يجري معها، وترسل تلك الرسائل إلى بيت القرية الخالي من السكان، لتكون تلك الرسائل الموثِّقة لما يجري سببا بارزا من أسباب عودة الذاكرة لأحمد في النهاية. لقد كانت ندى ندى خيرٍ على الجميع، كل من عاش معها رأى فيها الطيبة، والبر، والخير، والروح الإيجابية، تتعامل بحب، وتدافع عن أفكارها الإيجابية بحكمة، وتنصح الآخرين بما تعرف، وتواسي الحزين في وقت تحتاج فيه إلى من يواسيها. لقد كانت حقا متوافقة مع اسمها.[355]

ريما، البطلة الثالثة في (في قلبي أنثى عبرية)، والريمة هي الغزالة البيضاء[356]، لقد كانت ريما كذلك، فهي الطفلة اليتيمة الضعيفة، لكنها القريبة إلى القلب، توفي أبوها وهي صغيرة، وماتت أمها وهي في التاسعة من عمرها، كفلها يعقوب الذي كانت أمُّها تخدم في بيتهم، وأحسن تربيتها، لكنها ـ مع إحسانه إليها ـ تبقى بلا أب وبلا أم! غضبت عليها ربة البيت ـ زوجة يعقوب ـ عندما ارتدت الحجاب؛ خوفا من تأثر ولديها بها، وعندما ضاقتْ بها ذرعا وصفتها بأنها بنت سيئة، وبأنها سبب مشكلات العائلة كلها، وغادرت البيت مع ولديها رافضة العودة

[355] حمدي، خولة، في قلبي أنثى عبرية، ص.22،31،111،142،144،162،262،267،272،274،278،281،283،290.
[356] الحتّي، حنا نصر، *قاموس الأسماء العربية والمعربة*، ص.85.

طالما ريما في البيت، استجاب يعقوب لشروط زوجته مُكرها؛ حفاظا على عائلته، ورحلت ريما مضطرة مجبورة إلى لبنان، رحلت وقلبها متعلق بالعودة إلى بيت ـ بابا ـ يعقوب.

وفي لبنان أكرمت (راشيل) أختُ يعقوب وِفَادَتَها، وهيّأت لها ما تحتاجه في غرفتها، لكن زوج راشيل كان يتربص بها للنيل منها، كانت تخاف منه ومن صوته ومن شكله، ضربها وحاول الاعتداء عليها غير مرة، وهي لا تجرؤ على البوح أو الشكوى، وبعد معاينة الطبيب لها قررت راشيل نقلها إلى بيت بنت عمها (سونيا) والدة ندى.

وهناك في بيت ندى وجدت عند الجميع استقبالا لابأس به، إلا سونيا التي صبرت عليها شهرا واحدا، ثم وضعتها بين خيارين: الرحيل، أو الخدمة الكاملة للبيت، الغسيل، والطبخ، والتنظيف، وشراء الحاجات من السوق، والترتيب، بكتْ ريما في تلك الليلة التي حُكم عليها بذلك كثيرا، لكن وقوف ندى معها خفف عنها قليلا، فبادلتها الوفاء بالوفاء، وأصبحتْ بعد أسابيع قليلة تجهّز لندى ـ التي تكبرها سنا ـ الطعام والقهوة والزاد الذي تأخذه معها إلى الجامعة، لقد نادتها ندى بأمي الصغيرة، وكان لها أثر طيب في حياة ندى، فهي تعلمت منها العربية والاسلام، وتعلمت منها الصبر الذي فاجأتها به عندما ألقت عليه سونيا أعباء البيت كاملة وهي مازالت في الخامسة عشرة، وتعلمت منها قوة العقيدة والثبات والصبر على الآلام الشديدة، "لن أنساك يا ريما ... لن انساك، ستظل ذكراك محفورة في قلبي ما حييت سأكون أنا عائلتك التي تذكرك ... وإن محيت من ذاكرة العالم بأسره." ولجمال روح ريما لم تستطع ندى نسيانها أبدا "ريما كان فيها طبع الأطفال وحلو دلالهم، رغم مكابرتها، كان يمكنها أن تضحك ملء شدقيها رغم قسوة الحياة عليها، وتلهو كلما سنحت الفرصة لتنسى هموما هاجمتها قبل أوانها...". وعندما وصف يعقوبُ ريما لندى التي حلت ضيفة في بيته في تونس قال عنها :"تعرفين ريما؟ كانت النور الذي يعطي لحياتي معناها، كانت أغلى من أولادي...لكنني في لحظة ضعف واختلال، تخليت عنها بكل إرادتي..."

كانت ريما تراسل (بابا يعقوب) وتكتب له عنها وعن شوقها، لكنها لم تتلقَّ ردا واحدا منه، لقد عاشت على أمل العودة إليه، لكن يد المنية كانت أقرب إليها من يد يعقوب التي انتظرتها طويلا، لترحل ريما عن الدنيا في يوم اجتمع فيه عليها مَطَرَانِ، مطر السماء ومطر الطائرات الحربية الإسرائيلية، رحلت وهي تحمل كيس الخضار الذي أمرتها سونيا بشرائها، رحلت بعدما ضاعت منها النقود، لقد كانت خائفة من العودة بلا نقود، كما كانت خائفة أن تعود من دون الخضار التي كلفتها سونيا بشرائها، لكن الرحيل بدَّدَ الخوفَ، وحال دون العودة!

ريما كانت كالغزالة، فهي نحيلة الجسم، يخالها الناظر إليها ابنة اثنتي عشرة سنة، فيما كانت في الخامسة عشرة، وكما تطمع الوحوش في الغزالة، فقد طمع بها زوج راشيل جسديا، وطمعت بها سونيا لتخدمها، وكان قبل ذلك استضعافُ زوج يعقوب لها ، فطردتها من البيت، لقد كانت ريما ريمةً بين وحوش لم تستطع ندى ولا يعقوبُ حمايتَها منهم.[357]

[357] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.12،38،61،86،95،143،154،169،246،262،266.

حسان، شخصية مهمة في رواية (في قلبي أنثى عبرية) وهو صديق أحمد، ورفيقه في المقاومة، يحمل شخصه ما يحمل اسمه من الصفات، فحسان كثير الحسن أو الحس[358]، بدأ دوره في الرواية عندما كان يسعف أحمد المصاب، اجتهد قدر استطاعته في إسعافه، كان خائفا عليه، ولم يهدأ روعه حتى استراح أحمد من آلامه، ونام أحمد بعد تنظيف مكان الإصابة، ارتاح حسان حينها، وحمد الله على نجاة صديقه من الخطر الحقيقي.

وحسان شريك أحمد في المقاومة، وقع في الأسر في أثناء عمله الجهادي، وعندما تم تحرير الجنوب اللبناني أصبح حسان حرا، لكنَّ أحمد غاب عن الوجود في اليوم ذاته، ومرت سنوات دون عودته، كانت ندى خلالها تتألم وتعيش حياة العذاب، فتقدم حسان لخطبتها؛ لأنها بحاجة له وهو بحاجة إليها، فوافقت مضطرة، وكان حسان يحبها جدا، ومتمسكا بها، لكن ظهورَ أحمد ثم عودة الذاكرة إليه جعل حسانَ[359] في حيرة، ظلَّ متمسكا بها، لكنه لم يلبث على ذلك كثيرا، بل تخلى عنها؛ لأن خطبته لها تُعَدُّ فاسدة بعد ظهور أحمد، فقَدَّمَ حسَّانُ إحسانَه الأخيرَ لندى الحائرة، ولأحمد الذي يحترق ألما لِمَا حدث في غيابه الطويل.[360]

سماح، أخت أحمد، فتاة ذكية محبة للآخرين، يحمل شخصها ما يحمله اسمها من الصفات، فاسم سماح يعني الكرم والمسامحة[361]، كانت تحب أخاها أحمد كثيرا، وتحدثه دائما عن رغبتها في زواجه من إحدى صديقاتها، فتسأله عن الصفات التي يفضلها في زوجته المستقبلية لتختارها له بنفسها، استجابت لطلبه وذهبت لزيارة ندى وشكرها نيابة عنه، وكانت تتواصل معها تلبية لطلبه.

وسماح ـ كما وصفتها ندى ـ صاحبة روح لطيفة، و طابع مرح، كانت تواسي أمَّها التي حزنت عندما قرر أحمد الارتباط بفتاة يهودية، كما كانت تصف أحمد بالولد البار بوالديه، وبأن ارتباطه بندى لن يتم إلا إذا أسلمت، وفي ذلك خير للجميع، لم تتخلَّ سماحُ عن ندى في شدتها وأحزانها، كانت نفسُها سَمحَةً، لقد حثت ندى على الارتباط بحسان عندما فقدت الأمل بعودة أحمد.[362]

رنيم، ويعني اسمها التغريد[363]، محامية مصرية تعمل في (مرسيليا) الفرنسية، وهي بنت أبويها الوحيدة التي جاءت بعد إجهاضين، وكانت ولادتها مبكرة، مما جعلها ترقد في حضانة المشفى؛ ليكتمل نموها، كانت تعاني ـ في طفولتها ـ من صعوبة في النطق، لكن التدريب والإصرار جعلها تتجاوز هذه المحنة، لقد كانت مقاتلة شرسة في الحياة.

كانت رنيم ترى في الشباب المصري سطحية وتفاهة غير مقبولة، لذلك تعلقت آمالها بفتى أحلامٍ أوربي، ووجدت الفرصة سانحة مع مديرها في العمل (ميشال)، كانت علاقتها مع مديرها الذي عشقته قوية، فهي متحررة من كل القيود المفروضة على المرأة الشرقية بنظرها،

---

[358] الحتّي، حنا نصر، *قاموس الأسماء العربية والمعربة*، ص.35.
[359] يجوز في اسم "حسان" الصرف وعدمه، فإذا أُشتق من الحس منع، وإذا اشتق من الحسن صرف.
[360] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.25،258،383.
[361] الحتّي، حنا نصر، *قاموس الأسماء العربية والمعربة*، ص.87.
[362] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.48،50،52،56،80،256.
[363] الحتّي، حنا نصر، *قاموس الأسماء العربية والمعربة*، ص.84.

تبرعت له بإحدى كليتها حُبًّاً، لكنه تركها طريحة السرير في المشفى بعد أن نال مبتغاه، تحسنت صحته وغادر، فيما تضاعفت جراحها ومكثت، أجريت لها ثلاث عمليات في شهر واحد، لم يزرها ولم يجب على اتصالاتها...، كانت رنيم تتصرف كما يحلو لها، فهي سيدة نفسها، ووالدها لم يمنعها من فعل شيء أبدا، ومع ذلك كانت تعيش حياة متناقضة، فهي لا تصوم، لكنها لا تأكل في نهار رمضان أمام الناس، وهي تحضر مجالس الخمر، لكنها لا تشربها، وهي متحررة في لباسها، لكنها لا تسمح لأحد أن يلمس يدها.

انتقلت إلى باريس بعد الجَفَاء الذي حصل بينها وبين ميشال إثر العملية الجراحية، اختارت بيتا كبيرا، واعتنت بفرشه وأثاثه، وراحت تبحث عن شريكة في السكن، فاختارت ياسمين لأنها محجبة وملتزمة، مما يبعد عنها شبح الصخب والسهرات الماجنة، كانت رنيم كثيرة الاهتمام بمظهرها ولباسها، تحضِّر نفسها جيدا للمقابلات والعمل، تجرب الملابس في المساء؛ لتنتقي أفضلها في اليوم التالي، كانت تتبختر في غرفتها وهي تستعرض ملابسها وكأنها عارضة أزياء.

ورنيم قوية الشخصية، غضبت على هيثم ـ قريب ياسمين ـ يوم سبَّبَ إزعاجا لها، وانتقمت منه من دون قصد يوم ظنته لِصًّا يحاول سرقتها، فرمته بقنبلة غازية، ولم تندم على هذا الخطأ، ولم تعتذر، بل هو يستحق ذلك بنظرها، كما غضبت على سائق الحافلة يوم تعامل مع ياسمين بعنصرية، و قدمت ضده شكاية، وأجبرته بقوتها على الاعتذار من ياسمين.

ورنيم مع شدتها طيبة، غيّرت نمط لباسها يوم انتقدها الدكتور عمر المتهم بالتفجير، فزارته في المرة الثانية بلباس محتشم، ورنيم جدية في عملها، تريد أن تُدافع عن عمر، فقضيته هي القضية الأولى التي تُسند إليها، لذلك غضبت يوم جعلوها محامية ثانية عنه تعمل مساعدة للمحامية الأصلية (فيفيان) ، فـ (فيفيان) ليست مقتنعة ببراءة عمر أبدا، وغير مهتمة بالدفاع عنه، هي تريد الشهرة فحسب، لذلك لم توجّه فيفيان أي سؤال للشاهد الأول، بل منعت رنيم من ذلك، فغضبت رنيم، وطلبت من عمر ـ همسا ـ أن يطلب رفع الجلسة. وعندما أصبحت المحامية الرسمية عن عمر فرحت كثيرا، واستماتت في الدفاع عنه.

كان لاستهتار رنيم بدينها أثر سلبي على (لورا) التي جاءت لتتعلم أحكام الإسلام من ياسمين، إذ تفاجأت لورا برنيم، فهي مسلمة لكنها لا تلبس كما تلبس ياسمين! كان هذا اللقاء سلبيا على لورا، حتى شكا منه هيثم (صديق لورا) التي أسلمت من أجله لاحقا!

تعلمت رنيم من تجاربها، وصارت قوية في مواجهة المستجدات، لقد عاد إليها ميشال تائبا معتذرا، وأقام لها حفلا خياليا، ومع ذلك تركت المكان، وغادرت مسرعة بعدما أخبرته بأنها لم تعد رنيم السابقة التي تستسلم لقلبها دون عقل. صارت قضية عمر شغل رنيم الشاغل، استماتت في الدفاع عنه، لكن النهاية كانت السجن عشرين سنة! لم ترحل رنيم بلا أثر إيجابي في حياة عمر الذي فشلت في تبرئته، لقد استقرضت من والدها مبلغا ماليا كبيرا، وتركته أمانة

عند ياسمين؛ لتقدمه إلى عمر عندما يخرج من السجن، فهو بحاجة إلى عمليات تجميل بعد التشوه الذي تعرض له يوم الانفجار.[364]

كان لرنيم حضور في رواية (أن تبقي) فهي التي ساعدت نادرا في استخراج أوراقه الرسمية في فرنسا، وهي التي ساعدت زوجته في البحث عنه وعن طفلهما الذي هرب به الأب إلى الجزائر حتى وصلتْ إليهما.[365]

ياسمين، والياسمين نوع من الزهر،[366] سمّتها أمها ياسمين تشبيها لها بنبات الياسمين الذي ينبت في الظل، ويكتفي بالقليل من الماء والعناية، وياسمين كانت كذلك، ربتها على القناعة والاكتفاء بالقليل، كانت رقيقة وقوية مثل نبات الياسمين، هكذا أرادتها أمها، وهكذا كانت.[367]

ياسمين فتاة تونسية تبلغ من العمر أربعا وعشرين سنة، وقع الطلاق بين والديها عندما كانت صغيرة، فتزوج أبوها المقيم في فرنسا سريعا، فيما قصَرت أمها نفسها على تربيتها، كانت في الرابعة من عمرها عندما عادت بها أمها إلى تونس، وها هي اليوم تعود إلى فرنسا؛ لإكمال الدراسة، تألمت ياسمين كثيرا عندما ذهبت إلى فرنسا، فأخواها من أبيها يتربيان على يد أمٍّ غير مسلمة، ولا يعرفان عن الإسلام شيئا، ولا يأكلان اللحم الحلال، لقد اشتروا لحما حلالا لأجلها يوم حلت ضيفة في بيتهم، وعندما جاء والدها من السفر كان استقباله لها باردا، ليس كرها لها، بل هذا طبعه.

حجاب ياسمين كان سبب رفضِها من قِبل الكثير من الشركات والمؤسسات، لكنها بقيت متمسكة به، كما تعرضت للحرج من (هيثم) ابن قريبة أمها، ذاك الشاب الذي أرادوه زوجا لها دون رضاه، فراح يُحرج ياسمين بأسئلته التي لا تخلو من الوقاحة، لتنفر منه، وتعرضت للمضايقة العنصرية من سائق الحافلة الذي اتهمها بالتحايل عليه، وبأن بطاقتها خالية من الرصيد اللازم لركوب الحافلات، وعندما ذهبت إلى باريس حيث صديق والدها ظنوها ـ بسبب حجابها ـ عاملة تنظيف، فأثَّرَ ذلك في نفسها كثيرا.

عادت ياسمين إلى مدينة ليون لزيارة عائلة أبيها، فوجدت زميلا لها في العمل هناك، لم تكن تعرف بأنه أخو زوجة أبيها، وهناك في بيت أبيها حاول الاعتداء عليها، لكنها وجهت إليه ضربة قاسية لتردعه، وشجَّت تلك الدفعةُ القوية جبينَه، بعد ارتطامه بباب البراد.

وياسمين ـ مع كل ما تعرضت له ـ طيبة رقيقة كزهر الياسمين، كانت تحرص على خدمة أبيها مع انشغاله عنها بأعماله الكثيرة، وكانت حريصة على دينها وأدبها وحشمتها، فيوم كلَّمَها الدكتور عمر باللغة العربية ردت عليه باللغة الفرنسية؛ كي لا تكن اللغة المختلفة عن المجتمع بابا للخلوة الافتراضية! كان لحجابها وحشمتها دور في اختيار رنيم لها شريكة في السكن، وصارتا فيما بعد صديقتين تتسامران وتروّحان عن نفسيهما بعض هموم الحياة وكدرها،

---

[364] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.19،22،25،55،124،135،137،162،168،189،192،196،215 ،259،269،290، 384،404.

[365] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.235،323.

[366] الحتّي، حنا نصر، *قاموس الأسماء العربية والمعربة*، ص.106.

[367] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.73.

وياسمين لا تدخر جهدا في خدمة الأخرين ومساعدتهم، لقد قامت بمساعدة صديقة هيثم الذي أهانها من أجلها، قبلت أن تساعدها في تعلُّمِ أحكام الإسلام، بل وجدت ذلك فرصة لتعلمها الدين بحضور رنيم المسلمة شكلا فحسب؛ لعلها تقترب من عالم ياسمين في الالتزام.

وياسمين فتاة طيبة، وترى الطيبة في كل الناس، لقد دافعت عن (لورا) التي سخرت منها رنيم، كما دافعت قبلا عن رنيم أمام قريبتها ميساء يوم حذرتها منها؛ لغرابة لباسها ولحركاتها الفوضوية، وعندما زارت المرأةَ التي حاولت الانتحار ناقشتها دينيا، وعندما تسببت حقيبتُها بانتحارها حزنت كثيرا و دخلت المشفى.[368] وكانت ياسمين تساعد رنيم كثيرا في إيجاد منافذ أمل لقضية الدكتور عمر، ثم عادت لمساندة زوجة أبيها التي حاولت الانتحار أيضا، لقد كانت ياسمين ياسمينا مِعطاء.

نادر، والنادر قليل الوجود[369]، هو بطل رواية (أن تبقي)، لكن قصته تبدأ من رواية (غربة الياسمين) حيث ألجأته الظروف للعمل مع عصابة نشل وسرقة، وفي أولى محاولاته في عالم النشل والسلب، أمسك به الدكتور عمر منقذا حقيبة المرأة العجوز من بين يديه، أراد عمر أن يسلمه للشرطة، لكن سمع من نادر كلاما حزينا، يدل على صدقه وندمه، إنه يسرق كي لا يموت جوعا في الطرقات، بحث عمر عن مأوى لنادر، بعدما قدم له الطعام، لكنه فشل في إقناع إمام المسجد بإيوائه ليلة واحدة في المسجد، فقرر مصاحبته إلى بيته، بقي نادر عند عمر أياما، قبل أن يهرب من الشرطة التي داهمت بيت عمر بعد التفجير، وكان لهروبه أثر سلبي على قضية عمر أمام المحكمة، كما كان لاشتراكه في مظاهرة مؤيدة للدكتور عمر ـ من دون أن يعرفه ـ أثر سلبي على عمر أيضا.[370]

وفي رواية (أن تبقي) وجد خليل المحامي حزمة رسائل ورقية قديمة، كتبها له أبوه (نادرٌ) قبيل وفاته، يلخص له فيها تجربة حياته؛ لتكون دليلا ودرسا له، لقد كان نادر نادرا، ولأنه الشخصية الأبرز في الرواية فسيكون من الصعب تلخيص دوره الكبير فيها، لكنه ترك بلاده وأهله ليحقق لنفسه الحلم الأوربي، فركب أمواج البحر التي ابتلعت زملاءه في الرحلة ونجا، ثم ادَعى أنه عراقي لسهولة حصول العراقيين على الإقامة هناك حينذاك، ثم هرب خوفا من اكتشاف كذبه، فتشرد في الشوارع شهورا، كان يشارك اللصوص عملهم ومأواهم تارة، ويسطو على المتاجر ليأكل منها تارة أخرى، و نادر مصاب برصاصة قديمة في رأسه دون علمه، اكتشفها في فرنسا، فاستيقظت في رأسه الآلام، وكانت الرصاصة الملتصقة بالدماغ تجعله يتخيَّلُ أشخاصا لا وجود لهم في الواقع، فأطلق عليه أحد الشيوخ لقب (كليم الجن)، ذاك الشيخ الذي أقام عنده نادر للعلاج، لكنه وجد ضالته هناك، فراح يُدَرِّس اللغة العربية التي يحمل إجازة جامعية فيها من إحدى كلياتها في الجزائر.

---

[368] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.19،31،35،36،40،65،95،99،122،124،137،147،155،186،208،215،217، 264،279،333.

[369] الحتّي، حنا نصر، *قاموس الأسماء العربية والمعربة*، ص.64.

[370] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.85،173،303،305.

تعلق قلب نادر بفتاة فرنسية، وبعد معارضة شيخه له تزوجها، وأنجبت منه خليلا الذي هرب به ـ وهو ابن سنة ـ إلى الجزائر؛ لتكون وفاته التي تنبأ الطبيب بقربها هناك حيث أمه. وهناك اِلتمَّ الشمل، نادر وأمه وزوجته التي جلب لها ضرة، هي ابنة عمه التي خطبها له أبوه من أبيها قبل سنوات طويلة، يموت نادر لتبقى زوجته الأولى وابنه خليل شهورا هناك، ثم يعودان إلى فرنسا ويعيشان حياة جديدة، تفاصيل هذه الرحلة الغريبة الشائقة الصعبة كتبها نادر لابنه خليل، لتقع بين يديه بعد سنين، وتجعله ـ كما توقع أبوه ـ يعود إلى أصله الذي جهله بداية، وتنكر له بداية قراءة الرسائل.[371]

6.3. أدب المفردات

استخدمت الكاتبة لغة بسيطة بعيدة عن الإغراب والإسفاف، فلا يكاد القارئ يقف على لفظة دارجة (عامية)، كما لا يكاد يقف حائرا عند معنى كلمة ما، باستثناء كلمة (ازدرد) التي كثر استخدامها في رواياتها الثلاث دون الرابعة، كما أن الكاتبة حرصت على استخدام اللغة الأدبية البعيدة عن الكلمات التي تخدش الحياء، حتى في الصور السلبية ، فزوج (راشيل) حاول الاعتداء على ريما، وهذا مشهد يسرح في فضائه بعض الكُتَّاب، وينتقون له من الألفاظ الجارحة ما وسعهم الأمر، غير أن خولة حمدي اكتفت بتصوير المشهد على أنه صراخ من قبل زوج راشيل، وطَرقٌ عنيفٌ على الباب الذي اختبأت خلفه ريما، كان الشرر يتطاير من عينيه ويصرخ بقوة وهلع، وقد احمر وجهه وانتفخت أوداجه، أما ريما فكان هندامها غير مرتب، وحجابها مُهملا، ووجهها ذابلا شاحبا، وكأنها خرجت من معركة شديدة.[372]

وفي محاولة الاعتداء الثانية اتبعت الكاتبة الأسلوب ذاته، وعندما أرادت تصوير قبح كلامه وصوته، عبَّرت عن كلامه بأن ألفاظه سوقية، وكلماته نابية، تَصَمُّ ريما آذانها من قبح صوته[373] بل كانت قساوة كلماته أشد عليها من ألمِ ضَرْبِهِ لها، ومن ألمها الجسدي!!

وعندما زارت ياسمين بيت أبيها في مدينة ليون، كان هناك أخو زوجة أبيها، كان ثملا، وحاول الاعتداء عليها، فحصرها بين المائدة والثلاجة، لكنها تمالكت نفسها، وفتحت باب الثلاجة على وجهه وهربت، شتمها بكلمات نابية، بعدما كان يسخر من أبيها وأخلاقه واسمه، كل ذلك لم يحتوِ كلمة فاحشة واحدة، أو سوقية، بل اكتفت الكاتبة بوصفها بالشتائم النابية.[374]

أما رواية (أين المفر) فقد كانت حنان تحب حياة المجون، تواظب على السهرات الصاخبة، وتشرب الخمر، و تعيش حياتها كما تشاء، حتى حملت من الزنا، وأمها كذلك، ماتت بسبب إصابتها بمرض فقد المناعة (الإيدز) ومع هذا لا نجد أي مشهد يصور ما جرى مع حنان،

---

[371] حمدي، خولة، *أن تبقي*، ص.19،29،35،39،74،158،224،307.
[372] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.86
[373] حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، ص.93.
[374] حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، ص.207.

أو أمها في تلك الليالي الحمراء،[375] بل جعلت الكاتبة النهاية الحزينة لكلتيهما تُنَفِّرُ القارئ من هذا السلوك السيء، وتجعله منبوذا، إن لم يكن من باب الحلال والحرام، فمن باب سوء النهاية.

[375] حمدي، خولة، *أين المفر*، ص.236.

الخاتمة

الواقعية مدرسة ذات أهداف واضحة ونبيلة، وهي مدرسة مهمة مع كل ما وجهه إليها منتقدوها من اتهامات، حيث تعني الواقعية النفع والبعد عن الخيال، والواقعية الإسلامية انطلقت من مبادئ تلك الواقعية؛ لتجعل الدين الإسلامي مرجعيةَ الواقعية فيها، حيث تكمن قوة الواقعية الإسلامية في اعتمادها على الحقيقة السماوية، وفي خصائصها التي تفردت بها عن باقي الواقعيات.

وروايات الكاتبة (حمدي) غنية بالموضوعات الواقعية التي عرضتها عرضا إسلاميا، حيث تناولت الكاتبة موضوع الحجاب، والمقاومة الإسلامية، والدعوة إلى الله تعالى، ودور رجال الدين في توعية الشباب أو تضليلهم، كما كان الحب حاضرا في الروايات، غير أن نهاية الحب مختلفة، فما بني منه على الحلال والحرام انتهى بالزواج والسعادة، وما كان منه متحررا من تلك القيود الدينية الأخلاقية انتهى بالفشل و الحزن أو الخيانة.

وقد وصل الباحث في نهاية هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1- كان اختيار موضوعات الروايات متوافقا مع ما يعانيه المجتمع المسلم هذه الأيام، فالاغتراب ـ مع ما يحمله من مصاعب ـ يعاني منه مسلمون كثر، كذلك مقاومة المحتل والاختفاء القسري، أو الابتعاد الاضطراري، ولم تَفُتْ الكاتبةَ قضيةُ الطلاق وما يسببه للأسر وللأبناء خصوصا من آلام.
2- كان عرض الأحداث انسيابيا وشائقا، وظهرت الشخصيات الإيجابية فيها ظهورا محبوبا، يجعل القارئ يتأثر بهم وينتفع، بينما كانت الشخصيات السلبية أخلاقيا تقع في المهالك التي سببتها أعمالهم، فينفر القارئ منهم.
3- لغة الكاتبة أدبية وراقيةٌ، ترفعت عن الألفاظ السوقية المعيبة وهي تصور مشاهد الفجور والاعتداء الجسدي.
4- انتصرت الكاتبة للحق، فجعلت المسيئين يتراجعون عن إساءتهم، أو يلاقون مصيرا سيئا، يجعل القارئ ينفر من تلك الأفعال.
5- ما سبق من النتائج يؤثر إيجابيا في القارئ، وهذا من أهم أهداف التصور الإسلامي الذي يهدف إلى النهوض والارتقاء بالمجتمع بالسبل التربوية كافة، ومن ضمنها الأدب.

لقد كان جلُّ الموضوعات المطروحة في الروايات واقعيا، تملؤه الروح الإسلامية، كما كان تفاعل الشخصيات وسير الأحداث فيها يصب في المصب ذاته، حيث تأثرت شخصيات عدة بالشخصيات الإيجابية، فانتقل بعضها من اليهودية إلى الإسلام، فيما اعترف بعض المسيئين بالأخطاء التي فعلوها، لتظهر صورة الحق جلية في النهاية، لكن الظلم وقع على بعض الشخصيات الإيجابية، وهذا متوافق مع الحياة الواقعية التي لا تنكر ذلك.

يجد القارئ لروايات (حمدي) متعة القصة وترفيهها، كما يلمس واقعية أحداثها، ولا يغفل القارئ عن تلك المصائر التي وصل إليها شخصيات الرواية، فالحق سينتصر مهما اشتد ساعد الباطل، لكن الزمن له فصلُ الخطاب.

المصادر والمراجع

ابن ماجة، محمد بن يزيد، *سنن ابن ماجة*، دار إحياء الكتب العربية، د ت، د ط.
ابن منظور، جمال الدين، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت.
أبو داود، سليمان بن الشعث، *سنن أبي داود*، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009، ط1.
أركيبي، رشيد، الرواية الإسلامية ومجالات الالتزام، *نحو منهج إسلامي للرواية*، الملتقى الدولي للأدب الإسلامي، مراكش، 2007.
الأزهري، صنع الله، مفهوم الأدب الإسلامي وإسلامية الأدب عبر العصور، *مجلة العلوم الإسلامية والدينية*، 2017،العدد2، المجلد2.
الترمذي، محمد بن عيسى، *سنن الترمذي*، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د ت، د ط.
التوفيق، أحمد، *جارات أبي موسى*، دار القبة الزرقاء، الدار البيضاء، 2000، ط2.
الجاسم، محمود، *نزوح مريم*، دار التنوير، القاهرة، 2015، ط1.
الحتّي، حنا نصر، *قاموس الأسماء العربية والمعربة*، دار الكتب العلمية، بيروت،2003، ط3.
الخضري، محمد، *نور اليقين*، دار الإيمان، دمشق، 1988.
الزركشي، محمد بن عبدالله، *إعلام الساجد بأحكام المساجد*، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1996، ط4.
السيد، وجيه يعقوب، *الرواية المصرية في ضوء المناهج الحديثة*، دار البشير، 2018، ط2.
السيوطي، جلال الدين، *سنن الترمذي*، دار البشائر الإسلامية، بيروت.1994. ط4.
الشنطي، محمد صالح، *تقنيات الشكل في الرواية الإسلامية*، نحو منهج إسلامي للرواية.
العتوم، أيمن، *كلمة الله*، دار المعرفة، الأردن،2015، ط1.
العسقلاني، ابن حجر، *فتح الباري*، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2001، ط1.
الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، *القاموس المحيط*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ط8.
القاعود، حلمي محمد، *الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني*، العبيكان، الرياض.
الكيلاني، نجيب، *الإسلامية والمذاهب الأدبية*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ط 4.
الكيلاني، نجيب، *مدخل إلى الأدب الإسلامي*، رئاسة المحاكم الشرعية، قطر، 1407هـ، ط1.
الكيلاني، نجيب، *مملكة البلعوطي*، دار الصحوة، القاهرة، 2012، ط1.
النحنين، ناصر، *الالتزام الإسلامي في الشعر*، دار أصالة، الرياض، د ت، د ط.
النووي، يحيى بن شرف، *رياض الصالحين*، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د ت، د ط.
النووي، يحيى بن شرف، *صحيح مسلم*، المطبعة المصرية بالأزهر، ط1، 1929.
النيسابوري، أبو عبدالله، *المستدرك على الصحيحين*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، د ط.
أمين، أحمد، *النقد الأدبي*، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، د ت، د ط.
باشلار، غاستون، *جماليات المكان*، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2.
برغوث، الطيب، *الواقعية الإسلامية في خط الفعالية الحضارية*، مركز الراية للتنمية الفكرية،

دمشق،2006، ط 1.
بويوزان، بنعيسى أحمد، الفن والأخلاق في الرواية الإسلامية، *نحو منهج إسلامي للرواية*، الملتقى الدولي للأدب الإسلامي، مراكش، 2007.
توفيق، قاسم، *صخب*، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2015، ط1.
جوف، فانسون، *أثر الشخصية في الرواية*، ترجمة لحسن أحمامة، دار التكوين، دمشق، 2012، ط 1.
حمدان، عبدالرحيم، جماليات القرية في الرواية الفلسطينية " قرية بيت حانون أنموذجا " *مجلة كلية فلسطين التقنية للأبحاث والدراسات*، فلسطين، 2014، ع1، (2- 29)
حمدي، خولة، *أن تبقي*، دار كيان، القاهرة، 2016.
حمدي، خولة، *أين المفر*، دار كيان، القاهرة، 2015م.
حمدي، خولة، *غربة الياسمين*، دار كيان، القاهرة، 2015.
حمدي، خولة، *في قلبي أنثى عبرية*، دار كيان، القاهرة، 2013.
خليل، إبراهيم، *أساسيات الرواية*، دار فضاءات، عمان، 2015، ط1.
رضا، محمد، *أبو بكر الصديق*، دار الكتب العلمية، د ت، د ط.
ساعي، أحمد، *الواقعية الإسلامية في النقد والأدب*، دار المنارة، جدة، 1985م، ط1.
سماحة، فريال، *رسم الشخصية في روايات حنا مينة*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999، ط1.
طه، إيناس ممدوح، *صورة القرية في الرواية العربية*، مركز دراسات الوحدة العربية، 1983، مج 5، ع48، 50-65.
عبدالله، محمد حسن، *الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ*، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ط3.
علوش، سعيد، *معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985، ط1.
غضبان، منير محمد، *فقه السيرة النبوية*، جامعة أم القرى، 1992، ط2.
فاعور، علي، *ديوان الفرزدق*، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ط1.
فرج، السيد أحمد، *أدب نجيب محفوظ وإشكالية الصراع بين الإسلام والتغريب*، دار الوفاء، المنصورة، 1990، ط1.
فضل، صلاح، *منهج الواقعية في الإبداع العربي*، دار المعارف، القاهرة، 1980، ط2.
قاسم، سيزا، *بناء الرواية*، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004. د ط.
قطب، سيد، *خصائص التصور الإسلامي*، دار الشروق, د ت ، د ط .
قطب، محمد، *منهج الفن الإسلامي*، دار الشروق، بيروت. القاهرة، 1983، ط6.
قطب، محمد، *منهج التربية في الإسلام*، دار الشروق، القاهرة، 1988، ط11.
لوبوك، بيرسي، *صنعة الرواية*، ترجمة عبدالستار جواد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2000، ط2.
محمد أحمد، أحمد حسن، التوظيف الإعلامي للرواية الإسلامية، *نحو منهج إسلامي للرواية*،

الملتقى الدولي للأدب الإسلامي، مراكش، 2007.
مندور، محمد، *في الأدب والنقد*، نهضة مصر، القاهرة، د ت، د ط.
منيف، عبدالرحمن، *شرق المتوسط*، دار التنوير، بيروت، 2016، ط19.
نجم، محمد، *فن القصة*، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955، د ط.
هلال، محمد غنيمي، *الأدب المقارن*، نهضة مصر، القاهرة، 2008، ط 9.
هلال، محمد غنيمي، *النقد الأدبي الحديث*، نهضة مصر، القاهرة، 1997، د ط.
وهبه، مجدي، والمهندس، كامل، *معجم المصطلحات العربية*، مكتبة لبنان، 1984، ط2.

خولة- حمدي/WWW.KATARANOVELS.COM/NOVELST
https://m.facebook.com/348145955345153/posts/883636545129422/
قصة_سعد_بن_ابي_وقاص/https://mawdoo3.com
www.feqhweb>com/vb/t12014.html

VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

LİSANSÜSTÜ TEZ ORİJİNALLİK RAPORU

Tez Başlığı / Konusu: 02/04/**2019**

Havle Hamdi'nin Romanlarında İslami Realizm

Yukarıda başlığı/konusu belirlenen tez çalışmamın Kapak sayfası, Giriş, Ana bölümler ve Sonuç bölümlerinden oluşan toplam 119 sayfalık kısmına ilişkin, 28/03/2019 tarihinde şahsım/tez danışmanım tarafından turnitin intihal tespit programından aşağıda belirtilen filtreleme uygulanarak alınmış olan orijinallik raporuna göre, tezimin benzerlik oranı % 3'tür.

Uygulanan Filtreler Aşağıda Verilmiştir:

- Kabul ve onay sayfası hariç,
- Teşekkür hariç,
- İçindekiler hariç,
- Simge ve kısaltmalar hariç,
- Gereç ve yöntemler hariç,
- Kaynakça hariç,
- Alıntılar hariç,
- Tezden çıkan yayınlar hariç,
- 7 kelimeden daha az örtüşme içeren metin kısımları hariç (Limit match size to 7 words)

Yüzüncü Yıl Üniversitesi Lisansüstü Tez Orijinallik Raporu Alınması ve Kullanılmasına İlişkin Yönergeyi İnceledim ve bu yönergede belirtilen azami benzerlik oranlarına göre tez çalışmamın herhangi bir intihal İçermediğini; aksinin tespit edileceği muhtemel durumda doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi ve yukarıda vermiş olduğum bilgilerin doğru olduğunu beyan ederim.

Gereğini bilgilerinize arz ederim.

02/04/2019

Abdulrhman Abdulfatah CHALLAR

Adı Soyadı : Abdulrhman Abdulfatah CHALLAR
Öğrenci No : 179203091

Anabilim Dalı : Temel İslam Bilimleri

Programı : yüksek lisans

Statüsü : Y. Lisans ☒ Doktora ☐

DANIŞMAN
Doç. Dr. Abdulhadi TİMURTAŞ

02/04/2019

ENSTİTÜ ONAYI
U Y G U N D U R

/04/2019

Doç. Dr. Bekir KOÇLAR
Enstitü Müdürü

ÖZGEÇMİŞ

Kişisel Bilgiler

Soyadı, Adı	:CHALLAR, Abdulrhman
Uyruğu	: Suriye
Doğum Tarihi ve Yeri	:04.11.1980
Telefon	:05340236433
Faks	:…
E-mail	:mraho1980@gmail.com

Eğitim

Derece	**Eğitim Birimi**	**Mezuniyet Tarihi**
Doktora	…….	……
Yüksek Lisans	…….	…….....
Lisans	El-Ezher Üniversitesi	2002/Mayıs

İş Deneyimi

Yıl	**Yer**	**Görev**
2002	Humus	Öğretmen
2014	Hakkari	Öğretim Görevlisi

Yabancı Dil

……

Yayınlar

……

Hobiler

…….

3.5.ROMANLARDAKİ ŞAHISLARIN İSİMLERİ HAKKINDA……..…83

3.5.1. İSİMLERİN DİNİ BOYUTU……83

3.5.2. İSİMLERİN DİLSEL BOYUTU……87

3.6.İFADE USLÛBU……43

SONUÇ……..…96

BİBLİYOGRAFYA……..98

2.3. ROMANLAR ARASINDA ORTAK TEMA……21

3. HAVLE HAMDİ ROMANLARINDA İSLÂMÎ REALİZM……...…23

3.1.ROMANLARDAKİ MEKANLAR…….……..23

3.1.1. ARAP ŞEHİRLERİ……...….24

3.1.2. ARAP KÖYLERİ……...28

3.1.3. BATI ŞEHİRLERİ……...…...29

3.1.4. İBADET MEKANLARI……...……..31

3.2.ROMANLARDA ZAMAN ……..33

3.3.ROMANLARIN KONUSU……..……36

3.3.1. DİNİ HOŞGÖRÜ…….....37

3.3.2. DİN DEĞİŞTİRMEK…….....39

3.3.3. FARKLI DİNLERE MENSUP KİŞİLERLE EVLİLİK…….41

3.3.4. MÜSLÜMANLARIN ENTEGRASYONU ...……....43

3.3.5. BATI ÜLKELERİNİN MÜSLÜMAN FOBİSİ…….44

3.3.6. TEORİ VE PRATİK ARASINDA İSLAM…….....49

3.3.7. ÜÇ TARAF ARASINDA SEVGİ……..53

3.3.8. KAÇAK GÖÇ…….55

3.4.ROMANLARDAKİ KARAKTERLER……57

3.4.1. DİNÎ MİSYONLU KAREKTER……..59

3.4.2. MÜSLÜMAN DAVETÇİ KAREKTERİ……...……63

3.4.3. DİRENİŞÇİ KAREKTERİ…….69

3.4.4. ANNE KAREKTERİ……..73

3.4.5. YABANCI KAREKTERİ……...76

3.4.6. ÖĞRENCİ KAREKTERİ……..….81

İÇİNDEKİLER

ÖZET……I

İÇİNDEKİLER……..……III

ÖNSÖZ……...…...……..……V

GİRİŞ …….....1

1.İSLÂMÎ REALİZM……...……..1

1.1. İSÂMÎ REALİZM KAVRAMI…….....1

1.2. İSLÂMÎ REALİZMİN DOĞUŞU……..……..3

1.3. İSLÂMÎ REALİZMİN ÖZELLİKLERİ……..…..……7

1.3.1. İLAHİ YÖNÜ ……..……..... 8

1.3.2. KALICILIK YÖNÜ …… 9

1.3.3. BAĞLAYICI YÖNÜ……...……...……..10

1.3.4. OLUMLU YÖNÜ……..……...……..11

1.3.5. İNSANİ YÖNÜ……..……13

1.3.6. EDEBÎ YÖNÜ……..……..13

1.4. İSLÂMÎ REALİZMİN ÖNEMİ……...…….…….14

1.5. İSLÂMÎ REALİZMİN ÖNCÜLERİ…….….16

2. HAVLE HAMDİ VE ROMANLARI ...…….……17

2.1. HAVLE HAMDİ……17

2.2. ROMANLARI……...…….18

2.2.1 FÎ KALBÎ UNSÂ ‘İBRİYYE…….18

2.2.2 ĞURBETU’L-YASEMİN……..……19

2.2.3 EN TEBKÂ……...…….19

2.2.4 EYNE'L-MEFER……20

kısmı da özel olarak cami, kilise, ev ve tarım alanlarında geçmektedir. Keza yazarın romanlarında seçtiği modern zaman, romanı daha aktif ve faydalı kılmak için önemli bir rol oynamıştır.

Yine rivayet akımının oluşumunda en hayati ve faydalı katkılar sağlayan çağdaş yazarlardan seçtiği kimseleri ele alır. Bu bölümde çalışma yazarın romanlarında işlediği konular üzerinde özellikle yoğunlaşılmıştır. Bu bağlamda yazarın romanlarında konu edindiği dinî hoşgörülük, din değiştirme, farklı dine mensup olanlar arasında evlilik gibi yazarın romanlarında istediği konular üzerinde yoğunlaşılmıştır. Ayrıca zikredilen bu konuların, modern İslam toplumunda insanların yaşamlarıyla nedenli ilintili olduğu hususu üzerinde de durulmuştur. Zira Batı ülkelerinde yerleştikten sonra toplumla kaynaşamamış birçok Müslüman bulunaktadır. Araştırma daha sonra yazarın romanlarında yer verdiği gurbetçi, direnişçi, dini davetçi, anne ve öğrenci gibi ana karakterleri ve bu karakterlerin İslâmî değerlerle ilişkisi ve İslâmî değerlere olan bağlığının Batı toplumunda yaşamlarını ne derece etkilediğini irdelemektedir. Son olarak çalışma dilsel ve edebi açıdan yazarın ana karakterler için seçtiği isimler konusundaki ustalığı üzerine yoğunlaşmatır.

Anahtar Kelimeler	:	İslamî, Romanlar, Realizm, Özellikler, Mekan, Zaman.
Sayfa Sayısı	:	115
Tez Danışmanı	:	Doç. Dr. Abdulhadi TİMURTAŞ

ÖZET SAYFASI

(Yüksek Lisans Tezi)

Abdulrhman Abdulfatah CHALLAR

VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
Nisan, 2019

(HAVLE HAMDİ'NİN ROMANLARINDA İSLAMİ REALİZM)

ÖZET

Çalışmamız yazar Havle Hamdî'nin dört romanı esas alınarak İslâmî realizm üzerine yoğunlaşmaktadır. Araştırmanın birinci bölümde ilk önce genel olarak realizm kavramı açıklandıktan sonra özellikle İslâmî realizm kavramı ele alınmıştır. 19. yüzyılda ortaya çıkan realizmin tarihi arka planı, ortaya çıkış sebepleri ve Romanantizim akımının yayılmasına yönelik eleştiriler-reddiyeler de incelenmektedir. Ayrıca araştırma ruhî realizm, şeklî realizm, ideal realizm gibi realizmin önemli akımlarına da değinmektedir. Daha sonra İslâmî realizmin ortaya çıkışı ele alınmaktadır. Esasen İslâmî realizm, Batı akımlarının yayılmasına reddiye niteliğindedir. Aynı şekilde araştırma İslâmî realizmin en önemli niteliklerinden sayılabilecek rabbanîlik, vazife ahlakı, sabır, insanilik, pozitif olma gibi özellikleri ele almaktadır. Keza araştırmada toplumsal yaşamın yüce yaratıcıyla olan ilişkisi gibi İslâmî realizmin önemi irdelenmektedir. Birinci bölüm yazar ve eleştirmen olarak İslamî realizmin öncülerinden olan Seyyid Kutub, Muhammed Kutub ve Necip el-Kilanî gibi şahsiyetlerin çalışmaları ve bu konuda yapılan araştırmalarla sonlandırılmıştır.

Çalışmanın ikinci bölümünde yazar Havle Hamdî'nin hayatı kısa bir şekilde anlatıldıktan sonra, araştırmaya konu olan dört romanı özet olarak incelenmektedir.

Çalışmanın üçüncü bölümünde ise romanın mekan ve zaman öğelerini ve bunların zamansal ve mekansal olarak gerçek hayatla olan ilişkisi ele başlamaktadır. Zira yazarın romanlarda anlatılan olayların bir kısmı Lübnan, Tunus, Fransa'da bir

The first section of the study was ended by considering the pioneers and critics of Islamic Realism such as Sayied Kotob, Mohummad Kotob and Najeeb Al-Kilani.

In the second part of the study I considered Khowla Hamdi's four presenting a summary of each and a brief summary of the writer's life due to the shortage of resources about each and the impossibility to get any more.

In the third part of the study, the researcher studied the setting of the novels and the relation with reality where most of the action took place, in Lebanon, France and Tunis. Some actions took place in mosques, churches, houses or farms. The time chosen by the writer made the novel more beneficial and active. After that I studied the subject matter of the novels such as religious tolerance, changing one's religion, marriage between couples of different religions, western nativity towards Muslims and Muslims getting consolidating in western societies.

The study made clear how much attached are the subject matters of these novels to people's lives in the contemporary Islamic society where many Eastern Muslims live in European countries. Some of them got consolidated while others got indisposed. Then the researcher studied the main characters of these novels such as an exile, an adversary, God campaigner, a mother and a student. It also made clear the Islamic Realism fulfilled in the actions played by each character.

The study was ended by spotlighting the writer's proficiency choosing her main characters as a religious or lingual concept.

Finally, the study pointed out the writer excluding any extreme words in the negative or violent scenes.

Key Words : islamic. realism. novel. place. character.
Quantity of Page : 115
Supervisor : Assos.prof.dr. Abdulhadi TİMURTAŞ

ABSTRACT SAYFASI

(M.Sc. Thesis)

Abdulrhman Abdulfatah CHALLAR

VAN YÜZÜNCÜ YIL UNIVERSITY
INSTITUTE OF SOCIAL SCIENCES
April, 2019

(ISLAMIC REALISM THE NOVELS OF KHAWLA HAMDY)

ABSTRACT

The study considered the Islamic Realism in four of Khawla Hamdi's novels which are (Fi Kalbi Ontha Ibryya, Ghorbat Alyasamin, An Tabki, Ayna Almafar) .

The study started talking about Realism in general, and its main branches such as critic Realism and socialistic Realism. Then it shifted to Islamic realism in particular.

After that I studied the history of Islamic Realism independently in the 9th century and appearance as a reaction against the Romantic doctrine. The study mentioned the sections that resulted from Realism like spiritual, formal, superior, ideal and subjective Realism.

After that I studied the reasons for appearing the Islamic Realism against the western doctrine that spread in the Islamic society while the Arabic, Islamic and cultural identity was almost absent from Arabic criticism due to cultural and traditional diversity.

The study mentioned the main characteristics of Islamic Realism such as mastership, commitment, stability, humanity and positivity.

Then I shifted to study the importance of Islamic Realism which linked Reality on earth with that in heaven, and God, and the benefit that resulted for the humans.

اللغوية، وأشارت الدراسة أخيرا إلى استبعاد الكاتبة الألفاظ الصريحة أو الخادشة للحياء عند تصويرها المشاهد السلبية، كمشاهد الاعتداء.

الكلمات المفتاحية :

الرواية، الواقعية، الواقعية الإسلامية، الخصائص، الزمان، المكان، الشخصيات.

ملخص

تناولت الدراسةُ الواقعيةَ الإسلاميةَ عند الكاتبة (خولة حمدي) في أربع روايات لها، وهي: في قلبي أنثى عبرية، وغربة الياسمين، وأن تبقي، وأين المفر. بدأتِ الدراسةُ بالحديثِ عن مفهوم الواقعية عموما، وعن أهم أقسامها، كالواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية، ثم انتقلت للحديث عن الواقعية الإسلامية خصوصا، وبعد ذلك عرجت الدراسة على تاريخ ظهور الواقعية مذهبا مستقلا، وكان ذلك في القرن التاسع عشر، كذلك عرجت على أسباب ظهورها، إذ جاءت ردا على انتشار المذهب الرومنسي، كما ذكرتِ الدراسة أهم الأقسام التي تفرعت عن الواقعية، كالواقعية الروحية، والشكلية، والمثالية، والسفلى، والعليا، والذاتية...

ثم انتقلت الدراسة إلى الحديث عن نشوء الواقعية الإسلامية وأسبابه، حيث جاءت الواقعية الإسلامية ردا على انتشار المذاهب الغربية في المجتمعات الأدبية الإسلامية، حتى كادت الهوية الثقافية العربية والإسلامية تغيب عن المدارس النقدية المعمول بها لدى النقاد العرب؛ وذلك بسبب اختلاف الثقافات والأعراف، كما تحدثت الدراسة عن أهم الخصائص التي تتسم بها الواقعية الإسلامية، كالربانية والالتزام والثبات والإيجابية والإنسانية و الأسلوبية.

ثم انتقلت الدراسة إلى الحديث عن أهمية الواقعية الإسلامية، كربط الواقع الأرضي المعيش بالسماء، وبالإله الحقيقي، وما ينتج عن ذلك من نفع للبشرية جمعاء، ليُختم القسم الأول بالحديث عن أهم روّاد الواقعية الإسلامية كتابة ونقدا، كسيد قطب، ومحمد قطب، ونجيب الكيلاني...

ثم تناولت الدراسة في قسمها الثاني رواياتِ (خولة حمدي) الأربعة، فقدمَتْ ملخصا مقتضبا عن كل رواية، بعدما تناولت حياة الكاتبة باقتضاب لقلة المصادر التي تتحدث عن الكاتبة وصعوبة الوصول إليها.

أما القسم الثالث فقد بدأه الباحثُ بالحديث عن البيئة الروائية، ومدى ارتباطها بالواقع زمانيا ومكانيا، حيث كانت الأحداث تدور في لبنان وتونس وفرنسا، كما دارت بعض الأحداث في المسجد والكنيسة والبيت والمزرعة، وكان للزمن المعاصر الذي اختارته الكاتبة دَورٌ بارز في جعل الرواية أكثر حيوية وفائدة.

بعد ذلك تناولَت الدراسة الموضوعاتِ التي وردت في تلك الروايات، كالتسامح الديني، والانتقال من دين إلى آخر، والتزاوج بين أبناء الديانات المختلفة... وبيّنت الدراسة مدى التصاق تلك الموضوعات بحياة الناس في المجتمع الإسلامي المعاصر حيث يسكن كثير من مسلمي الشرق في البلاد الأوربية، يندمجون تارة، وينفرون أخرى.

ثم انتقل الباحثُ بعد ذلك إلى الحديث عن الشخصيات الرئيسة في تلك الروايات، كشخصية المغترب، والمقاوم، والداعية إلى الله، والطالب، والأم... وبيَّنَ مدى تحقق الواقعية الإسلامية في الأحداث التي قامت بها تلك الشخصيات، أو تعرضت لها، ثم خُتمت الدراسة بتسليط الضوء على براعة الكاتبة في اختيار أسماء شخصياتها الرئيسة، من الناحية الدينية أو

ETİK BEYAN SAYFASI

Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü **Tez Yazım Kurallarına uygun olarak hazırladığım bu tez çalışmasında;**

- Tez içinde sunduğum verileri, bilgileri ve dokümanları akademik ve etik kurallar çerçevesinde elde ettiğimi,
- Tüm bilgi, belge, değerlendirme ve sonuçları bilimsel etik ve ahlak kurallarına uygun olarak sunduğumu,
- Tez çalışmasında yararlandığım eserlerin tümüne uygun atıfta bulunarak kaynak gösterdiğimi,
- Kullanılan verilerde herhangi bir değişiklik yapmadığımı,
- Bu tezde sunduğum çalışmanın özgün olduğunu

bildirir, aksi bir durumda aleyhime doğabilecek tüm hak kayıplarını kabullendiğimi beyan ederim.

Abdulrhman Abdulfatah CHALLAR
02/04/2019

KABUL VE ONAY SAYFASI (EK-4)

ABDULRHMAN ABDULFATAH CHALLAR tarafından hazırlanan HAVLE HAMDİ'NİN ROMANLARINDA İSLAMİ REALİZM" adlı tez çalışması aşağıdaki jüri tarafından OY BİRLİĞİ / OY ÇOKLUĞU ile Yüzüncü Yıl Üniversitesi TEMEL İSLAM BİLİMLERİ Anabilim Dalı ARAP DİLİ VE BELAGATI Bilim Dalında YÜKSEK LİSANS TEZİ olarak kabul edilmiştir.	
Danışman: Doç. Dr. Abdulhadi TİMURTAŞ Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı/Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi. Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum	.....
Başkan : Doç. Dr. Abdulhadi TİMURTAŞ Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı/Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi. Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum	.....
Üye : Dr. Öğr. Üyesi Rıfat AKBAŞ Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı/Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi. Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum	.....
Üye : Dr. Öğr. Üyesi Mahmoud GHOTHNI Anabilim Dalı, Üniversite Adı Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum	.....
Yedek Üye : Unvanı Adı SOYADI Anabilim Dalı, Üniversite Adı Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum	.....
Yedek Üye : Unvanı Adı SOYADI Anabilim Dalı, Üniversite Adı Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum	.....
Tez Savunma Tarihi:	15/04/2019
Jüri tarafından kabul edilen bu tezin Yüksek Lisans Tezi olması için gerekli şartları yerine getirdiğini ve imzaların sahiplerine ait olduğunu onaylıyorum. ..... Doç. Dr. Bekir KOÇLAR Sosyal Bilimler Enstitüsü Müdürü	

T.C.
VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANA BİLİM DALI
ARAP DİLİ VE BELAĞATI BİLİM DALI

HAVLE HAMDİ'NİN ROMANLARINDA İSLAMİ REALİZM

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Hazırlayan
ABDULRHMAN ABDULFATAH CHALLAR

Danışman
Doç. Dr. Abdulhadi TİMURTAŞ

VAN-2019